باولو كويلهو

www.liilas.com
MALLOULI

فيرونيكا تقرر أن تموت

روايات الهلال
Rewayat Al Hilal

سلسلة شهرية لنشر القصص العالمي

تصدر عن
مؤسسة دار الهلال

الإصدار الأول:
يناير ١٩٤٩

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

سكرتير التحرير
محمود قاسم

ثمن النسخة

سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان [illegible] ليرة - الأردن ٢ دينار - الكويت ١.٥ دينار - السعودية ١٥ ريالا - البحرين ١.٥ دينار - قطر ١٥ ريالا - دبي/أبو ظبي ١٥ درهما - سلطنة عمان ١.٥ ريال - المغرب ٣٥ درهما.

العدد ٦٢٧
مارس ٢٠٠١ ● ذو الحجة ١٤٢١هـ
No - 627 - MAR - 2001

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي (١٢ عددا) ٦٠ جنيها داخل ج . م . ع تسدد مقدما نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٥ دولارا - امريكا واروبا واسيا وافريقيا ٥٠ دولارا - باقي دول العالم ٦٠ دولار

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفي لامر مؤسسة دار الهلال - ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد

للاشتراك في الكويت: السيد عبد العال بسيوني زغلول الصفا ص ب ٢١٨٣٣ (13079) ت ٤٧٤١١٦٤

الادارة: القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت: ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) المكاتبات: ص ب ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدي ١١٥١١ - تلغرافيا المصور - القاهرة ج م ع

تلكس: TELEX 92703 hilal u n
فاكس: FAX 3625469

عنوان البريد الإلكتروني:
darhilal@idsc.gov.eg

فيرونيكا تقرر أن تموت

تأليف
باولو كويلهو

ترجمة
ظبية خميس

●

دار الهلال

في ٢١ نوفمبر ١٩٩٧ ، قررت فيرونيكا أن لحظة انتحارها قد حانت أخيراً. وبعناية نظفت الغرفة التي استأجرتها في دير الراهبات ، أطفأت التدفئة ، نظفت أسنانها واستلقت.

تناولت علب حبوب النوم الأربع من طاولة السرير ، وبدلاً من سحق الحبوب ومزجها في الماء ، قررت أن تبتلعها واحدة تلو الأخرى ، لأن هناك دائماً مسافة بين النية والفعل ، وقد أرادت أن تكون حرة في التراجع عن القرار في منتصف الطريق. ولكن ، مع كل حبة تبتلعها ، [illegible] أكثر من قرارها ، بعد خمس دقائق كانت العلب خاوية.

وبما أنها لم تعرف بدقة كم سيستغرقها من الوقت لكي تفقد وعيها ، وضعت على السرير عدد هذا الشهر من المجلة [illegible] ، [illegible] والتي وصلت للتو إلى المكتبة التي تعمل بها . لم يكن لديها اهتمام خاص بعلم الكمبيوتر ، ولكن ، حينما [illegible] في المجلة ، وجدت مقالاً عن لعبة للكمبيوتر [illegible] من تأليف باولو كويلهو ، كاتب برازيلي [illegible] في [illegible] بين الجمهور [illegible] ، [illegible] بعض الكلمات [illegible] من [illegible] فندقه ، [illegible] وقد كان هناك الكثير من الأشخاص هناك ، [illegible] الفرصة لها [illegible] حول أي شيء.

غير أن [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] أن تنضم [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] فيرونيكا [illegible] حول الكمبيوتر ، [illegible] [illegible] على الإطلاق ، غير أن ذلك كان منسجماً مع ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] على سبيل المثال.

www.liilas.com
MALLOULI

الغلاف الثالث :
[illegible]

ولدهشتها ، وبالرغم من أن السطر الأول من النص صدمها خارج سياق استسلامها الطبيعى (لم يكن المتوم قد تحلل تماماً فى معدتها ، لكن فيرونيكا كانت مستسلمة بطبيعتها)، ولأول مرة فى حياتها جعلها تتأمل حقيقة مثل شائع بين أصدقائها:

(لا شيء يحدث فى هذا العالم بالصدفة).

لماذا السطر الأول ، وفى تلك اللحظة بالتحديد عندما شرعت فى الموت؟ وما هى الرسالة الخفية التى وجدتها أمامها ، على افتراض أن هناك شيئاً ما مثل الرسالة الخفية بدلاً عن الصدف المحضة. تحت الرسم التوضيحى للعبة الكمبيوتر ، بدأ الصحفى مقالته متسائلاً : «أين سلوفينيا؟».

«حقيقة» ، فكرت ، «لا أحد يعرف أين سلوفينيا». ولكن سلوفينيا موجودة بالفعل ، وكانت فى الخارج، داخل الجبال المحيطة بها وفى الميدان الذى تنظر إليه: سلوفينيا كانت موطنها.

وضعت المجلة على جنب ، لم تعد هناك أهمية الآن للجدل مع عالم لايعرف شيئاً مطلقاً عن السلوفينيين، شرف أمتها لم يعد يعنيها . كان هذا هو الوقت لتشعر بالفخر بنفسها ، ولتتذكر أنها كانت قادرة على فعل هذا ، وأنها أخيراً صاحبتها الشجاعة لتغادر هذا العالم: أية متعة ! وكذلك أن تفعله كما حلمت – بأخذ الحبوب المنومة ، والتى لاتترك أثراً.

حاولت فيرونيكا الحصول على هذه الحبوب لمدة ستة أشهر تقريباً، وقد ظنت أنها لن تستطيع تدبير ذلك، ورجحت حتى أن تقطع شرايين يديها بدلاً من ذلك . لم يكن مهماً أن تغتسل الغرفة بالدماء ، وأن تترك الراهبات مع الشعور بالحيرة والتشوش والحزن، لأن الانتحار يتطلب أن يفكر الناس فى ذواتهم أولاً وفى الآخرين أخيراً . كانت على استعداد أن [illegible] لايسبب انتحارها سوى أقل قدر من الإزعاج، [illegible] الطريقة

الوحيدة ، لكانت بلا خيارات – والراهبات يستطعن تنظيف الغرفة ونسيان القصة برمتها، وإلا فإنهن سيجدن صعوبة فى تأجير الغرفة من جديد . قد تعيش فى نهاية القرن العشرين، إلا أن الناس مازالوا يؤمنون بالأشباح .

واضح أن بإمكانها أن تقذف بنفسها من فوق إحدى البنايات الشاهقة القليلة فى لجوبلجانا، لكن ماذا عن عواقب العذاب الذى ستسببه لوالديها بالسقوط من ارتفاع كهذا ؟ فبالإضافة إلى الصدمة التى سيتلقانها عند معرفة أن ابنتهما ماتت ، فإن عليهما أيضاً التعرف على جثة مشوهة ، لا ، سيكون بديلا أسوأ من النزيف حتى الموت لأنه سيترك علامات لا يمكن إنكارها على شخصين لم يريدا لها إلا الأفضل.

سوف يعتادان على موت ابنتهما مع الوقت، لكنه سيكون من المستحيل نسيان جمجمة مهشمة).

طلقات الرصاص ، القفز من بناية عالية، الشنق، لم تناسب أى من هذه الخيارات طبيعتها الأنثوية . فالنساء ، عندما ينتحرن، يخترن طرقاً أكثر رومانسية مثل قطع شرايين المعصمين أو تناول عدد أكبر من الحبوب المنومة، الأميرات المهجورات ونجمات هوليوود قدمن أمثلة متعددة على ذلك.

تعلم فيرونيكا أن الحياة هى مسألة انتظار اللحظة المواتية للفعل . وهكذا قد ثبت . وكرد فعل على شكواها المتكررة أنها لاتستطيع النوم ليلاً ، استطاع إثنان من أصدقائها الحصول على علبتين نفاذتين من المخدر ، يستخدمه الموسيقيون فى النوادى الليلية المحلية . تركت فيرونيكا العبوات الأربع قرب سريرها لمدة أسبوع، لتغازل التقرب من الموت وتقول وداعاً – بغير عاطفية على الإطلاق – لما يدعوه الناس بالحياة.

الآن هى هناك ، سعيدة أنها قطعت كل الطريق ، وضجرة لأنها لم تعرف ماذا [illegible] بالوقت القليل المتبقى لها.

فكرت مرة أخرى فى السؤال الغريب الذى قرأته للتو . كيف يمكن لمقال حول الكمبيوتر أن يبدأ بافتتاحية حمقاء :

«أين تقع سلوفينيا؟».

ولأنه لم يكن لديها ماتفعله ، فقد قررت أن تقرأ المقال كاملاً وعلمت أن لعبة الكمبيوتر إياها صنعت فى سلوفينيا –البلد الغريب الذى لايبدو أن أحداً يستطيع تحديد موقعه ، سوى الذين يعيشون فيه – لأنه كان مكانا رخيصاً للعمالة . منذ شهور قليلة مضت ، عندما أشهرت البضاعة ، قام المصنع الفرنسى بعمل حفل للصحفيين من مختلف أرجاء المعمورة فى قصر فى فليد.

تذكرت فيرونيكا أنها قرأت شيئاً عن الحفل الذى كان حدثاً فى المدينة ، ليس فقط لأن القصر كان قد أعيد ديكوره ليتماشى بقدر الإمكان مع طقس القرون الوسطى للسى . دى روم ولكن بسبب المجادلات فى الصحافة المحلية : صحفيون من ألمانيا، فرنسا ، بريطانيا ، إيطاليا وإسبانيا كانوا مدعوين، لكن لم يكن هناك صحفى واحد من السلوفيتيين.

مراسل مجلة الرجل الفرنسية – والذى كان يزور سلوفينيا للمرة الأولى ، مع تكاليف مدفوعة سلفاً بلاشك، ومصمماً على أن يقضى زيارته مثرثراً مع صحفيين آخرين، ومفترضاً أنه يصنع تعليقات شيقة ومستمتعاً بالأكل والشرب المجانى فى القصر – قرر أن يبدأ مقاله بدعابة لابد أنها متوافقة مع مثقفى بلده. ولعله أخبر زملاءه الصحفيين فى المجلة بنوادر وقصص عديدة غير حقيقية عن العادات المحلية أيضاً، وقال إن النسا ، السلوفينيات رثات الذوق فى الملابس.

كانت هذه مشكلته هو . كانت فيرونيكا تحتضر ، ولديها هموم أخرى ، مثل التساؤل عن وجود حياة بعد الموت ، أو متى سيعثرون على جثتها . وبالرغم من ذلك – أو ربما بسبب قرارها بالبحث المهم والذى [illegible] فقد أزعجها المقال.

نظرت خارج نافذة الدير والمطلة على ميدان صغير فى لجوبلجانا . «إذا كانوا لايعرفون أين سلوفينيا، إذن فإن لجوبلجانا . هى أسطورة». فكرت . مثل الأطلنطس أو ليموريا ، أو أى من القارات الضائعة الأخرى والتى تملأ خيالات الرجال . لا أحد ، فى أى مكانٍ من العالم، سيبدأ مقاله بالتساؤل عن مكان جبل إيفريست، حتى لو لم يذهبوا أبداً إلى هناك . ومع ذلك ، وفى وسط أوروبا ، لم يشعر صحفى يعمل فى مجلة مرموقة بالخجل من طرح ذلك السؤال ، لأنه يعلم أن معظم القراء لايعرفون أين سلوفينيا ، ويجهلون أكثر عاصمتها، لجوبلجانا .

إنها اللحظة التى عثرت فيها فيرونيكا على طريقة لقضاء الوقت ، الآن بعد أن مرت عشر دقائق ومازالت لم تلحظ أية طوارىء جسدية . سيكون المشهد الأخير من حياتها أن تكتب رسالة إلى المجلة ، تشرح فيها أن سلوفينيا هى إحدى خمس جمهوريات كانت تكون يوغسلافيا المقسمة.

ستكون الرسالة ورقة انتحارها . لن تعطى أى تبريرات خلف السبب الحقيقى لموتها .

عندما يعثرون على جثتها ، سيستنتجون أنها قتلت نفسها لأن مجلة لم تعرف موقع وطنها . قهقهت وهى تفكر فى الجدل الذى ستثيره الصحف ، والانقسامات بين وجهات النظر المؤيدة والمعارضة لانتحارها المرتكب نخباً لشرف وطنى . وقد صدمت فى مدى سرعة تغييرها لرأيها ، وخاصة أنها فكرت العكس منذ قليل، أن العالم والمشاكل الجغرافية الأخرى لم تعد تثير اهتمامها .

كتبت الرسالة . كادت هذه اللحظة من المرح الطيب تجعلها تعيد التفكير حول حاجتها لأن تموت ، لكنها ابتلعت الحبوب بالفعل ، وكان الوقت قد تأخر للعودة إلى الخلف .

[illegible]، كانت قد مرت عليها لحظات طويلة من قبل، إلى جانب أنها لم تكن تعتقد أنها جريئة إلى [illegible] جرأة مرحة [illegible] شيئاً في [illegible] أن تحمل - من [illegible] - في [illegible] على الميدان الصغير [illegible] الشاطئ [illegible] أحست كأنها تمشي على الهواء بسبب [illegible] على [illegible] الميدان. كان في [illegible]

[illegible] جداً [illegible] ، كانت [illegible] من الناس [illegible]

[illegible] الأول [illegible]

[illegible]

[illegible] الثاني [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أنها على [illegible] أن [illegible] السؤال [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

www.liilas.com Mallouli

عندما فتحت فيرونيكا عينيها لم تفكر أن «هذه هى الجنة» . الجنة ليس بها ضوء نيون لإضاءة الغرفة، والألم - الذي بدأ بعد ثانية - كان مألوفاً فى الأرض . آه، الألم الأرضي - خاص، ومحدد.

حاولت أن تتحرك ، ازداد الألم . بدت سلسلة من النقط الضوئية ، ورغم ذلك فان فيرونيكا أدركت أن هذه النقط ليست نجوم الجنة ، لكنها توابع الألم المركز الذى تحس به .

«بدأت فى التنبه»، سمعت امرأة تقول . «لقد سقطت على وجهك فى الجحيم، وعليك أن تصنعى أفضل مافى ذلك».

كلا ، لا يمكن أن يكون حقيقياً ، هذا الصوت يخدعها . لم يكن الجحيم ، شعرت ببرد قارص واعية للأنابيب البلاستيكية الخارجة من أنفها وإحدى تلك الأنابيب - فى حنجرتها - جعلتها تشعر بالاختناق.

حاولت أن تحركها ، لكن معصميها كانا موثقين .

«إننى أمزح، ليس هو الجحيم بالفعل»، واصل الصوت قوله . «إنه أشد سوءاً من الجحيم ، مع أننى لم أذهب إلى هناك . أنت فى فيليت».

بالرغم من الألم والشعور بالاختناق ، لاحظت فيرونيكا ما حدث . حاولت أن تقتل نفسها وانقذها شخص ما . من الممكن أن تكون إحدى الراهبات، أو صديق قرر فجأة أن يزورها دون سابق علم ، أو شخص يوصل طلبية نسيت أنها طلبتها . الحقيقة أنها قد أنقذت ، وأنها فى فيليت.

فيليت ، المصحة العقلية المشهورة والمخيفة ، والتى وجدت منذ عام ١٩٩١، عام الاستقلال الوطنى لبلدها . فى ذلك الوقت ، متصورين أن تقسيم يوغسلافيا السابقة سيتم بطرق سلمية (بعد كل شيء عاشت سلوفينيا أحد عشر يوماً من الحرب فقط). وحصلت مجموعة من رجال الأعمال الأوروبيين على تصريح لإنشاء

مستشفى المرضى العقليين في أرض سويسرية [illegible] قديم [illegible] البالغة المشروع.

ولكن يوجد نحو [illegible] لتلقي المرضى، أولاً في غرفتها، ثم [illegible]، وقد أقل تلك [illegible] الأعمال، كانت الأموال الآتية المستشفى من الإنسانيين موزعة في أرجاء العالم، من أشخاص لم يعرفوا حتى أسماءهم، وهكذا لم تكن هناك حاجة إلى السؤال أمامهم، وتقديم التبريرات والطلب منهم بأن يكونوا صبورين، حتى الإشكالية [illegible] الأكثر [illegible]، وللأقلية الصغيرة التي خرجت الآن من التجربة [illegible] رمزاً [illegible] أن تظل في المستشفى، كل [illegible].

لم يكن هناك [illegible] في [illegible]، ولكن وسط رغبتهم في التخلص من بعض الأعضاء القلقة بسبب خلافات حول الوراثة أو سلوكيات محرجة، كانوا يدفعون مبالغ الباهظة [illegible] في [illegible] لهم أو لرؤيتهم [illegible] بعيداً من [illegible] أو تبرير بعض المواقف التي تنتهي [illegible] طويلة [illegible] في المصحة ثم يخرجوا دون أن يدفعوا ثمن أية أحكام أو قرارات [illegible].

[illegible] كان [illegible] أن [illegible] أحد [illegible] الأطباء [illegible] إلى هنا [illegible] من [illegible] والمستشفيات الأخرى [illegible] في [illegible] المستشفى [illegible] المسؤولين لم يحصلوا على [illegible] شيء [illegible] في [illegible] لم [illegible] على [illegible]

والتوابل [illegible] عن [illegible] الاستعمار الكلي في [illegible] وهكذا [illegible] الصحة [illegible] الثقة [illegible] قوتها.

[illegible] بعد [illegible] الصوت [illegible] كانت [illegible] من الشروع حتى من [illegible] تنقص [illegible] معظم الوقت، كان [illegible] يحنو.

حاولت فيرونيكا أن تحول رأسها نحو الصوت، لكنها فشلت.

[illegible] مرة واحدة فقط [illegible] زوجها [illegible] والأرض [illegible] بعض الوقت [illegible] بعض الزجاج [illegible] التي [illegible] كانت [illegible] كانت [illegible] من أجل شيء ما، [illegible] بالحياة والقدرة على مواجهة [illegible] التي لم [illegible].

[illegible] ذلك [illegible] فيرونيكا، غير قادرة على النطق [illegible] وليس [illegible].

[illegible] الأخير [illegible] زوجها [illegible] المرأة [illegible] السابقة [illegible] أنها تريد أن [illegible] من [illegible] في المستشفى [illegible] بعد زيارة [illegible] من [illegible] تريد أن [illegible].

لم يحصلوا أحد [illegible] تركت رسالة على [illegible] يقول فيها [illegible] المستشفى [illegible] إلى الرسالة مرات [illegible] لم [illegible] من [illegible] إلى [illegible] أنها لم تكن [illegible] لم تستطع مواجهة الحياة.

أحست فيرونيكا بالتعاطف مع المرأة التى تروى القصة، لأنها بدت وكأنها تفعل ذلك كمحاولة لفهم موت خالتها . وفى عالم يكافح فيه الجميع من أجل البقاء أياً كان ثمن ذلك، كيف يستطيع المرء أن يحكم على الأشخاص الذين قرروا الموت؟

لا أحد يستطيع أن يحاكم . كل إنسان يعرف مدى عذاباته ومعاناته ، أو الغياب الكامل لمعنى حياته. فيرونيكا أرادت أن تشرح ذلك ، وبدلاً من ذلك اختنقت بالأنبوب فى فمها وعاجلت المرأة بمساعدتها .

رأت المرأة تنحنى على جسدها الموثق ، والمملوء بالأنابيب ضد إرادتها، حركت رأسها من جانب إلى جانب ، تتوسل بعينيها لهم ان يزيلوا الأنابيب ويدعوها تموت بسلام.

قالت المرأة : «أنت غاضبة ، لا أعرف إن كنت آسفة لما ارتكبته أو مازلت تودين أن تموتى ، هذا لا يهمنى . مايهمنى أن أقوم بعملى . عندما يثور المريض، فإن التعليمات تقضى أن أعطيه مخدرا».

توقفت فيرونيكا عن المقاومة ، لكن الممرضة كانت تحقنها بالفعل بشىء تحت إبطها . بعد ذلك بقليل ، كانت عادت إلى عالم غريب بلا أحلام ، حيث الشىء الوحيد الذى تتذكره هو وجه المرأة التى رأتها، العيون الخضراء ، الشعر البنى ، والمسافة البعيدة، مسافة شخص يمارس الأشياء لأن عليه أن يفعل ذلك دون أن يستفسر عن هذا أو ذاك من الأحكام.

باولو كويلهو سمع عن قصة فيرونيكا بعد ثلاثة أشهر، عندما كان يتناول العشاء في مطعم جزائري في باريس مع صديقة سلوفينية ، تدعي أيضا فيرونيكا ، والتي حدث أن تكون إبنة الطبيب المسئول في فيليت .

فيما بعد ، حين قرر أن يكتب كتاباً حول الموضوع، فكر فى أن يغير اسم صديقته حتى لايربك القارىء. فكر في أن يسميها بلازكا أو إدوينا أو ماريتزشا، أو أى اسم سلوفينى آخر ، إلا أنه انتهى إلى الاحتفاظ بالأسماء الحقيقية. عندما كان يذكر صديقته فيرونيكا، سيدعوها صديقتى فيرونيكا. وحين يذكر فيرونيكا الأخرى ، لن تكون هناك حاجة تقتضى أن يصفها على الإطلاق، لأنها ستكون الشخصية المحورية للكتاب ، والناس سينزعجون من تكرار قراءة ، فيرونيكا المرأة المجنونة، أو (فيرونيكا التى حاولت الانتحار). بالإضافة إلى أن ، هو وصديقته فيرونيكا سيأخذان جزاء يسيراً من هذا الكتاب، هذا الجزء.

ارتعبت صديقته فيرونيكا مما فعله أبوها، خصوصاً مع الأخذ فى الاعتبار أنه مدير المصحة كما أنه شخص يبحث عن الاحترام والمصداقية وهو نفسه كان يعمل على أطروحة ستجاز عبر مجتمع اكاديمى تقليدى.

«هل تعرف مصدر كلمة «مصحة»؟ «كانت تقول . «إن ذلك يعود إلى العصور الوسطى ، من حق الشخص فى البحث عن ملجأ فى الكنائس والأماكن المقدسة الأخرى. إن حق المصحة هو شىء يتفهمه أى شخص متحضر . لذلك كيف يستطيع أبى ، مدير المصحة ، أن يعامل شخصاً كهذا؟».

أراد باولو كويلهو أن يعرف كل التفاصيل لما قد حدث، لأن لديه سببا أصيلاً لمعرفة قصة فيرونيكا.

كان السبب هو التالى : أنه نفسه كان نزيل مصحة، مستشفى عقلى بالتحديد كما كان يعرف ، فيما قبل . لم يحدث هذا مرة واحدة، لكن ثلاث مرات ، فى أعوام

١٩٦٥ ، ١٩٦٦و١٩٦٧ . المكان الذى دخله كان مستشفى در. إيراس فى ريو دى جانيرو.

السبب المحدد لقبوله في المستشفي يبدو غريباً حتي اليوم ، ربما حار أهله بسلوكه غير المعتاد ، نصف خجول ، نصف استعراضى، ورغبته فى أن يكون «فناناً» ، شيء اعتبره كل فرد فى عائلته وصفة تامة للانتهاء إلى منبوذ اجتماعى أو الموت بؤساً.

عندما فكر به - ويجب أن يقال ، إنه نادراً مايفعل - اعتبر أن المجنون الحقيقى هو الطبيب الذى قبل أن يحجره لأسباب واهية.

قهقه باولو حينما علم عن الرسالة التى بعثت بها فيرونيكا إلى المجلة تاركة إياها خلفها ، متذمرة من أن مجلة فرنسية مهمة لاتعرف حتى أين تقع سلوفينيا.

«لا أحد يقتل نفسه لسبب مثل هذا».

«لهذا لم تكن الرسالة مؤثرة»، قالت صديقته فيرونيكا، محرجة. «بالأمس ، عندما وصلت إلى الفندق ، ظن مسئول الاستقبال أن سلوفينيا مدينة ألمانية.

كان يعرف الشعور ، لأن أجانب كثيرين يعتقدون أن مدينة بوينس آيريس الأرجنتينية هى عاصمة البرازيل.

ولكن بخلاف أن أجانب كثيرين يعبرون عن إعجابهم بجمال بلدة وعاصمتها (التى توجد فى الدولة المجاورة الأرجنتين) كان باولو كويلهو يشارك فيرونيكا الحقيقة التى ذكرتها للتو ، ولكن ومما يستحق الذكر: أنه هو أيضاً تم حجزه فى مستشفى عقلى ، وكما قد علقت زوجته الأولى ذات مرة ، (كان يجب ألا يطلق سراحه أبداً).

لكنه سُرح بالفعل . وعندما ترك المستشفى للمرة الأخيرة ، مقرراً عدم العودة من جديد ، عاهد نفسه علي وعدين :

(أ) أنه فى يوم ما سوف يكتب فى الموضوع .

(ب) أنه سينتظر حتى يموت والداه حتى لا يجرح مشاعرهما ، وخصوصاً أن الإثنين قضيا سنوات طويلة يلومان نفسيهما لما حدث بالفعل.

ماتت أمه عام ١٩٩٣ ، لكن أباه ، الذى بلغ الرابعة والثمانين فى ١٩٩٧ ، مايزال حياً ويكامل قواه العقلية وصحته ، بالرغم من متاعب الرئة (علماً بأنه لم يكن يوماً من المدخنين) وبالرغم من عيشه كاملاً على الطعام المجمد لأنه لايستطيع العثور على خادمة تستطيع احتمال مزاجيته.

وهكذا ، حين سمع باولو كويلهو عن قصة فيرونيكا، اكتشف الطريق للحديث عن الموضوع بدون أن يخل بوعوده لنفسه ، وبالرغم من أنه لم يفكر يوماً فى الانتحار ، كانت لديه معرفة حميمة بعالم المستشفى العقلى - المعالجات ، العلاقة بين الأطباء والمرضى، الراحة والقلق من الحياة فى مكان كهذا .

لذا دعونا تسمح لباولو كويلهو وصديقته فيرونيكا، أن يتركا هذا الكتاب للأبد ودعونا نذهب إلى القصة نفسها.

فيرونيكا لم تعرف كم طال نومها . تذكرت أنها استيقظت منذ لحظة سابقة – ومازالت أنابيب إمداد الحياة في فمها وأنفها – وتسمع صوتاً يقول :

«هل ترغبين أن تستحمي؟»

ولكن الآن ، وهي تجول بعينيها مفتوحة في أرجاء الغرفة ، لم تعرف لو كان ذلك حقيقياً أم من صنع أوهامها . باستثناء تلك الذكرى الوحيدة ، لم تستطع تذكر شيء ، لا شيء على الإطلاق .

كانوا قد أزالوا الأنابيب ، ولكن هناك إبراً على كل جسدها ، ووصلات مربوطة حول قلبها ورأسها ، ومعصماها مازالا موثقين . كانت عارية ، مغطاة بلحاف خفيف أحست بالبرد ، لكنها كانت مصممة على عدم الشكوى . المساحة الصغيرة المحاطة بالستائر الخضر مملوءة بالسرير الذي كانت ترقد عليه ، أجهزة العناية المركزة وكرسي أبيض تجلس عليه ممرضة تقرأ كتاباً .

هذه المرة ، كان للمرأة عينان داكنتان وشعر بني ، ومع ذلك ، فإن فيرونيكا لم تكن متأكدة إذا كانت الشخص نفسه التي تحدث منذ ساعات ، أو أيام مضت .

«هل تستطيعين فك قيود يدي؟»

نظرت الممرضة لأعلى وقالت بصرامة «لا» وعادت إلى كتابها .

أنا حية ، فكرت فيرونيكا . كل شيء سوف يبدأ من جديد . سأضطر للبقاء هنا بعض الوقت ، حتى يروا أنني طبيعية تماماً . فيطلقون سراحي وسأرى شوارع ليوبليانا من جديد ، الميدان الرئيسي ، الجسور ، والناس يذهبون ويعودون من العمل .

وبما أن الناس يميلون إلى مساعدة الآخرين – حتى يشعروا بأنهم أفضل مما هم عليه فى الحقيقة – سيمنحوننى عملى من جديد ، وسأبدأ فى التردد على نفس البارات والنوادى الليلية ، وسأتحدث مع أصدقائى عن مظالم ومشاكل العالم ، سوف أذهب إلى السينما ، وأتنزه حول البحيرة .

وبما أننى تناولت حبوبا منومة ، فإننى لن أكون مشوهة بأى شكل : مازلت شابة ، جميلة ، ذكية ، ولن أجد صعوبة في العثور على عشاق ، لم أعان من هذه المشكلة مطلقاً ، سأمارس الحب معهم فى بيوتهم ، أو فى الغابات ، وسأشعر بمتعة ما ، لكن عند وصولى للذروة ، سيعاودنى الشعور بالخواء . لن يكون لدينا الكثير لنتحدث حوله ، ومعاً أنا وهو سنعرف ذلك .

سيأتى الوقت لنصنع الأعذار – «الوقت متأخر» ، أو «على أن أستيقظ مبكراً فى الغد» – وسنفترق بأسرع وقت ممكن ، متجنبين النظر فى عيون بعضنا البعض .

سأعود إلى غرفتى فى الدير . وأحاول أن أقرأ كتاباً ، وأن أفتح التليفزيون لأرى نفس البرامج القديمة ، وأجهز ساعة المنبه لأستيقظ تماماً فى الوقت نفسه الذى استيقظت فيه فى اليوم السابق وأنفذ عملى ومهامى فى المكتبة بشكل آلى . سآكل ستدويتش فى الحديقة مقابل المسرح ، جالسة على نفس الكرسى ، مع آخرين يختارون نفس الكراسي ليجلسوا عليها ويتناولوا الغداء ، بشر لهم نفس النظرة الخاوية ، لكنهم يتظاهرون باستغراقهم الشديد فى أمور مهمة .

ثم سأعود إلى العمل ، وأستمع إلى النميمة حول من تصاحب من ، ومن يعانى من ماذا ، وكيف أن فلانة غارقة فى دموعها بسبب زوجها ، وسأترك بصحبة شعور بالتميز لأننى جميلة ، لدى عمل ، واستطيع أن أحصل على أى رجل أختار . وسوف أعود إلى البارات فى آخر النهار ، وكل شيء سيكرر نفسه من جديد .

أمي ، والتي لابد أنها فقدت صوابها بسبب محاولة انتحاري ، ستخرج من الصدمة وتعاود سؤالى عما أريد أن أفعله بحياتى ، ولماذا أنا لست مثل الأخريات، وأن الأمور ليست بالتعقيد الذى أظنه . «أنظرى إلىّ ، مثلاً ، أنا متزوجة من والدك منذ سنين ، حاولت أن أمنحك أفضل تنشئة وأن أكون أفضل قدوة لك» .

يوماً ما ، سوف أضجر من كلامها المكرر ، ولأرضيها سوف أتزوج رجلاً أقنع نفسي بحبه . هو وأنا سننتهي إلى الحلم بمستقبل مشترك: منزل في الريف ، أطفال ، ومستقبل أطفالنا . ستمارس الحب كثيراً فى العالم الأول ، وأقل فى العالم الثانى ، وبعد العالم الثالث ، ربما يبدأ الناس فى التفكير فى الجنس مرة كل أسبوعين ، ويعيشون الفكرة عملياً مرة فى الشهر . والأسوأ من ذلك أننا قليلا ما سنتحدث . سأرغم نفسى على قبول الحال ، وأطرح تساؤلات حول عيوبى وأخطائى ، لأنه لن يعود راغباً فىّ ، وسيتجاهلنى ، ولن يفعل شيئا غير الحديث عن أصدقائه ، وكأنهم عالمه الحقيقى .

وعندما يشرع الزواج فى الانهيار ، سوف أقرر أن أحمل . سيكون لدينا طفل، وسنشعر بالتقارب لوقت ما ، وبعد ذلك سيعود الحال إلى ماكان عليه .

سأبدأ فى السمنة مثل خالة تلك الممرضة التي كانت تحدثني بالأمس – أو ربما منذ أيام مضت ، لا أدرى . وسأحاول أن أتبع ريجيما غذائياً، وأهزم يومياً ، بانتظام ، وأسبوعياً ، بالوزن الزائد الذى سيستمر فى التسلل إلى رغم كل محاولات السيطرة التى سأمارسها . وعند هذه النقطة ، سوف أبتلع الحبوب السحرية التى توقف شعورك بالاكتئاب ، وسألد المزيد من الأطفال ، الذين سأحمل بهم خلال الليالى التى يمارس الحب فيها سريعاً .

سأقول للجميع إن الأطفال هم سبب حياتى ، بينما الحقيقة هى أن حياتى هى سبب إنجابهم .

سيعتبرنا الناس ثنائياً سعيداً ، ولن يعرف أحدكم مدى الوحدة ، والوحشة واليأس تحت سطح تلك السعادة .

حتى يأتي ذلك اليوم ، حين يتخذ زوجي لنفسه عشيقة للمرة الأولى ، وسوف أثير زوبعة مثل خالة تلك المرضة ، أو أعاود التفكير في قتل نفسي ، رغم أنني سأكون أكبر سناً وأكثر جبناً ، ومسئولة عن احتياجات طفلين أو ثلاثة ، وسوف أضطر إلى تربيتهم ومساعدتهم ليجدوا مكاناً في هذا العالم قبل أن أهجر كل شيء . لن أقوم بالانتحار : سأعمل فضيحة ، وأهدد بالمغادرة بصحبة أطفالي . ومثل كل الرجال ، سيعود إليّ زوجي ، ويخبرني بأنه يحبني وأن خطأه لن يتكرر مرة أخرى . ولن يخطر في باله ، أنني لو قررت هجره بالفعل ، سيكون خياري الوحيد هو العودة إلى منزل والدي والبقاء هناك حتى آخر العمر ، مرغمة على الاستماع إلى أمي مكررة ثرثرتها طوال اليوم حول كيف أضعت فرصتي الوحيدة لأكون سعيدة ، وأنه كان زوجاً رائعاً بالرغم من نزواته ، وأن أطفالي سيتعقدون من ذلك الفراق .

بعد عامين أو ثلاثة ، ستظهر امرأة أخرى في حياته . سأكتشف ذلك - لأنني رأيتهما ، أو لأن شخصاً ما أخبرني بذلك - لكن هذه المرة سأتظاهر بأنني لا أعلم. لقد أهدرت كل طاقتي في محاربة العشيقة الأولى ، ولم تعد لدي طاقة ، ومن الأفضل أن أقبل الحياة كما هي عليه في الحقيقة ، وليس كما تخيلتها . لقد كانت أمي محقة .

سيستمر في كونه زوجاً مهذباً ، وسأستمر في العمل في المكتبة ، وأكل السندويتشات في الميدان مقابل المسرح ، وفي قراءة كتب لا أكملها ، ومشاهدة برامج التليفزيون المكررة كما هي منذ عشرة ، عشرين ، خمسين عاما مرت .

غير أنني سألتهم شطيرتين بإحساس بالذنب ، لأنني أزداد سمنة ، ولن أذهب إلى الباوات بعد ذلك لأن لدى زوجا يتوقع منى العودة إلى المنزل مبكراً ورعاية الأطفال .

بعد ذلك ، سيكون الأمر هو انتظار أن يكبر الأطفال وقضاء كل اليوم في التفكير في الانتحار ، دون أن أملك الشجاعة لتنفيذ ذلك . ويوماً ما ، سأتوصل إلى أن هذه هي الحياة ، وأنه من غير المجدى القلق حول ذلك ، لا شيء سوف يتغير . وسوف أقبل ذلك .

أنهت فيرونيكا المونولوج بداخلها وعاهدت نفسها أنها لن تغادر فيليت حية . من الأفضل وضع نهاية لكل شيء الآن ، وهي مازالت شجاعة وقادرة على الموت .

غاصت في النوم واستيقظت عدة مرات ، ملاحظة أن عدد الآلات الطبية حولها قد قل ، وأن دفء جسدها يزداد ، وأن وجوه الممرضات تتغير . لكن كان دائماً شخص بقربها . ومن خلال الستائر الخضراء سمعت صوت شخص ما يبكي ، انتحاب ، أو أصوات تهمس بهدوء ، نغمات آلية . ومن وقت لآخر ، ترن آلة بعيدة وتسمع خطوات راكضة في الممر . عندئذ ستفقد الأصوات هدوءها ، ونغمتها الآلية وستصبح متوترة ، ملقية بأوامر سريعة .

وفي إحدى لحظات صحوها ، سألتها ممرضة :

«ألا تريدين أن تعرفي كيف أنت» ؟

ردت فيرونيكا «أعرف بالفعل ، وما أعرفه لا علاقة له بما ترينه يحدث لجسدي . إنه ما يحدث في روحي» .

حاولت الممرضة مواصلة الحوار ، لكن فيرونيكا تظاهرت بالنوم .

عندما فتحت عينيها مرة أخرى ، لاحظت أنها انتقلت إلى مكان ما ، كان أشبه بجناح كبير . ومازال الأنبوب في يدها ، ولكن كل الأنابيب الأخرى والإبر قد أزيلت .

طبيب طويل ، يرتدى المعطف الأبيض التقليدى ، يبدو فى تناقض حاد مع الأسود الصناعي الذى صبغ به شعره ولحيته ، كان واقفاً قرب قدميها عند حافة السرير . وبجانبه ، طبيب شاب متدرب يمسك باللوحة الطبية مسجلاً الملاحظات .

«منذ متى وأنا هنا» ؟ سألت ، ملاحظة أنها نطقت بصعوبة ، متلعثمة فى كلماتها ، قليلاً .

« قضيت فى هذا الجناح أسبوعين ، وخمسة أيام فى وحدة العناية المركزة» أجاب الرجل الكبير ، «وكونى ممتنة أنك مازلت هنا» .

بدا الشاب مستغرباً ، وكأن تلك الملاحظة الأخيرة لم تتناسب مع الحقائق. فيرونيكا لاحظت رد فعله مباشرة ، واستيقظ حدسها : هل كانت هنا لمدة أطول ؟ هل مازالت عرضة لخطر ما ؟ بدأت تنتبه لكل تعبير وحركة يقوم بها الرجلان ، كانت تعلم أنه من غير المجدى أن تطرح الأسئلة ، لن يخبراها بالحقيقة مطلقاً ، لكن إذا كانت ذكية ، فسوف تعرف ما يحدث .

قال كبير الأطباء : «أخبرينى باسمك ، عنوانك ، وضعك الاجتماعى ، وتاريخ ميلادك» ، كانت فيرونيكا تعرف اسمها ، ووضعها الاجتماعى ، وتاريخ ميلادها ، لكنها لاحظت أن هناك فراغات فى ذاكرتها ، لم تستطع أن تتذكر عنوانها .

أشعل الطبيب ضوءاً وسلطه على عينيها وفحصهما لمدة طويلة . فعل الشاب نفس الشىء . تبادلا النظرات ، مما لا يعنى شيئا على الإطلاق .

سأل الرجل الأصغر «هل ذكرت للممرضة الليلية أننا لا نستطيع النظر إلى روحك» ؟

لم تتذكر فيرونيكا . كانت لديها صعوبة فى معرفة من كانت وما الذى تفعله هناك .

«لقد أبقيت فى نوم صناعى بتأثير المهدئات ، وهذا يؤثر على ذاكرتك قليلاً، ولكن رجاء ، حاولى الإجابة على أسئلتنا» .

وبدأ الطبيب تحقيقاً سخيفاً ، راغباً فى معرفة أسماء صحف لجوبلجانا الرئيسية ، واسم الشاعر صاحب تمثال الميدان الرئيسى (آه ، هذا ما لن تنساه إطلاقاً ، كل سلوفينى لديه صورة لبريزرين منحوتة فى روحه) ، ولون شعر أمها ، وأسماء زملائها فى العمل ، وعناوين أكثر الكتب شعبية فى المكتبة .

فى البداية ، فكرت فيرونيكا فى عدم الإجابة - مازالت ذاكرتها مشوشة - ولكن باستمرار التحقيق ، بدأت فى إعادة بناء ما قد نسيته . عند نقطة ما ، تذكرت أنها الآن فى مستشفى نفسى ، وأن المجانين غير مضطرين إلى التماسك ، لكن لمصلحتها ، ولكسب الطبيب إلى صفها ، كى ترى إذا كانت تستطيع أن تعرف أكثر حول حالتها ، بدأت فى بذل جهد فكرى . وفيما هى تتلو الأسماء والوقائع، راحت تستعيد لا ذاكرتها فقط ، ولكن أيضاً شخصيتها ، رغباتها، وكيفية رؤيتها للحياة . إن فكرة الانتحار التى بدت ، فى الصباح ، مدفونة تحت أنقاض المهدئات . طفت إلى السطح .

«حسناً» ، قال الرجل الأكبر ، فى نهاية التحقيق .

«كم علىّ أن أبقى هنا» ؟

خفض الرجل الأصغر عينيه ، وأحست كأنّ كل شىء معلق فى الهواء ، وكأنما، حينما يطرح جواب على السؤال ، سيكتب فصل جديد فى حياتها ، ولن يستطيع أى شخص أن يغيره .

قال الرجل الأكبر : «تستطيع إبلاغها، الكثير من المرضى الآخرين سمعوا

بالإشاعة ، وهى ستعرف فى نهاية المطاف ، أنه من المستحيل الاحتفاظ بالأسرار هنا» .

«حسنا ، قررت مصيرك بنفسك» ، زفر الرجل الشاب ، وازناً كل كلمة . لذا من الأفضل أن تعلمى بنتائج أفعالك : خلال الغيبوبة التى سببتها الحبوب التى تناولتها ، تلف قلبك بشكل غير قابل للإصلاح . كان هناك تعفن فى البطين» .

قال الرجل الأكبر : «ضعها فى مصطلحات مفهومة ، تحدث مباشرة» .

«لقد تلف قلبك بالكامل وعما قريب سوف يتوقف عن النبض» .

سألت مذعورة : «ما الذى يعنيه ذلك» ؟

«إذا توقف قلبك عن النبض ، فهذا يعنى الموت . لا أعرف ماهى معتقداتك الدينية ، ولكن» .

«متى سيتوقف قلبى عن النبض؟» سألت فيرونيكا مقاطعة إياه .

«فى خلال خمسة أيام ، أسبوع على الأكثر» .

لاحظت فيرونيكا أن وراء مظهره المهنى وسلوكه ، وأن وراء الاهتمام الخارجى، كان الشاب متلذذا بشدة فيما يقوله لها ، وكأنها تستحق تلك العقوبة ، وأنها ستضرب مثلاً وتكون عظة للآخرين طوال حياتها . لاحظت فيرونيكا أن كثيراً من الذين تعرفهم يتحدثون عن آلام ومصائب حيوات الآخرين وكأنهم مهتمون وقلقون بالفعل ، ولكن الحقيقة أنهم يتمتعون بمعاناة الآخرين ، لأن ذلك يجعلهم يؤمنون بأنهم سعداء جداً وأن الحياة كريمة للغاية معهم . إنها تكره هذا النوع من الأشخاص ، ولم تكن لتمنح هذا الشاب الفرصة لاستغلال حالتها ، ومن أجل أن تستفزه حدقت بعينيها فى عينيه ، وابتسمت ، قائلة» .

«لقد نجحت إذن» .

وجاء الرد : «نعم» ، لكن كل لذة كان قد أخذها وهو يمنحها الأخبار الدامية كانت قد تلاشت .

وخلال الليل ، بدأت تشعر بالخوف . كان عليها أن تموت سريعاً بعد ابتلاع الحبوب ، لكنه شيء مختلف أن تنتظر خمسة أيام أو أسبوعا حتى يجيء الموت ، بعد ما مرت بأشياء كثيرة .

لقد قضت حياتها دوماً في انتظار شيء ما : أن يعود أبوها من العمل ، في انتظـار رسالة من عاشق لم تصل أبداً ، ولنهايات امتحانات العام ، للقطار ، والأتوبيس ، المكالمة الهاتفية ، العطلة ، نهاية العطلة . الآن عليها أن تنتظر الموت ، الذى ضرب موعداً معها .

«هذا مـاكـان يحـدث إلا لى . عـادة الناس يموتون تمامـاً في اليـوم الذي لا يتوقعونه» .

عليـها أن تخرج من هناك ، وأن تحصل على حبـوب أكثر . إذا لم تسـتطع ، فالحل الوحيد أن تقفز من بناية عالية في لجوبلجانا ، حاولت أن تجنب والديها عذابات غير ضرورية ، لكنها الآن لا تملك أى خيار .

نظرت حولها . الأسرة مشغولة ببشر نائمين ، بعضهم يشخر عالياً . هناك قضبان على النوافذ . وفي آخر الجناح يطل ضوء ساطع يملأ المكان بظلال غريبة مما يعنى أن الجناح كان تحت رقابة صارمة ودائمة . اقترب الضوء ، انها امرأة كانت تقرأ كتاباً .

«لابد أن هؤلاء المرضـات مثـقـفـات جـداً ، فـهن يقضين جل حـيـاتهن فى القراءة».

كـان سـرير فيرونيكا هو الأبعد من البـاب ، بينهـا وبين المرأة هناك حوالى عشرين سريراً . قامت بصعوبة لأنها ، إذا كان عليها أن تصدق ما قاله الطبيب ، فإنهـا لم تمش منذ ثلاثة أسابيع . نظرت المرضـة ورأت الفتـاة قـادمة ، وهى تسحب زجاجة المغذى معها .

«أريد أن أذهب إلى الحمام» ، همست ، خائفة من إيقاظ النساء المجنونات الأخريات» .

انحنت المرأة نحو الباب. كان عقل فيرونيكا يعمل بسرعة ، وهي تنظر حولها بحثاً عن طريق للهروب ، فتحة طريق للخارج . «لابد أن يكون ذلك خاطفاً ، فيما هم يظنون أنني مازلت واهنة ، وغير قادرة على التصرف» .

نظرت حولها . كان الحمام مربعاً صغيراً بدون باب . إذا أرادت الخروج من هنا ، فعليها أن تشد الممرضة وتتغلب عليها لتأخذ المفاتيح منها ، لكنها مازالت ضعيفة لفعل ذلك .

«هل هذا سجن» ؟ سألت الممرضة ، التي كفت عن القراءة وأصبحت الآن تراقب كل تحركاتها .

«كلا ، انه مستشفى نفسي» .

«لكنني لست مجنونة» .

ضحكت المرأة .

«هذا ما يقوله الجميع » .

«حسناً ، إذن ، أنا مجنونة ، لكن ما الذي يعنيه ذلك» ؟

أمرت المرأة فيرونيكا ألا تقف طويلاً على قدميها ، وأعادتها إلى السرير .

«ما الذي يعنيه أن تكون مجنوناً» ؟ أصرت فيرونيكا .

«اسألي الطبيب غداً . عودي إلى النوم الآن ، وإلا سأضطر إلى حقنك بالمهدىء ، إذا رغبت في ذلك أم لم ترغبي» .

أطاعت فيرونيكا . وفي طريق عودتها ، سمعت شخصاً يهمس من أحد الأسرة:

«ألا تعرفين ما الذي يعنيه أن يكون الشخص مجنوناً ؟

وللحظة ، فكرت في تجاهل الصوت : لم تود عقد صداقات ، أو أن تطور حلقة اجتماعية ، أو تجد حلفاء لصنع ثورة شعبية . كانت لديها فكرة ثابتة واحدة : الموت . إذا لم تستطع الفرار بالفعل ، ستجد طريقة ما لقتل نفسها هنا ، في أسرع وقت ممكن .

لكن المرأة سألتها نفس السؤال الذي طرحته هي على الممرضة .

«ألا تعرفين ما الذي يعنيه أن تكون مجنونا» ؟

«من أنت» ؟

«اسمي زيدكا . عودي إلى سريرك . ثم ، حين تظن الممرضة أنك نائمة ، تسللي إلى هنا» .

عادت فيرونيكا إلى سريرها ، وانتظرت عودة الممرضة إلى مواصلة القراءة . ما الذي يعنيه أن تكون مجنوناً ؟ لم تكن لديها أدنى فكرة ، لأن الكلمة كانت تستعمل بشكل فوضوي متعدد : يقول الناس ، مثلاً ، إن بعض الرياضيين مجانين لأنهم يريدون ضرب رقم قياسي ، أو إن الفنانين مجانين لأنهم يعيشون حياة غريبة ، غير آمنة، ومختلفة عن حياة البشر العاديين . على صعيد آخر ، كانت فيرونيكا ترى أشخاصاً هؤلاء يسيرون في شوارع الجوبلجانا في الشتاء ، يدفعون بعربات السوبر ماركت المليئة بأكياس بلاستيكية وأسمال ، ويخورون من نهاية العالم .

لم تشعر بالنعاس. حسب قول الطبيب ، لقد نامت لمدة أسبوع تقريباً ، وهذه مدة طويلة بالنسبة إلى شخص اعتاد الحياة دون مشاعر كبيرة ، ولكن بمواعيد محددة للراحة . ما الذي يعنيه أن تكون مجنوناً ؟ عليها أن تسأل أحد المجانين .

تسللت فيرونيكا ، بعد أن أزالت الإبرة من يدها ، ذهبت إلى سرير زيدكا ، محاولة تجاهل معدتها المضطربة . لا تعرف إذا ما كان الشعور بالغثيان بسبب قلبها الضعيف أو المجهود الذي عليها أن تبذله .

«لا أعرف ما الذي يعنيه أن تكون مجنوناً ، همست فيروتيكا . لكننى لست كذلك . أنا مجرد انتحار فاشل» .

«أى شخص يعيش فى عوالمه هو مجنون . مثل أصحاب الانفصامات الشخصية ، والعصابيين ، والمجانين . أعنى الناس المختلفين عن الآخرين» .

«مثلك» ؟

«على جانب آخر» ، أكملت زيدكا ، متظاهرة بأنها لم تسمع التعليق، «هناك إينشتاين ، الذى يقول إنه ليس هناك زمان أو مكان ، فقط خليط منهما . أو كولمبوس ، الذى أصر على أن الجحيم لا يوجد فى الجانب الآخر من العالم بل قارة . أو إدموند هيلارى ، الذى آمن أن الإنسان يستطيع بلوغ قمة إيفريست . أو فرقة الخنافس ، التى ابتدعت موسيقى مختلفة بالكامل وارتدوا ملابس مثل بشر من زمن آخر . هؤلاء الناس – والآف غيرهم – كلهم يعيشون فى عوالمهم» .

«هذه المرأة تتحدث بمنطق كبير» ، فكرت فيرونيكا ، متذكرة حكايات كانت تقولها لها أمها عن القديسين الذين حلفوا الأيمان بأنهم تحدثوا مع عيسى أو مريم العذراء . هل كانوا يعيشون فى عالم آخر ؟

«لقد شاهدت مرة امرأة ترتدى ثوباً مكشوفاً ، كانت لديها نظرة نائمة فى عينيها وهى تسير فى شوارع لجوبلجانا عندما كانت درجة الحرارة خمسة تحت الصفر . ظننت أنها لابد أن تكون مخمورة ، ذهبت لأساعدها ، لكنها رفضت عرضى بأن أعيرها معطفى . ربما فى عالمها كان هناك صيف وكان جسدها دافئاً برغبتها فى الشخص الذى ينتظرها . حتى لو كان ذلك الشخص موجوداً فى وهمها ، كان لها الحق في أن تعيش وتموت كما أرادت، ألا تظنين ذلك» ؟

لم تعرف فيرونيكا ما تقول ، ولكن كلمات المرأة المجنونة كانت منطقية بالنسبة لها . من يعرف ، ربما كانت هي نفسها تلك المرأة التى شوهدت نصف عارية فى شوارع لجوبلجانا ؟

قالت زيدكا : «سأروى لك قصة ، أراد ساحر أن يدمر مملكة كاملة ، دس جرعة سحرية فى البئر التى يشرب منها السكان . كل من يشرب من البئر سوف يجن» .

«فى الصباح التالى ، شرب كل السكان من البئر وأصابهم الجنون ، بخلاف الملك وعائلته ، الذين كانت لديهم بئر خاصة بهم وحدهم ، والتى لم يستطع الساحر أن يسممها . كان الملك قلقاً ، حاول أن يسيطر على السكان بإصدار سلسلة من الأوامر والأحكام حول الأمن والصحة العامة .

رجال الشرطة والمخبرون ، شربوا أيضا من الماء المسمم وفكروا فى أن قرارات الملك كانت شاذة ولم يأبهوا بها .

«عندما سمع سكان المملكة بتلك الأوامر والأحكام ، اقتنعوا جميعاً بأن الملك قد جن وأصبح يصدر أوامر غير منطقية . فساروا فى مظاهرة إلى القصر مطالبين بخلعه من الحكم .

«فى يأس ، أعد الملك نفسه للتنازل عن العرش ، لكن الملكة منعته من ذلك ، قائلة : دعنا نذهب ونشرب من بئر العامة . حينئذ سنكون مثلهم سواء» .

«وهذا هو ما فعله الملك والملكة ، شربا من ماء الجنون وبدأ مباشرة فى الحديث غير المنطقى . ندم وتاب مواطنوه على الفور ، الآن حينما صار الملك يمتلك كل تلك الحكمة ، لِمَ لا يسمح له بالاستمرار فى حكم البلد» ؟

«ظلت البلد تعيش فى سلام ، رغم أن سكانها كانوا يتصرفون بطريقة مختلفة تماماً عن جيرانهم . واستطاع الملك أن يستمر فى الحكم حتى آخر أيامه» .

ضحكت فيرونيكا .

«لا تبدين مجنونة على الإطلاق» .

قالت : «لكننى كذلك ، بالرغم من أننى أخضع للعلاج ، لأن مشكلتى أننى أفتقد لعنصر كيميائى معين . على كل ، بالرغم من أننى أتمنى أن الكيماويات

ستخلصنى من اكتئابى المزمن ، أود أن أستمر فى الجنون ، وأن أعيش حياتى كما حلمت بها ، وليس بالطريقة التى يريدها لى الآخرون . هل تعرفين ماذا يوجد هناك ، خارج أسوار ڤيليت» ؟

«ناس جميعهم شربوا من نفس البئر» .

قالت زيدكا : «بالضبط ، يظنون أنهم طبيعيون ، لأنهم جميعاً يفعلون نفس الشىء . حسناً سوف أتظاهر أننى شربت من نفس البئر مثلهم» .

«لقد فعلت ذلك بالفعل ، وهذه هى مشكلتى . لم أشعر أبداً بالاكتئاب، أو الفرح الكبير أو الحزن ، على الأقل لا شىء استمر . لدى نفس مشاكل الآخرين» .

لبرهة ، لم تقل زيدكا شيئاً ، ثم :

«قالوا إنك ستموتين» .

ترددت فيرونيكا للحظة . هل تستطيع أن تثق فى هذه المرأة ؟ عليها ألا تخاطر .

«نعم ، فى خلال خمسة أو ستة أيام . فإننى أتساءل إذا ماكانت هناك طريقة أسرع للموت . إذا كنت ، أنت ، أو شخص آخر تستطيعين تزويدى بالمزيد من الحبوب ، أنا متأكدة أن قلبى لن يستطيع النجاة هذه المرة . عليك أن تفهمى كم هو كريه أن تضطرى لانتظار الموت ، لابد أن تساعدينى» .

قبل أن تستطيع زيدكا الرد ، ظهرت الممرضة بالحقنة وقالت :

«أستطيع أن أحقنك بنفسى أو - حسب ما تشعرين بذلك ، أستطيع أن أستدعى الحرس بالخارج لمساعدتى» .

قالت زيدكا لفيرونيكا : «لا تهدرى طاقتك، احتفظى بقواك ، إذا أردت الحصول على ما طلبته منى» .

وقامت فيرونيكا ، ثم عادت إلى السرير وسمحت للممرضة بمباشرة عملها .

كان أول أيامها العادية فى المستشفى العقلى . خرجت من الجناح ، تناولت فطورها فى قاعة كبيرة حيث يأكل الرجال والنساء معاً . لاحظت كم تختلف هذه الأماكن عن الأماكن المصورة فى الأفلام - المشاهد الهستيرية ، الصراخ ، ناس يقومون بحركات مهينة - كل شىء بدا وكأنه محاط بحلقة من الصمت القسرى، بدا وكأن لا أحد يريد أن يشارك عالمه الداخلى مع غرباء .

بعد الفطور (الذى لم يكن سيئاً على الإطلاق ، لا أحد يستطيع أن يلوم ڤيليت على السمعة السيئة للوجبات) ، خرجوا جميعا للاستدفاء بالشمس .. فى الواقع ، لم تكن هناك أية شمس - كانت درجة الحرارة تحت الصفر والحديقة مغطاة بالثلوج.

قالت فيرونيكا لإحدى الممرضات : «أنا لست هنا لكى أحافظ على حياتى ، ولكن لكى أفقدها» .

« عليك ، رغم ذلك ، أن تخرجى وتأخذى الشمس» .

«أنتم مجانين ، ليست هناك أية شمس» .

«ولكن هناك ضوءاً ، وهذا يساعدنى على تهدئة المرضى . لسوء الحظ ، شتاؤنا يطول كثيرا ، لو لم يكن كذلك ، كان عملنا سيكون أقل» .

كان الجدل غير مجد، خرجت ومشت قليلاً ، مستكشفة حولها وباحثة عن طريق للهروب . الحوائط عالية ، كما هو مطلوب من بناة الحواجز القديمة ، لكن برج المراقبة كان خاوياً ، والحديقة محاطة ببنايات شبه عسكرية ، حيث هى الآن أجنحة الرجال والنساء ، المكاتب الإدارية وغرف العاملين . بعد استكشاف مبدئى سريع ، أما المكان الوحيد المحروس فهو البوابة الرئيسية ، حيث كل من يدخل تفحص أوراقه عبر إثنين من الحرس .

بدا كـــل شىء فى مكانه فى عقلها مرة أخرى . ولتدريب ذاكرتها ، حاولت أن تتذكر أشـــياء صغيرة ، مثل المكان الذى كانت تترك فيه المفـاتيح لغرفتها ، الأسطوانة التى اشترتها مؤخراً ، آخر كتاب طلب منها فى المكتبة .

قالت امرأة تقترب : «أنا زيدكا» .

فى الليلة السابقة ، لم تتمكن فيرونيكا من رؤية وجهها ، كانت مختبئة قرب سريرها طوال وقت المحادثة .

لابد أن زيدكا فى حوالى الخامسة والثلاثين وتبدو طبيعية تماماً .

«آمل ألا تكون الحقنة قد أزعجتك كثيراً . بعد فترة ، يتشبع الجسد ، وتفقد المهدئات مفعولها» .

«أنا بخير» .

«حول حديثنا بالأمس ، هل تتذكرين ما الذى طلبته منى» ؟

«بالتأكيد أتذكر» .

أخذتها زيدكا من ذراعها ، وأخذتا فى السير متحاذيتين ، وسط الأشجار العارية الكثيرة فى الفناء . خلف الحوائط ، تستطيع أن ترى الجبال مختفية فى السحب .

«إنه بارد ، لكنه صباح جميل على كل حال» ، قالت زيدكا ، «للغرابة ، لم أعان من الاكتئاب فى البرد ، أو الأيام ذات السحب الرمادية مثل هذه . كنت أشعر كأن الطبيعة متناغمة معى ، وأنها تعكس روحى ، فى الجانب الآخر ، عندما تبزغ الشمس ويخرج الأطفال للعب فى الشوارع ، يبدو الجميع سعداء لكونه يوماً جميلاً ، أبدأ بالشعور بالأسى ، وكأن ذلك يعكس جمالاً لا أستطيع المشاركة فيه وكان ذلك غير عادل بعض الشىء» .

برقة ، خلصت فيرونيكا نفســها من المرأة . لم تكن تحب التقارب الجسدى .

«لم تكملى الذى كنت تقولينه . كنت تقولين شيئا عن ما ذكرته لك فى الليلة الماضية» .

«هناك مجموعة من الأشخاص هنا ، رجال ونساء بإمكانهم أن يغادروا ، وأن يعودوا إلى منازلهم ، لكنهم لا يريدون الرحيل . هناك أسباب كثيرة لذلك : فيليت ليس بالسوء الذى يظنه الناس ، رغم أنه ليس فندقاً خمسة نجوم . هنا فى الداخل، يستطيع كل شخص أن يقول ما يريد ، وأن يفعل ما يشاء ، دون أن ينتقده أحد ، فى آخر الأمر هذا مستشفى عقلى . ثم ، عندما يكون هناك تفتيش حكومى ، يتصرف هؤلاء النسوة والرجال مثل مجانين خطرين ، لأن بعضهم هنا تحت بند الرعاية الحكومية . الطبيب يعرف ذلك ، ولكن لابد من وجود أمر من الملاك ليسمح بالوضعية فى الاستمرار ، لأن هناك شواغر فى المكان أكثر من المرضى» .

«هل يستطيعون الحصول على بعض الحبوب من أجلى» ؟

«جربى وتواصلى معهم ، إنهم يسمون مجموعتهم الأخوية» .

أشارت زيدكا إلى امرأة ذات شعر أبيض ، تتحدث بحميمية إلى بعض النساء الشابات .

«اسمها مارى ، وهى عضو فى الأخوية . اسأليها» .

فيرونيكا بدأت فى السير نحو مارى ، لكن زيدكا أوقفتها :

«لا ، ليس الآن ، إنها تستمتع بوقتها . وهى لن تتوقف عن شىء يمنحها المتعة، فقط لتكون لطيفة مع شخص غريب بالكامل . إذا كـان رد فعلها سيئاً ، فلن تتمكنى من أية فرصة أخرى للاقتراب منها . «المجانين دائماً يؤمنون بالانطباع الأول» .

ضحكت فيرونيكا للطريقة التى لفظت بها زيدكا «مجانين» ، ولكنها قلقت أيضاً، لأن كل شىء هنا يبدو طبيعياً ، ولطيفاً جداً . بعد كل تلك الأعوام من

الذهاب مباشرة من العمل إلى البار ، ومن البار إلى السرير مع عاشق ما ، ومن السرير إلى غرفتها ، ومن غرفتها إلى بيت أمها ، كانت الآن تجرب شيئا لم تحلم به من قبل : مستشفى عقلى ، جنون ، مصحة مجانين ، حيث البشر لا يستحون من القول إنهم مجانين ، وحيث لا أحد يتوقف عن شيء يمتعه ليجامل الآخرين .

بدأت تشك فيما إذا كانت زيدكا جادة ، أو إذا ما كانت مجرد كيفية يستطيع أن يتظاهر بها المرضى العقليين بأن العالم الذى يحيون فيه كان أفضل . ولكن ماذا يهم ذلك ؟ كانت تجرب شيئاً ممتعاً ، مختلفاً ، وغير متوقع على الإطلاق : تخيل مكاناً حيث يتظاهر الناس بالجنون كى يفعلوا ما يريدونه بالفعل .

فى هذه اللحظة بالذات ، اضطرب قلب فيرونيكا . فجأة ، تذكرت ما الذى قاله الطبيب وشعرت بالذعر .

«أريد أن أتمشى لوحدى قليلاً ، قالت لزيدكا . إنها «مجنونة» فى آخر الأمر ، ولم تعد مضطرة لمجاملة الآخرين .

ابتعدت المرأة ، ووقفت فيرونيكا تتأمل الجبال خلف أسوار ڤيليت . عاودتها رغبة خفيفة فى الحياة على السطح ، ولكن فيرونيكا قررت أن تطردها .

«يجب أن أحصل على الحبوب بأسرع وقت ممكن» .

تأملت حالتها هناك ، كانت بعيـــدة عن الوضع المثـــالى . وحتى لو سمحوا لها بعمل كل الأشـــياء المجنونة التى تـــودها ، لن تعرف أين تبـــدأ .

إنها لم تفعل أى جنون طوال حياتها .

بعد بعض الوقت فى الحديقة، عاد الجميع إلى الكافيتريا للغداء، ومباشرة بعد ذلك قادت الممرضات الرجال والنسوة إلى قاعة ضخمة مقسمة إلى مناطق مختلفة، كانت هناك موائد ومقاعد، أرائك، بيانو، تليفزيون ونوافذ كبيرة تستطيع من خلالها مشاهدة السماء الرمادية والسحب القريبة. لم تكن هناك قضبان أمام أى من النوافذ، لأن القاعة تفتح على الحديقة.

فالأبواب مغلقة بسبب البرد، ولكن كل ما عليك أن تدير الأكرة، لتخرج إلى الخارج من جديد وتتمشى بين الأشجار.

ذهب أغلبهم للجلوس أمام شاشة التليفزيون ، وحدق آخرون فى الفراغ، وتحدث البعض بأصوات خفيضة مع أنفسهم، ولكن من لم يفعل الشئ نفسه فى لحظة ما فى حياته؟ لاحظت فيرونيكا أن العجوز مارى كانت الآن مع مجموعة أكبر، فى إحدى زوايا القاعة الواسعة . بعض المرضى الآخرون كانوا يمشون قرب فيرونيكا وحاولت أن تنضم إليهم حتى تتنصت على كلام المجموعة.

حاولت أن تخفى نواياها ،قدر الإمكان، ولكن كلما اقتربت منهم، صمتوا جميعاً والتفتوا إليها كشخص واحد.

«ماذا تريدين؟»، قال رجل عجوز، وقد بدا كقائد للأخوية (إذا كان مجموعة كهذه بالفعل، وزيدكا لم تكن أكثر جنوناً مما تبدو)

«لا شئ، كنت مارة فقط».

تبادلوا النظرات، وتصنعوا بعض الحركات الجنونية برؤوسهم قال أحدهم للآخر: «كانت مارة فقط». ردد الآخر تلك الملاحظة بصوت أعلى هذه المرة وعاجلاً ما كان الجميع يصرخ بتلك الكلمات.

لم تعرف فيرونيكا كيف تتصرف ووقفت متجمدة من الخوف . ممرضة مختلة المظهر اقتربت لتعرف ما الذى يحدث هناك.

«لا شئ»، قال أحد أعضاء المجموعة. «كانت مارة فقط. إنها تقف هناك، ولكنها مازالت مارة فقط».

سقطت المجموعة بكاملها فى القهقهة . تظاهرت فيرونيكا بالتهكمية، ابتسمت، استدارت وتحركت للبعيد، حتى لا يلحظ أى كان أن عينيها ملآنتان بالدموع. خرجت إلى الحديقة دون أن تزعج نفسها بوضع معطف أو شال عليها.. حاول

ممرض أن يقنعها بالعودة، ولكن آخر جاء وهمس بشيء فى أذنيه، وتركاها الإثنان بسلام، فى البرد . لم يكن هناك أى معنى فى الاهتمام بصحة محكوم عليه بالموت.

كانت مشوشة، متوترة، ومنزعجة من نفسها، لم تسمح فى حياتها لنفسها بأن تستفز، وتعلمت منذ سن مبكرة، أنه كل ما جدت وضعية ما، عليك أن تبقى هادئاً ومنفصلا. غير أن هؤلاء المجانين نجحوا فى جعلها تشعر بالخجل، الخوف، الغضب، والرغبة فى قتلهم جميعاً، وأن تجرحهم بالكلمات التى لم تجرؤ على نطقها.

ربما كانت الحبوب أو العلاجات التى أخضعوها لها للخروج من الغيبوبة قد حولتها إلى امرأة هشة، عاجزة عن الدفاع عن نفسها. لقد واجهت أوضاعاً أشد سوءاً فى صباها، ولكن للمرة الأولى، لم تستطع أن تكتم دموعها. لقد كانت بحاجة إلى العودة إلى الشخص الذى كانته، شخص قادر على رد الفعل بتهكمية، وأن تتظاهر بأن الإهانات لا تزعجها لأنها كانت أفضل منهم، جميعاً. من فى تلك المجموعة، كان شجاعاً ليطلب الموت؟ من منهم يستطيع أن يعلمها ما هى الحياة فى حين اختاروا أن يختبئوا وراء أسوار فيليت؟ إنها لن ترغب أبداً فى الاعتماد عليهم لمساعدتها فى أى شئ، حتى لو اضطرت لانتظار الموت لخمسة أو ستة أيام.

يوم واحد قد مضى، سامحة للبرد القارس أن يدخل إلى جسدها ليهدئ من فورة دمها الذى يجرى بسرعة، وقلبها الذى يخفق بشدة.

«بصدق، ها أنا هنا، بأيامى المحدودة حرفياً، وأعطى أهمية لملاحظات ينطق بها أناس لم أرهم من قبل، أناس لن أراهم قريباً من جديد، ومع ذلك أتعذب وأغضب، أريد أن أهاجم وأدافع عن نفسى. لماذا كل هذا الهدر لوقتى؟

لكنها كانت تضيع الوقت القليل الباقى لها، محاربة من أجل المكان الصغير فى ذلك المجتمع الغريب حيث عليك أن تختلق معركة إذا أردت ألا يفرض عليك الآخرون قوانينهم.

« لا أستطيع أن أصدق ذلك، لم أكن أبداً هكذا ، لم أكن أتعارك من أجل أشياء غبية».

توقفت فى منتصف الحديقة المتجمدة. لقد كان بالضبط لأنها وجدت كل شئ غبياً لدرجة أنها انتهت إلى قبول ما أرغمته عليها الحياة بشكل طبيعي. فى صباها، كانت تفكر أنه من المبكر لها أن تختار، فى الشباب كانت مقتنعة بأن الوقت تأخر على تغيير ما تريد.

وفيما صرفت طاقتها كل ذلك الوقت حتى الآن؟ فى محاولة تأكيد أن حياتها استمرت كما كانت عليه دائماً. لقد تخلت عن الكثير من رغباتها كى يستمر والداها فى حبهم لها كما كانت وهى طفلة، حتى وهى تدرك أن الحب الحقيقى يتغير وينمو مع الوقت ويكتشف طرقا جديدة للتعبير عن نفسه . يوما ما، عندما استمعت لأمها وهى تخبرها، باكية، أن زواجها قد انتهى، سعت فيرونيكا إلى أبيها، وبكت، وهددت حتى أخذت وعدا منه بأنه لن يغادر البيت، غير متخيلة لفداحة الثمن الذى سيدفعه والداها لذلك.

عندما قررت الحصول على عمل، رفضت عرضاً مغرياً من شركة جديدة أنشئت فى بلدها من أجل العمل فى مكتبة عامة، حيث لا تكسب الكثير من النقود، ولكن تشعر بالأمان الوظيفى، كانت تذهب إلى العمل يومياً، محافظة على مواعيد العمل باستمرار، مؤكدة أنها ليست تهديداً لمرؤسيها، كانت قانعة، لم ترد الصراعات، ولذلك فإنها لم تتطور: كل ما أرادته كان مرتبها فى نهاية الشهر.

استأجرت غرفة فى الدير، لأن الراهبات طلبن من كل المستأجرين العودة فى وقت محدد، وبعد ذلك يقفلن الأبواب: كل شخص كان لا يزال خارجاً بعد ذلك يضطر إلى النوم فى الشـــارع كان دائماً لديها عـــذر مقنع لعشاقها حتى لا تقضى الليلة فى غرفة الفنادق أو أسرة غريبة.

عندما كانت تهم بالزواج، تتخيل نفسها فى بيت صغير خارج لجو بلجانا، مع رجل مختلف عن أبيها، رجل يكسب ما يكفى لسد احتياجات أسرته، وسيكون قانعاً لبقائه معها فى البيت أمام المدفأة ناظراً معها إلى الجبال المغطاة بالثلوج.

عودت نفسها على إعطاء الرجال قدرا محددا من المتعة، لا أقل ولا أكثر، الضرورى فقط. لم تغضب من أحد ، لأن ذلك سيعنى أن تواجه، وأن تصارع العدو، وأن ترى نتائج غير متوقعة، وحقداً وثأراً.

وعندما حققت تقريبا معظم ما أرادته فى الحياة، وصلت إلى خلاصة أن وجودها بلا معنى، لأن كل يوم يشبه غيره، وقررت أن تموت.

عادت فيرونيكا إلى الداخل وسارت إلى المجموعة فى زاوية معينة من القاعة. كانوا يتحدثون بحميمية، صمتوا عندما اقتربت.

ذهبت مباشرة إلى الرجل العجوز، والذى كان يبدو القائد وقبل أن يستطيع أحد منعها، منحته صفعة مدوية على وجهه.

«ألن ترد؟» سألته بصوت عال، حتى يسمعها كل من فى القاعة. «ألن تفعل شيئاً؟».

«كلا»، قال الرجل وهو يمرر يده على وجهه، وخرج خيط من الدم من أنفه. «لن تزعجينا طويلاً».

تركت القاعة وعادت بفخر إلى الجناح. لقد فعلت شيئاً لم تفعله من قبل.

مرت ثلاثة أيام منذ تلك الحادثة مع المجموعة التى دعتها زيدكا بالأخوية، ندمت فيرونيكا على الصفعة، ليس لأنها كانت خائفة من رد فعل الرجل، بل لأنها

فعلت شيئاً مختلفاً عن طبيعتها إذا لم تتوخ الحذر، ربما تنتهى إلى الاقتناع بأن الحياة تستحق أن تعاش، وسيسبب ذلك لها ألما لا داعى له، بما أنها ستغادر الحياة سريعاً على كل حال.

كان خيارها الوحيد هو أن تبتعد عن كل شئ وكل شخص، وأن تكون فى كل شئ كما اعتادت طوال حياتها، أن تطيع قوانين فيليت وأحكامها. لقد عودت نفسها على النظام الجدى للمستشفى: الاستيقاظ مبكراً، تناول الفطور، السير فى الحديقة، الغداء، الذهاب إلى القاعة، السير مرة أخرى فى الحديقة، ثم العشاء، التليفزيون والنوم.

قبل أن تخلد فيرونيكا للنوم، كانت ممرضة تأتيها دائماً بالدواء، وتأخذ النساء الأخريات حبوباً، فيرونيكا الوحيدة التى يتم حقنها بالإبرة. لم تشك أبداً ، تريد أن تعرف لماذا يعطونها كل تلك المهدئات، بما أنها لم تكن تعانى من أية مشكلة فى النوم. شرحوا لها أن الحقن لم تكن مهدئات، بل دواء لقلبها.

وهكذا، من خلال السقوط فى الروتين، بدت أيامها فى المستشفى متشابهة. وعندما تكون كل الأيام متشابهة، فإنها تمر سريعاً، بعد يومين أو ثلاثة لن يكون عليها أن تنظف أسنانها أو تمشط شعرها. لاحظت فيرونيكا أن قلبها يزداد ضعفاً، أصبحت بسهولة منقطعة الأنفاس، وزاد الألم فى صدرها، لم تعد لديها شهية، ومجرد المجهود الصغير يصيبها بالدوخة.

بعد تلك الحادثة مع الأخوية، كانت أحيانا تفكر: «لو كان لى خيار، لو فهمت مبكراً أن سبب تشابه أيامى لأننى أردتها كذلك، ربما..»

لكن الإجابة دائماً هى نفسها: «لم يعد هناك من خيار». ويعود إليها سلامها الداخلى، لأن كل شئ صار حتميا.

وخلال هذه الفترة، كونت صلة مع زيدكا (لأنها ليست صداقة، لأن الصداقة تستوجب حقبة من الزمن لتقضياها معاً، وهذا لن يكون متاحاً) اعتادتا لعب

الورق - مما ساعد على أن يمر الوقت أسرع وأحيانا تتمشيان معا، بصمت، في الحديقة.

ذات صباح، وبعد الفطور مباشرة، خرجوا جميعاً تحت الشمس، كما تقضي الأنظمة. أمرت ممرضة زيدكا بالعودة إلى الجناح، لأنه كان يوم معالجتها.

فيرونيكا، والتي كانت تفطر معها، سمعت الطلب.

«ما هذه المعالجة؟».

«إنها معالجة قديمة، منذ حقبة الستينيات، لكن الأطباء يعتقدون أنها ممكن أن تعجل في شفائي. هل تريدين أن تصاحبيني للمشاهدة؟».

قلت إنك مصابة بالاكتئاب. أليس كافيا أخذ الأدوية لتعويض عناصر جسمك الكيميائية المفقودة؟

أصرت زيدكا «هل تريدين أن تراقبيني؟».

كانت تكسر الروتين، فكرت فيرونيكا . كانت ستكتشف شيئاً جديداً، عندما لم تعد بحاجة إلى تعلم أي جديد، كل ما كانت تحتاجه هو الصبر. لكن فضولها تغلب عليها وهزت رأسها موافقة.

قالت الممرضة «هذا ليس استعراضاً، تعرفين أنها سوف تموت، وهي لم تر الكثير. دعيها تأتي معنا».

راقبت فيرونيكا المرأة مازالت مبتسمة، وقد تم ربطها علي السرير.

قالت زيدكا للممرض، «أخبرها بالذي يحدث وإلا فإنها ستصاب بالذعر».

التفت إليها وأراها الحقنة. كان يبدو سعيداً أنه يعامل مثل طبيب، يشرح لطبيب أصغر المقياس الصحيح والمعالجة المثالية.

«تحتوي الإبرة على جرعة من الأنسولين»، قال بصوت تقني عميق. «إنها تستعمل لمرضى السكري لمعالجة الجلوكوز المرتفع في الدم . لكن، عندما تكون الجرعة أكثر من المعتاد فإنه ينتج عن هبوط الجلوكوز في الدم حالة من الإغماء».

ضغط على الحقنة بخفة، للتخلص من أي هواء، ثم غرزها في عروق القدم اليمنى لزيدكا.

«هذا هو ما سيحدث الآن ، سوف تدخل في حالة إغماء قسرية، لا ترتعبي إذا جحظت عيناها، ولا تتوقعي أن تتذكرك عندما تكون تحت تأثير الدواء».

«إن هذا مريع، غير إنساني. الناس يكافحون للخروج من الغيبوبة لا للدخول فيها».

أجابها الممرض «يكافح الناس كي يعيشوا، لا لينتحروا»، إلا أن فيروتيكا تجاهلت ملاحظته.

«كما أن حالة الإغماء تساعد أعضاء الجسم على الراحة، فوظائفه كلها تتقلص وأي توتر موجود يختفي».

وفيما كان يتحدث، راح يحقن السائل، وعيون زيدكا تذوي.

قالت لها فيرونيكا «لا تقلقي ، أنت طبيعية تماماً، القصة التي رويتها عن الملك..».

«لا تضيعى وقتك، إنها لا تستطيع أن تسمعك الآن». المرأة على السرير، والتى كانت منذ دقائق مفعمة بالحيوية واليقظة، كانت تحدق بعينيها الآن فى الفراغ البعيد، وكان هناك سائل يرغى من أحد جوانب فمها.

«ما الذى فعلته؟» صرخت فى المرض.

«عملى، فقط».

صارت فيرونيكا تنادى زيدكا، تصرخ، وتهدد بالذهاب إلى الشرطة، الصحافة، منظمات حقوق الإنسان.

«اهدئى، قد تكونين فى مستشفى مجانين، ولكن عليك أن تمتثلى لقوانين معينة».

رأت أن الرجل كان جاداً، وأنها كانت مذعورة. لكن بما أنه ليس لديها ما ستفقده، فإنها استمرت فى الصراخ.

من حيث ما كانت، فإن زيدكا تستطيع أن ترى الجناح والأسرة، كلها فارغة ماعدا واحدا، كان جسدها مربوطاً إليه، وبقربه فتاة واقفة، تحدق بهلع، لم تدرك الفتاة أن المرأة التي علي السرير مازالت حية وأن كل أعضائها تعمل بشكل كامل، غير أن روحها تحلق، ملامسة السقف تقريباً، ومستكينة إلي شعور عميق بالسلام..

كانت زيدكا فى رحلة أثيرية، شئ من عوامل الدهشة إثر تجربتها الأولى مع صدمة الأنسولين. لم تحدث أحداً عن ذلك، كانت هناك للشفاء من الاكتئاب فقط، وحالما تشعر بالتحسن، فإنها تأمل فى مغادرة المكان للأبد.

إذا بدأت فى إخبارهم أنها تغادر جسدها، سيظنون أنها أصبحت أكثر جنوناً من لحظة دخولها إلى ڤيليت. وعلى كل حال، حينما عادت إلى جسدها أخذت تقرأ حول موضوعين: صدمة الانسولين، وذلك الشعور الغريب بالسباحة فى الفضاء.

لم يكن هناك الكثير حول المعالجة. إنها تستخدم منذ ١٩٣٠ لأول مرة، كان قد تم منعها تماماً فى المستشفيات النفسية، بسبب إمكانية الإضرار الكلى بالمريض. فى خلال إحدى الجلسات العلاجية، زارت مكتب الدكتور إيجور فى شكلها الأثيرى، فى اللحظة نفسها التى كان يناقش فيها الموضوع مع أحد ملاك المستشفى قال الدكتور ايجور «إنها جريمة ، نعم لكنها رخيصة وسريعة!» أجابه الرجل الآخر. «على كل من يهتم بحقوق المجانين؟ لن يشكونا أحد».

ومع ذلك ، فإن بعض الأطباء اعتبروها طريقة عاجلة فى معالجة الاكتئاب. سعت زيدكا واستعارت كل شئ كان قد كتب حول صدمة الانسولين، وخصوصاً التقارير العملية التى كتبها المرضى عن تجربتهم معه. القصة كانت مكررة: رعب والمزيد من الرعب، لا أحد منهم جرب أى شئ قريب مما كانت تعيشه فى تلك اللحظة.

بدأت فى البحث حول وجود الروح، قرأت بعض الكتب حول غوامض الروح، ثم فى يوم ما، عثرت على مراجع واسعة كانت تصف بدقة ما تمر به: إنه «السفر الأثيرى»، وعدد كبير من الناس قد جربه. البعض وصف ما شعر به، فيما آخرون كانوا قد طوروا طرقا للوصول إلى تلك الحالة. زيدكا، الآن، كانت تعرف تلك الطرق عن ظهر قلب وكانت تستخدمها ليلياً لتذهب حيثما شاءت.

تنوعت أوصاف تلك التجارب والرؤى، ولكنها كلها تحمل عناصر مشتركة، الصوت المزعج، الغريب، حيث يسبق انفصال الجسد عن الروح، متبوعاً بصدمة، فقدان وعى سريع، وبعد ذلك السلام والمتعة فى الطفو فى الهواء، مربوطا بالجسد بحبل سرى فضى، حبل يستطيع الامتداد إلى ما لا نهاية، بالرغم من وجود أساطير (فى الكتب طبعاً) تقول إن الشخص قد يموت لو سمح للحبل السرى الفضى بالانقطاع.

غير أن تجربتها أتاحت لها أن تذهب حيثما تشاء عندما تريد والحبل الفضى لم ينقطع أبداً. ولكن ، فى العموم، كانت الكتب نافعة جداً فى تعليمها كيفية الحصول على المزيد من ذلك السفر الأثيرى، لقد تعلمت على سبيل المثال، أنها عندما ترغب فى الانتقال من مكان إلى آخر، فعليها أن تركز ذهنها على تخيل نفسها فى الفضاء، متخيلة بدقة إلى أين تود الذهاب، وعلى خلاف المسارات التى ترحل فيها الطائرات – والتى تغادر من مكان معين وتطير المسافة الضرورية للوصول إلى مكان آخر – كانت الرحلة الأثيرية تتم من خلال أنفاق سرية. لقد تخيلت نفسك فى مكان ما، ودخلت النفق الصحيح بسرعة مذهلة، ثم ترى المكان الذى تريد.

استطاعت من خلال الكتب أن تفقد خوفها من الكائنات التى تسكن تلك الفضاءات. اليوم لم يكن هناك أى شخص آخر فى الجناح، ولكن المرة الأولى التى

تركت فيها جسدها ، كانت قد وجدت عدداً كبيراً من الناس يراقبونها، مستغربين من الدهشة على وجهها.

كان رد فعلها الأولى هو أن تفترض أن هؤلاء جميعاً موتى، أشباح تطارد المستشفى. ثم، وبمساعدة الكتب وتجربتها الشخصية، لاحظت أنه بالرغم من وجود بعض الأرواح المنفصلة عن أجسادها تتجول هناك، كان من بينهم أشخاص أحياء مثلها تماماً، إما أنهم طوروا تقنية للخروج من أجسادهم، أو أنهم لم يكونوا مستوعبين لما قد حدث لهم لأنهم، كانوا فى بعض أنحاء العالم الآخر فى حالة نوم، نوم عميق، تجولت فيه أرواحهم بعيداً عنهم.

اليوم – وهى تعرف أن هذه هى رحلتها الأثيرية الأخيرة عبر الأنسولين، لأنها زارت مكتب دكتور ايجور للتو وسمعته يقول إنه صار جاهزاً لإطلاق سراحها – قررت أن تبقى فى فيليت، حيث لن تعود مرة أخرى، حتى عبر الروح. وأرادت أن تقول وداعاً.

كان هذا هو الجزء الصعب: حينما يكون فى مصحة عقلية، يعتاد الشخص على الحرية الموجودة فى عالم الجنون، ويتحول إلى مدمن لها. أنت لا تعود مضطراً للشعور بالمسئولية، أو الكفاح من أجل كسب عيشك اليومى، أو تضطر للتعامل مع الشئون المكررة الصغيرة فى الحياة . تستطيع أن تقضى ساعات فى النظر إلى لوحة، أو رسم دوائر فارغة. كل شئ مسموح لأنه، بعد كل شئ، الشخص مختل عقلياً.

وكما قد كانت هناك مناسبات استطاعت هى فيها أن تلاحظ، أن معظم المجانين معها تحسنوا حالما دخلوا المستشفى: لم يعودوا مضطرين لإخفاء عوارض مرضهم، وقد وفر جو «العائلة» لهم قبول عصابيتهم وخللهم الخاص.

فى البداية سحرت زيدكا بڤيليت وفكرت فى الانضمام إلى «الأخوية» عند شفائها، ولكنها فكرت فى أنها لو كانت منطقية، إنها من الممكن أن تفعل كل ما تريده فى الخارج، طالما استطاعت أن تتعامل مع التحديات اليومية للحياة. وكما قال شخص ما، كل ما عليك فعله هو إبقاء جنونك تحت السيطرة. تستطيع البكاء، القلق، الغضب مثل أى شخص آخر عادى، طالما تذكرت أنه، هناك فى الأعلى، روحك كانت تقهقه وتسخر من كل تلك الأحوال الشائكة.

سريعا ما ستعود إلى المنـــزل، مع أطفالها وزوجها، وهذا الجزء من حياتها كان له سحره أيضاً، بالطبع سيكون صعباً العثور على عمل، ففى مدينة صغيرة مثل لجوبلجانا تنتقل الأخبار بسرعة، ووجودها فى ڤيليت أصبح معروفاً للكثير من الناس، لكن زوجها كان يكسب الكفاية لعائلتها، وهى تستطيع أن تستخدم وقت فراغها لعمل تلك الرحلات الأثيرية، ولكن ليس تحت خطر تأثير الأنسولين.

كان هناك شئ واحد لم تود أن تجربه مرة أخرى، كان أحد العناصر المسئولة عن مشاعر البشر. انعدام السيروتونين يميت قدرة الشخص على التركيز فى العمل، النوم، الأكل، والاستمتاع بمباهج الحياة. عندما ينعدم ذلك العنصر تماماً، يمر الشخص بحالة يأس، تشاؤم، إرهاق، عجز، قلق، ومصاعب فى صنع القرارات، وينتهى إلى الغرق فى كآبة دائمة، تقوده، إما إلى اللامبالاة أو الانتحار..

بعض الأطباء المحافظين قالوا إن أى تغيير كبير فى الحياة يمكن أن يفجر الاكتئاب، الانتقال إلى دولة أخرى، فقدان من نحب، الطلاق، ازدياد مطالب العمل أو العائلة. بعض الدراسات الحديثة، وبناء على عدد المرضى فى الشتاء والصيف، أشارت إلى انعدام الضوء كأحد أسباب الاكتئاب..

فى حالة زيدكا، على كل حال، كانت الأسباب أكثر بساطة مما يظنه أحد: رجل يختفى فى ماضيها، أو بعبارة أخرى، فى خيالها الذى بنته حول رجل عرفته فى الماضى البعيد.

كان شيئاً غبياً جداً. الفرق فى الاكتئاب والجنون بسبب رجل لا تعرف حتى مجريات حياته ووجوده فى تلك اللحظة، ولكنه شخص وقعت فى غرامه بكاملها خلال صباها، ومثل أى فتاة شابة، كانت زيدكا بحاجة إلى أن تجرب الحب المستحيل.

ولكن، على خلاف صديقاتها، واللواتى كن يحلمن فقط بالحب المستحيل، قررت زيدكا خوض المزيد، لقد حاولت أن تحقق حلمها. لقد كان يعيش على الجانب الآخر من المحيط وقد باعت هى كل شئ للذهاب إليه. كان متزوجاً، ولكنها قبلت بدورها كعشيقة، وخططت بسرية لتحوله إلى زوجها، كان بالكاد يملك وقتاً كافيا لنفسه، لكنها قنعت بقضاء الأيام والليالى فى غرفة فندق رخيصة، انتظاراً لمكالماته النادرة.

ورغم إصرارها على تحمل كل شئ باسم الحب، لم تنجح العلاقة، لم يقل شيئا مباشرة، ولكنها فى ذات يوم، لاحظت أنها لم تعد مرحبياً بها فعادت إلى سلوفينيا.

قضت بعض الشهور تكاد تأكل متذكرة كل لحظة قضياها معا، مستعيدة مرات كثيرة تلك اللحظات من المتعة والفرح فى السرير، محاولة إصلاح شئ يمكنها من الإيمان بمستقبل علاقتهما. أحس أصدقاؤها بالقلق من الحال التى وصلت إليها، ولكن شيئاً ما فى قلب زيدكا قال لها إنها مرحلة عابرة، نمو شخصى مدفوع الثمن، وكانت تدفع بدون تذمر. ذات صباح استيقظت مفعمة بالرغبة فى الحياة، لأول مرة منذ دهور، أكلت بشهية ثم خرجت للبحث عن عمل.

لم تعثر على عمل فقط، لكنها حظيت باهتمام شاب وسيم، ومثقف تطارده النساء الأخريات ، وبعد عام تزوجته.

أثارت الحسد والمباركة من صديقاتها . مضى الإثنان للعيش فى بيت مريح، له حديقة تطل على النهر الذى يقطع لجوبلجانا، صار لديهما أطفال وكانوا يقضون صيفياتهم فى النمسا.

عندما قررت سلوفينيا الانفصال عن يوغسلافيا، استدعوه للجيش. كانت زيدكا من الصيرب – وهذا هو العدو – وبدت حياتها على وشك الانهيار.

وفى الأيام العشرة العصيبة التى تلت، أثناء استعداد القوات للمواجهة، حيث لم يعرف أحد ما الذى سيعنيه إعلان الاستقلال وكم من الدم سوف يسفك بسببه، فإن زيدكا أحست بمدى حبها له. قضت كل الوقت فى الصلاة لله، والذى كان إلى ذلك الحين يبدو بعيداً، إلا أنه الآن كان أملها الوحيد، لقد قدمت النذور للملائكة والقديسين ليعود إليها زوجها.

وهكذا قد كان. لقد عاد، وتمكن الأطفال من الذهاب إلى المدارس حيث تدرس اللغة السلوفينية، وتحول شبح الحرب إلى جارتهم جمهورية كرواتيا.

لقد مضت السنون، وتحولت حرب يوغسلافيا مع كرواتيا إلى البوسنة، وبدأت التقارير فى حصر المذابح التى ارتكبها الصرب. فكرت زيدكا أنه من الظلم أن تعمم الجريمة على شعبها بكامله لعبث مجموعة قليلة من المجانين..

أصبح لحياتها معنى لم تتوقعه من قبل: لقد دافعت عن ناسها بكبرياء وشجاعة، بالكتابة فى الصحف، والظهور على شاشات التليفزيون وتنظيم المؤتمرات. كل ذلك لم يثمر عن شئ، ومازال الأجانب يعتقدون أن كل الصرب مسئولون عن تلك المذابح لكن زيدكا كانت تعرف أنها قامت بواجبها، وأنها لن تستطيع التخلى عن اخوتها وأخواتها فى مثل تلك المحنة، تستطيع الاعتماد على زوجها

السلوفينى، وأطفالها، والناس الذين لم يقعوا ضحية، لآلة الدعاية الإعلامية فى كلا الجانبين.

ذات مساء، مشت على مقربة من تمثال بريزرن، الشاعر السلوفينى العظيم، واخذت تفكر فى حياته، عندما كان فى الرابعة والثلاثين من عمره، ذهب الى كنيسة ورأى الفتاة جوليا بريمس، ووقع فى حبها بجنون، ومثل الفرسان القدماء، صار يكتب لها أشعاراً على أمل أن يتزوجها ذات يوم.

ثم اتضح أن جوليا كانت ابنة احدى العائلات الارستقراطية ، وباستثناء رؤيتها داخل الكنيسة، لم يستطع بريزرن الاقتراب منها، غير ان ذلك اللقاء أوحى له بأفضل قصائده وصنع اسطورة وهالة حول اسمه . فى الميدان الصغير فى لجوبلجانا، يحدق تمثال الشاعر على شىء ما.. إذا تابعت تحديقه، على الطرف الآخر من الميدان، سترى وجه امرأة منحوتاً على صخرة أحد البيوت، حيث عاشت جوليا وحتى بعد الموت، مازال بريزرن يحدق فى حبه المستحيل، للأبد.

وماذا لو حارب من أجلها قليلا؟

بدأ قلب زيدكا يتسارع فى خفقاته، وربما كان ذلك علامة سيئة ربما حدثت حادثة لأحد أطفالها.

سارعت إلى البيت لتجدهم جميعا يشاهدون التليفزيون، ويأكلون الفشار.

غير ان الحزن، لم يمر . استلقت زيدكا وقامت لمدة أثنتى عشرة ساعة، وحينما استيقظت لم تجد الرغبة فى النهوض، قصة بريزرن اعادت اليها ذكرى حبها الأول، الذى لم يتصل بها مرة أخرى.

وسألت زيدكا نفسها، هل حاربت من أجله بما فيه الكفاية؟ هل كان علىّ أن أتقبل دورى كعشيقة، بدلاً من الاصرار على اشياء توقعتها منه؟ هل حاربت من أجل حبى الاول بنفس الطاقة التى حاربت بها من أجل شعبى؟

أقنعت زيدكا نفسها بأنها قد فعلت ولكن الحزن لم يمض بعيداً. وما كان يبدو لها انه الجنة – البيت بقرب النهر، الزوج الذى تحب، الاطفال الذين يأكلون الفشار أمام التليفزيون كل ذلك بدأ يتحول الى جحيم . اليوم، بعد رحلات اثيرية كثيرة، ولقاءات عديدة مع كائنات متطورة، تدرك زيدكا ان كل ذلك كان هراء، لقد استخدمت حبها المستحيل كعذر، حجة لقطع الخيوط مع الحياة التى كانت تحياها، والتى كانت بعيدة جداً عن الحياة التى توقعتها لنفسها.

ولكن منذ اثنى عشر شهراً مضت، كانت الحال مختلفة:

بدأت تبحث بجنون عن حبيبها البعيد، صرفت ثروات على مكالمات دولية، ولكنه لم يعد يعيش فى المدينة نفسها، وكان من المستحيل العثور عليه، بعثت برسائل فى البريد السريع، وكانت دائما تعاد إليها.. اتصلت بكل اصدقائه ولكن لم يعرف احد ما الذى حدث له .

لم يدرك زوجها ما كان يحدث، ولما اغضبها، كان عليه ان يشك فى شىء ما، ان يفتعل فضيحة، ان يشتكى، وان يهدد بطردها الى الشارع. وباتت موقنة ان عمال الهاتف ، رجل البريد، كل صديقاتها قد رشوه كى يتظاهر باللامبالاة . باعت المجوهرات التي اعطاها اياها فى زواجهما واشترت تذكرة طيران للجانب الآخر من المحيط، حتى استطاع شخص ما ان يقنعها ان امريكا كانت مكانا شاسعاً» ولا فائدة من الذهاب الى هناك إذا لم تعرفى اين ستبحثين عنه» .

ذات مساء استلقت معذبة بالحب كما لم تتعذب من قبل، ولا حتى حينما عادت فى ذلك اليوم المشئوم الى الحياة اليومية فى لجويلجانا، قضت الليلة واليومين التاليين فى غرفتها، فى اليوم الثالث اتصل زوجها، اللطيف جداً، والمهتم بها جداً بالطبيب . هل لم يعرف بالفعل ماذا حاولت زيدكا ان تفعل للاتصال بالرجل

الآخر، ارتكاب الزنا وتبديل حياتها كزوجة محترمة بدور العشيقة السرية لرجل آخر، ان تترك لجويلجانا، وطنها ، وبيتها ، وأطفالها إلى الأبد؟

وصل الطبيب، صارت هيستيرية واقفلت الباب، لم تفتحه إلا عندما غادر الطبيب. بعد اسبوع، لم تعد لديها القدرة الكافية والارادة للنهوض من السرير وصارت تستخدم السرير كمرحاض.. لم تستطع التفكير من جديد، وصار رأسها يدور فى ذكريات مبتسرة عن ذلك الرجل، كانت موقنة انه هو ايضا يبحث عنه من دون نجاح .

راح زوجها المستفز بكرمه يغير لها الشراشف، ويمشط شعرها، ويؤكد لها ان كل شىء سيكون على ما يرام فيما بعد.. لم يعد الاطفال يأتون إلى غرفتها منذ صفعت أحدهم على وجهه دون سبب، ثم ركعت، وقبلت قدمه، طالبة الغفران ممزقة قميص نومها الى قطع حتى تبدى ندمها وحزنها.

بعد اسبوع آخر، بعد ان لفظت الأكل المقدم إليها، صارت تدخل وتخرج من الحقيقة عدة مرات، وقضت ليالى طويلة ارقة ونهارات بكاملها نائمة جاء رجلان إلى غرفتها دون ان يطرقا الباب.

شدها أحدهما إلى الأرض فيما أعطاها الآخر حقنة، واستيقظت في فيليت.

سمعت الطبيب يقول لزوجها « اكتئاب يحدث احيانا لأسباب غريبة، مثل فقدان عنصر كيميائى سيروتونين، فى الجسم».

من سقف الجناح، راقبت زيدكا الممرضة وهي تقترب، والإبرة في يدها . كانت الفتاة مازالت واقفة هناك، محاولة التحدث مع جسدها مرتعبة من نظرتها الخاوية، ولبعض اللحظات، فكرت زيدكا في امكانية اخبارها عن كل شيء قد حدث، لكنها غيرت رأيها فالناس لا يتعلمون اي شيء يخبرهم به الآخرون، عليهم ان يكتشفوا بأنفسهم .

غرزت الممرضة الإبرة فى ذراع زيدكا وحقنتها بالأنسولين وكأنها ممسوكة بذراع ضخمة ، غادرت روحها السقف وأسرعت فى داخل نفق مظلم لتعود الى جسدها .

«أهلا فيرونيكا»

بدت الفتاة مذعورة

هل أنت بخير؟

« نعم.. أنا بخير . لحسن الحظ نجحت فى النجاة من هذه المعالجة الخطيرة، لكننى لن أعيدها».

« كيف تعرفين ذلك؟ هنا لا أحد يحترم رغبات المريض»..

زيدكا عرفت لانها خلال رحلتها الأثيرية كانت قد ذهبت الى مكتب د. ايجور.

«لا استطيع ان اشرح ذلك الآن لكننى فقط اعرف هل تتذكرين سؤالى الأول لك ؟ » .

« نعم ، لقد سألتنى إذا كنت اعرف ما الذى يعنيه الجنون؟»

«بالضبط.. هذه المرة لن اخبرك أن الجنون هو عدم القدرة على توصيل أفكارك .. انه يشبه كونك فى بلد غريب، قادرة على الرؤية وفهم ما يدور حولك، ولكنى عاجزة عن شرح ما تودين معرفته أو عن طلب المساعدة، لانك لا تعرفين اللغة التى يتحدثونها هناك».

«كلنا نمر بمثل هذا الشعور»..

«وكلنا بطريقة أو أخرى، مجانين»..

خارج النافذة المسيجة، بدت السماء كثيفة بالنجوم والقمر في أول منازله، ساطعاً فوق الجبال. للشعراء البدر، لقد كتبوا آلاف القصائد حول ذلك.. لكنه كان الهلال لفيرونيكا التي فضلت ذلك لأنه مازال يكتمل، ويتسع، ليملأ سطحه كله بالنور قبل نهايته الحتمية.

أحست بالرغبة فى الذهاب إلى البيانو فى القاعة، والاحتفال بتلك الليلة بعزف سوناتا تعلمتها في المدرسة. عندما نظرت إلى السماء، اجتاحها شعور لا يمكن وصفه بالعافية، وكأنما الطبيعة اللامتناهية للكون كانت قد كشفت لها خلودها، لكن كان يفصلها عن رغبتها تلك باب فولاذى وامرأة تقرأ كتاباً لا ينتهى، بالإضافة إلى أنه لا أحد يعزف البيانو فى مثل تلك الساعة من الليل، انها ستوقظ الحي بأكمله.

ضحكت فيرونيكا. كان «الحي» هو اجنحة تزدحم بالمجانين، وهؤلاء المجانين، بالمقابل، كانوا يزدحمون بالمخدر الذى يرغمهم على النوم.

وعلى الرغم من ذلك فإن شعورها بالتفانى استمر. قامت وسارت نحو سرير زيدكا، غير انها كانت غارقة في النوم، ربما تتشافى من تلك التجربة المرعبة التى مرت بها.

«عودى إلى السرير» قالت الممرضة.. «البنات الطيبات يجب أن يحلمن بالملائكة أو العشاق».

«لا تعاملينى مثل طفلة.. أنا لست مجنونة مدجنة تخاف من كل شيء، أنا غضوبة، هيستيرية، لا أحترم حتى حياتي، أو حياة الآخرين على كل حال، اليوم أنا فى حالة سيئة.. لقد نظرت الى القمر واحتاج أن أتحدث إلى أحد ما..»

نظرت الممرضة إليها، مستغربة رد فعلها..

سألت فيرونيكا «هل أنت خائفة مني؟ » .. بعد يومين ساكون في عداد الموتى، ماذا لدى لأفقده؟.. » .

«لماذا لا تذهبين في نزهة، ياعزيزتي، دعيني أكمل كتابي؟ »

« لأن هذا سجن ولأن هناك حارسا للسجن يتظاهر بقراءة كتاب ، ليجعل الآخرين يفكرون في أنها امرأة ذكية.. الواقع.. انه بالرغم من ذلك هي تراقب كل حركة في الجناح ، وتحرس مفاتيح الباب وكأنها كنز . مما لاشك فيه أن ذلك ضمن القوانين وعليها ان تطيع ذلك، لأنها بهذه الطريقة تتظاهر بأن لديها سلطة لا تملكها في حياتها اليومية، مع زوجها وأطفالها».

راحت فيرونيكا ترتجف، دون أن تدري تماما لماذا . «مفاتيح؟» قالت الممرضة «الباب دائما مفتوح . أنت لا تعتقدين أنني سأبقى هناك وراء باب مغلق مع مجموعة من المجانين ، هل تعتقدين ذلك؟ ».

ما الذي تعنيه بأن الباب مفتوح؟ منذ عدة أيام أردت الخروج من هنا، وهذه المرأة ذهبت حتى معي إلى الحمام، ما الذي تتحدث عنه؟

قالت الممرضة «لا تأخذيني بجدية، الواقع اننا لسنا بحاجة إلى الكثير من الأمن هنا، نظرا للمهدئات التي تعطى للمرضى .. أنت ترتعشين ، هل أنت بردانة؟»

« لا أعرف ..أظن ان ذلك له صلة بقلبي»..

«إذا أردت تستطيعين الذهاب للتنزه مشيا»..

«ما أوده، بالفعل، هو أن اعزف على البيانو».

«إن القاعة منفصلة جدا، لذلك لن يزعج عزفك على البيانو اى شخص افعلى ما تشاءين».

تحول ارتجاف فيرونيكا إلى نشيج هادىء مكبوت ، ركعت ووضعت رأسها في حضن المرأة وراحت تبكي.

وضعت الممرضة الكتاب جانبا، وربتت على شعر فيرونيكا، سامحة لتلك الموجة من الحزن والدموع بالسير في مجراها الطبيعي.

جلستا هناك حوالي نصف ساعة، واحدة تبكي والأخرى تواسيها، بالرغم من عدم معرفة الاثنتين لماذا.

توقف النشيج اخيراً.. ساعدتها الممرضة على النهوض، أخذتها من ذراعها وقادتها إلى الباب.

«لدى إبنة في مثل عمرك.. عندما دخلت في البداية، مخاطة بالأنابيب والمغذيات، بقيت اتساءل لماذا ترغب فتاة جميلة، حياتها كلها أمامها، في قتل نفسها.. ثم انتشرت كل أنواع الإشاعات : حول الرسالة التي خلفتها وراءك، والتي لم أؤمن بأنها السبب الحقيقي، وكيف انه لم يعد أمامك الكثير من الوقت للحياة بسبب مشاكل معقدة حدثت لقلبك..

لم أستطع التخلص من خيال ابنتي في عقلي: ماذا لو قررت شيئا مماثلا؟، لماذا يحاول بعض الناس الاتجاه عكس المنحى الطبيعي للأشياء ، ألا وهو الكفاح للبقاء بالرغم من أى شيء يحدث؟»

قالت فيرونيكا: «لهذا السبب أنا أنتحب ، حينما ابتلعت الحبوب، أردت ان أقتل شخصاً أكرهه، لم أعلم ان فيرونيكا أخرى توجد بداخلي، فيرونيكا يمكنني أن احبها»..

«ما الذي يجعل شخصا يكره نفسه؟ »

«الجبن ربما.. أو الخوف الدائم من ان تكون مخطئا.. أو عدم عمل ما يتوقعه

الآخرون منك .. منذ دقائق قليلة كنت أشعر بالسعادة ، نسيت انني خاضعة لحكم بالموت، ثم تذكرت الحالة التي انا فيها فخفت» ..

فتحت الممرضة الباب، وخرجت فيرونيكا .

كيف استطاعت ان تسألني عن ذلك؟ ماذا تريد كي تفهم لماذا بكيت؟ ألا تدرك أنني شخص طبيعي جداً، أملك نفس الرغبات والمخاوف الموجودة لدى الآخرين، وأن سؤالاً مثل ذلك، الآن بعد ان تأخر الأمر، يمكن أن يقذف بي إلى الحيرة؟

وفي خلال مشيها في الممر المضاء بنفس الأنوار الباهتة للجناح، أدركت فيرونيكا أن الوقت صار متأخرا وأنها لم تعد قادرة على السيطرة على مخاوفها.

«يجب أن أملك زمام نفسي.. أنا ذلك النوع من الاشخاص الذي يلتزم بالقرار الذي يصنعه، والذي يستطيع دائماً الرؤية من خلال الأشياء؟ » .

كان صحيحا أنها رأت في خلال حياتها الكثير من الاشياء وتحملت النتائج التي ترتبت عليها، ولكنها اشياء لم تكن مهمة، مثل تأجيل جدل كان من الممكن حله باعتذار ، أو عدم الاتصال برجل كانت واقعة في غرامه، لأنها ببساطة ظنت ان العلاقة لن تقود الى اى مكان، كانت متعالية على الاشياء الصغيرة، وكأنها تحاول ان تثبت لنفسها، كم هي قوية وغير مكترثة، في حين كانت في الواقع مجرد امرأة هشة، لم تكن أبداً في يوم ما طالبة استثنائية، ولم تتميز في الرياضة في المدرسة، ولم تستطع المحافظة على سلام البيت..

لقد تغلبت على عيوبها الصغيرة، لكن لكي تهزم في شئون ذات اهمية جوهرية، لقد نجحت في ان تبدو مستقلة ، تماما فما كانت في الحقيقة بحاجة ماسة إلى الصحبة. فعندما تدخل غرفة ما، كان الجميع يلتفت إليها، لكنها غالبا ما كانت تنهي الليلة وحيدة، في الدير، تشاهد التليفزيون الذي لم تعبأ حتى

بتحسين برمجته، أعطت كل أصدقائها الانطباع بأنها امرأة تحسد ، وأهدرت معظم طاقتها محاولة التصرف بما يلائم الصورة التي صنعتها لنفسها.

ولهذا السبب، لم تكن لديها الطاقة الكافية لأن تكون نفسها، مثل كل شخص آخر في العالم، تحتاج الى الآخرين لكي تكون سعيدة ، ولكن الآخرين كانوا في منتهى الصعوبة .. ردود فعلهم غير متوقعة، يحيطون أنفسهم بجدران دفاعية لقد تصرفوا تماماً مثلها، متظاهرين بأنهم لا يبالون بشيء، وحين يظهر شخص اكثر تفتحا للحياة، كانوا إما أن يرفضوا منذ البداية، أو يشعروا بالمعاناة وانهم أقل قيمة وأصالة.

كانت ربما قد أبهرت كثيرا من الناس بقوتها وإصرارها، لكن أين تركها ذلك؟ وحيدة تماما.. في فيليت على حافة الموت.

خرج ندم فيرونيكا لمحاولة الانتحار إلى السطح من جديد، وبقوة دفعت به جانبا مرة اخرى .. الآن صارت تحس بشيء لم تسمح لنفسها به من قبل: الكراهية.

الكراهية . شيء صلب مثل الجدران، البيانو أو الممرضات، إنها تكاد تلمس تلك الطاقة المدمرة التي تنز من جسدها، لقد أباحت للشعور أن يتدفق، بغض النظر عن كونه سيئا أو جيدا، لقد ملت من السيطرة على الذات، من الأقنعة، ومن السلوك الحسن ، أرادت فيرونيكا ان تقضي ايامها الأخيرة في الحياة بالسلوك الذي توده.

بدأت بصفع وجه الرجل، ثم الانفجار بالبكاء امام الممرضة، ورفض ان تكون لطيفة ومجاملة بالحديث مع الآخرين في وقت ترغب فيه بالعزلة ، والآن أصبحت حرة بما فيه الكفاية لكي تشعر بالكراهية والمقت، غير أنها واعية بما فيه الكفاية

كى لا تحطم كل شىء حولها وتخاطر بقضاء ماتبقى لها من الحياة تحت تأثير المهدئات فى سرير فى الجناح.

فى تلك اللحظة، انها تكره كل شىء،. نفسها ، العالم، الكرسى الذى أمامها المدفأة المكسورة فى احد الممرات، الاشخاص الكاملين المجرمين.. لقد كانت فى مصحة عقلية وهكذا تستطيع ان تسمح لنفسها بمشاعر عادة ما يخفيها الناس من انفسهم ، لاننا جميعا قد ربينا على المحبة، والقبول والتحايل على الاشياء ، وتجنب المواجهات .

لقد كرهت فيرونيكا كل شىء ، ولكنها كرهت أكثر الطريقة التى عاشت بها حياتها ، وعدم اهتمامها باكتشاف مئات أخريات من فيرونيكا بداخلها، واللواتى كن مثيرات ، مجنونات ، فضوليات، تملأهن الشجاعة والجرأة .

ثم بدأت تشعر بالكراهية تسرى فيها تجاه أكثر شخص أحبته فى الوجود : أمها . زوجة رائعة ، تعمل طوال النهار وتغسل الأطباق فى الليل ، مضحيةً بحياتها حتى تتلقى ابنتها أفضل تعليم ، وتدرس عزف البيانو والكمان ، وتلبس كالأميرات ، ويكون لديها آخر صيحات الجينز ، فيما كانت هى تصلح نفس الثوب الرّث الذى ظلت ترتديه طوال السنوات الماضية .

« كيف أستطيع أن أكره شخصاً لم يمنحنى سوى الحب ؟ » فكرت فيرونيكا ، محتارة فى مشاعرها . لكن ذلك كان متأخراً ، لقد أطلقت كراهيتها ، وفتحت الباب لجحيمها الشخصى . كرهت الحب الذى منح لها ، لأنه لم يطلب منها أى مقابل ، وذلك كان مستنكراً ، غير حقيقى ، وضد قوانين الطبيعة .

الحب الذى بلا مقابل أثقلها بالشعور بالذنب ، وبالرغبة فى إرضاء رغبات الآخر حتى لو اضطرت إلى التنازل عن أحلامها لنفسها . كان حباً حاول لسنوات

أن يخفى عنها المصاعب والفساد الموجود فى العالم ، متجاهلاً حقيقة ، أنها يوماً ما سوف تضطر لمواجهة ذلك دون أى سلاح .

وماذا عن أبيها ؟ إنها تكره أباها أيضاً ، لأنه على غير غرار أمها ، كان يعرف كيف يعيش ، يصحبها إلى البارات والمسارح ، ويستمتعان معا ، وعندما كان شاباً ، أحبته فى الخفاء ، لا كما يحب المرء أباه ، ولكن كرجل . كرهته لأنه كان دائماً جذاباً ومنفتحاً تجاه الآخرين ماعدا آمها ، الوحيدة التى كانت تستحق تلك المعاملة .

لقد كرهت كل شىء . المكتبة بأطنانها من الكتب المزدحمة بشروحات حول الحياة ، المدرسة التى أجبرتها على قضاء أمسيات كاملة لدراسة الجبر ، بالرغم من أنها لم تعرف شخصاً واحداً ، باستثناء المعلمين والرياضيين ، بحاجة إلى الجبر حتى يكون سعيداً . لماذا يرغمونهم على تعلم دروس كثيرة فى الجبر أو الهندسة أو أى من تلك المواد غير النافعة ؟

دفعت فيرونيكا بباب القاعة ، واتجهت إلى البيانو ، فتحت الغطاء ، واستجمعت كل قواها ، لتضرب على المفاتيح . ترددت نغمات مجنونة ، صاخبة فى القاعة الخاوية ، ارتطمت بالجدران وعادت إليها فى ذبذبات مزعجة بدت كأنها تمزق روحها . نعم لقد كان ذلك بورتريهاً صادقاً لروحها فى تلك اللحظة .

خبطت على المفاتيح مرة ، تلو أخرى وأحاطت بها تلك النُّوت المشوشة .

« أنا مجنونة . ويحق لى أن أفعل ذلك . أستطيع أن أكره أن أجلد مفاتيح البيانو . منذ متى يعرف المجانين كيف يعزفون النُّوت الموسيقية بشكل صحيح ؟ ».

صارت تخبط البيانو مرة ، اثنتين ، عشر ، عشرين مرة ، وفى كل مرة تفعل ذلك تتقلص كراهيتها ، حتى اختفت تماماً .

ثم فجأة ، عمها سلام عميق ، ونظرت خارجاً إلى السماء ونجومها والقمر الجديد ، المفضل لديها ، يملأ القاعة التى كانت فيها بنور ناعم . وعاد إليها الشعور باللانهائية والأبدية يمشيان معاً ، عليك البحث عن أحدهما فقط ، على سبيل المثال ، الكون غير المحدود ، لكى تعثر على الآخر . زمن لاينتهى أبداً ، ولا يمر أبداً ، يبقى فى الحاضر ، حيث ترقد كل أسرار الحياة . وفيما كانت تسير من الجناح إلى القاعة ، أحست بكراهية خالصة كانت قد غادرت قلبها الآن . لقد سمحت ، أخيراً للمشاعر السلبية أن تخرج إلى السطح ، مشاعر ظلت مكبوتة لسنوات فى روحها . لقد أحست بها بالفعل ، ولم تعد ضرورية ، تستطيع أن تغادرها الآن .

جلست فى الصمت ، مستمتعة بلحظتها ، سامحة للحب أن يملأ المكان الفارغ الذى خلفه وراءه الكره . وعندما أحست أن اللحظة حانت ، التفتت إلى القمر وعزفت له سوناتا تحيةً ، مدركة أن القمر يستمع إليها وأنه يشعر بالفخر ، وأن ذلك سوف يثير غيرة النجوم مما عزفت من أجل النجوم ، والحديقة ، والجبال التى لا تستطيع أن تراها فى الظلام ، كانت تعرف أنها هناك .

وفيما هى تعزف الموسيقى للجبال ، ظهر مجنون آخر ، إدوارد الفصامى غير القابل للشفاء . لم تخف من حضوره ، بل ابتسمت ، ولدهشتها ، ابتسم هو أيضاً .

فالموسيقى تستطيع اختراق عالمه البعيد ، الأبعد من العمر نفسه ، الموسيقى تحقق المعجزات .

« على أن أشترى ميدالية مفاتيح جديدة » ، فكر دكتور إيجور ، وهو يفتح الباب إلى غرفة الاستشارة الصغيرة فى فيليت . تساقطت القديمة إلى قطع ووقعت على الأرض ، قطعة الزينة الخاصة بها ، للتو .

انحنى الدكتور إيجور والتقطها . ماذا عليه أن يفعل بهذه القطعة التى تحمل شعار لجويلجانا ؟ ربما عليه أن يرميها ، لكنه يستطيع إصلاحها وعمل غطاء جلدى جديد لها ، أو أن يعطيها إلى ابن أخيه كى يلعب بها . كلا الخيارين كانا غير منطقيين . الميدالية غير مكلفة وابن أخيه لن يكون مهتماً بهذه القطع ، إنه يقضى كل وقته فى مشاهدة التليفزيون ، أو اللعب بالألعاب الإليكترونية المستوردة من إيطاليا . دكتور إيجور ، مع ذلك ، لم يستطع أن يرميها ، لذلك وضعها فى جيبه ، سيقرر ما الذى يفعله بها فيما بعد .

لهذا السبب كان هو مدير المستشفى ، وليس مريضاً فيه ، لأنه يفكر كثيراً قبل صنع أى قرار .

أضاء النور ، فيما كان الشتاء يهل ، كان الفجر يتأخر . الانتقال من المنزل ، الطلاق ، وغياب النور كانت هى العوامل الأساسية لزيادة عدد الحالات الاكتئابية . دكتور إيجور كان يأمل أن قدوم الربيع مبكراً سوف يحل نصف مشاكله .

نظر فى مفكرة مواعيده لهذا اليوم ، كان عليه أن يجد طريقة لمنع إدوارد من الموت جوعاً ، كانت الشيزوفرينيا تجعله غير متوقع ، والآن قد توقف عن الأكل . دكتور إيجور كان قد أعطى تعليمات بإعطائه مصل المغذى ، لكنه لن يستطيع الاستمرار فى ذلك إلى الأبد . كان إدوارد شاباً قوياً فى الثامنة والعشرين من العمر ، ولكن بالرغم من المغذى ، كان سيصبح هزيلاً مثل الهيكل العظمى .

ما الذى سيظنه أبو إدوارد ؟ لقد كان أحد الشباب السلوفينى المشاهير كسفراء . كان أحد المناقشين خلف المحاورات الدقيقة مع يوغسلافيا فى بداية التسعينات . وهو ، ورغم كل شىء ، استطاع أن يعمل لسنوات لحكومة بلغراد ، ناجياً من الذين اتهموه بالتعامل مع العدو ، وهو مازال عضوا فى السلك الدبلوماسى ، غير أنه هذه المرة ، يمثل دولة مختلفة . لقد كان رجلاً قوياً صاحب نفوذ ، يهابه الجميع .

دكتور إيجور ، أحس لوهلة بالقلق ، تماماً مثلما كان قلقاً منذ برهة حول قطعة الميدالية ، غير أنه سرعان ما تخلى عن تلك الأفكار . فيما يتعلق بالسفير ، لم يكن مهماً له إذا بدا ابنه بصحةٍ جيدة أم غير ذلك ، لم تكن لديه النية فى اصطحابه معه فى مهام رسمية أو إلى الأماكن المختلفة فى العالم حيث كان يذهب كممثل للحكومة . كان إدوارد فى ڤيليت ، وهناك سوف يبقى للأبد ، أو على الأقل طوال فترة كسب والده مرتبه الكبير .

دكتور إيجور قرر أن يوقف المصل المغذى ، وأن يسمح لإدوارد بالمزاح قليلاً ، حتى يشعر هو نفسه بالرغبة فى الأكل ، وإذا ساءت الحالة ، فسيكتب تقريراً ويحمل المسئولية لمجلس الأطباء الذين قبلوه فى ڤيليت . « أفضل طريقة لتجنب المشاكل هى أن تشرك الآخرين فى المسئولية » ، كان أبوه قد علمه ذلك . لقد كان طبيبا هو أيضاً ، وبالرغم من أن عدداً كبيراً من الناس ماتوا بين يديه ، لم يواجه أية مشكلات مع السلطات .

حين نفذ دكتور إيجور إعطاء الأوامر بإيقاف معالجة إدوارد ، انتقل إلى البند الثانى ، بناء على التقرير ، فإن زيد كاميندال قد أنهت دورة العلاج ويمكن لها المغادرة» دكتور إيجور أراد أن يراها بنفسه . لم يكن هناك شىء يخيف الأطباء

مثل مواجهة شكاوى أهالى المرضى الذين كانوا فى ڤيليت ، حيث إنه من النادر للمريض أن يتأقلم بنجاح مع الحياة الطبيعية بعد فترة كان قد قضاها فى المستشفى العقلى .

لم تكن غلطة المستشفى ، أو أى من المستشفيات المنتشرة فى العالم ، كانت مشكلة إعادة التأقلم هى نفسها فى كل مكان . وكما أن السجن لا يُصلح السجناء ، لكنه يعلمهم أن يرتكبوا المزيد من الجرائم ، فكذلك المستشفيات ، إنها تُعَود المرضى على عالم غير حقيقى ، حيث كل شىء مباح وحيث لا يتحمل أحد مسئولية أعماله .

كان هناك مخرج واحد فقط : أن يكتشف علاج للجنون . وقد انشغل إيجور قلباً وروحاً فى ذلك ، مطوراً أطروحة ستصنع ثورة فى عالم الأطباء النفسيين . فى المستشفيات العقلية ، يعيش المرضى المؤقتين مع مرضى غير قابلين للشفاء وهذا يبدأ تحلل اجتماعى ، والذى حين ينشأ ، كان من المستحيل إيقافه . ستعود زيدكا ميندال إلى المستشفى مع الوقت ، هذه المرة بإرادتها ، شاكية من عدم وجود مهتمين بها ، لمجرد أن تبقى قريبة من أناس يبدو أنهم يفهمونها بشكل أفضل من البشر فى الخارج . أما ، إذا استطاع أن يجد طريقة للبحث الدقيق حول ڤيتيرول ، السم الذى يعتقد دكتور أيجور أنه المسبب للجنون ، فسيصعد اسمه إلى التاريخ . وسيعرف الناس أخيراً أين هى سلوڤينيا . هذا الأسبوع ، جاءته فرصة من السماء فى شكل محاولة انتحار ، ولم يكن ليفقد تلك الفرصة مقابل كل أموال العالم .

كان دكتور ايجور سعيداً . وعلى الرغم من أنه كان مضطراً لأسباب اقتصادية إلى قبول معالجات ، مثل صدمة الأنسولين مثلاً ، التى تم تحريمها منذ

[illegible]

[illegible]

احتار دكتور ايجور فيما إذا كان عليه أن يخبرها بالحقيقة ليجنبها أية مفاجآت غير سارة – فمع كل شيء هو نفسه لديه ابنة لها نفس الاسم – غير أنه قرر أنه قرر ألا يقول شيئاً .

«لا نعرف» ، لقد كتب . «نحتاج إلى أسبوع آخر» .

«أنا أجهل لماذا فعلت فيرونيكا ذلك» قالت المرأة وهى تبكى . «كنا دائما أبوين محبين لها ، ضحينا بكل شىء من أجلها لكى نمنحها أفضل ما يمكن فى نشأتها . وبالرغم من إن زوجى وأنا كانت لدينا مشاكلنا ، فإننا حافظنا على وحدة العائلة ، لنضرب قدوة لها . إن لديها عملا جيداً ، وهى جميلة ، ومع ذلك» ...

قال د. إيجور : «ومع ذلك حاولت أن تقتل نفسها ، ليس هناك سبب معين للدهشة ، هذا هو الحال . لا يعرف الناس كيف يتعاملون مع السعادة . إذا أردت سأريك بعض الإحصاءات فى كندا» .

«كندا» ؟

بدت المرأة مذهولة . ورأى د. إيجور أنه استطاع أن يقطع أفكارها فمضى يقول : «أنظرى ، لم تأتى إلى هنا لتعرفى حال ابنتك ، ولكن لكى تعتذرى عن محاولتها ارتكاب الانتحار . كم هو عمرها» ؟

«أربعة وعشرون» .

«إذن ، هى ناضجة ، وامرأة مجربة تعرف ما تريد وقادرة تماماً على صنع خياراتها . ما علاقة ذلك بزواجك أو التضحيات التى قدمتها لها مع زوجك ؟ منذ متى وهى تعيش مستقلة» ؟

«ستة أعوام» .

«أترين ؟ إنها مستقلة بشكل أساسى ، لكن بسبب ما قاله طبيب نمساوى معين – دكتور سيجموند فرويد أنا متأكد أنك سمعت به – وكتبه حول العلاقات

غير الصحية بين الأبوين والأطفال ، فإن الناس مازالوا يلومون أنفسهم على كل شىء . هل تتخيلين أن الهنود يؤمنون أن ابنهم إذا تحول إلى مجرم فإن هذا يعنى أنه ضحية لوالديه وتربيتهما له ؟ قولى لى! »

أجابت المرأة ، والتى لم تستطع التغلب على حيرتها من تصرفات الطبيب ، ربما كان متأثراً بمرضاه : «ليست لدى أدنى فكرة» .

قال د. إيجور: «حسناً ، أنا سأخبرك . الهنود يعتقدون أن المجرم مذنب ، ليس المجتمع ، ولا أبواه ، ولا جدوده . هل يرتكب اليابانيون الانتحار لأن أحد أبنائهم قرر تعاطى المخدرات ثم خرج ليصوب بندقيته على الناس ؟ الإجابة هى نفسها : لا ! وكما نعرف جميعاً ، فإن اليابانى يمكن أن ينتحر لمجرد رفع القبعة . منذ أيام قرأت أن شاباً يابانياً قتل نفسه لأنه سقط فى إمتحان دخول الجامعة» .

«هل يمكن أن أتحدث مع ابنتى» ؟ سألت المرأة ، التى لم تكن معنية باليابانيين ، أو الهنود أو الكنديين .

قال د. إيجور منزعجاً قليلاً من مقاطعتها له : «نعم ، نعم فى لحظات . لكننى أولاً ، أريدك أن تفهمى شيئاً واحداً ، باستثناء حالات قهرية باثولوجية معينة ، الناس يجنون عندما يحاولون الهروب من الروتين ، فقط . هل تفهمين» ؟

أجابته : «أفهم ، وإذا كنت تظن أننى لن أستطيع رعايتها ، فتأكد أننى لم أحاول أبداً أن أغير من حياتى» .

بدا د. إيجور مرتاحاً : «جيد . هل تستطيعين تخيل عالم ، لا نضطر فيه على سبيل المثال ، إلى تكرار نفس الأشياء يومياً خلال حياتنا ؟ لو ، مثلاً ، قررنا أن نأكل عندما نجوع فقط ، ما الذى سيحصل لربات البيوت والمطاعم حينئذ ؟

«سيكون طبيعياً أكثر أن نأكل عندما نجوع» ، فكرت المرأة ، لكنها لم تقل شيئا، خائفة أنه ربما يمنعها من التحدث إلى ابنتها فيما بعد .

قالت أخيراً «حسنا ، سوف يصنع ذلك ارتباكاً كبيراً ، أنا نفسى ربة منزل ، وأعلم ما الذى أتحدث عنه» .

«هكذا نتناول إفطارنا ، غداءنا وعشاءنا ، علينا أن نستيقظ فى ساعة معينة فى النهار كل يوم وأن نرتاح مرة واحدة فى الأسبوع . أعياد الكريسماس وجدت حتى نتبادل الهدايا ، وعيد الفصح حتى نقضى أيامنا قرب البحيرة . كيف ستشعرين إذا أصاب زوجك المس والشهوة فجأة فقرر أن يمارس الحب معك فى غرفة المعيشة» ؟

فكرت المرأة : «ما الذى يتحدث عنه هذا الرجل ؟ لقد أتيت إلى هنا لرؤية ابنتى» . قالت ، بحذر ، آملة فى إعفائها من الإجابة الصحيحة «سأجده مثيراً للحزن».

زمجر الدكتور إيجور : «ممتاز ، غرفة النوم هى المكان الصحيح لممارسة الحب. ممارسة الحب فى أى مكان آخر تعطى نموذجاً سيئاً وتساعد على انتشار الفوضى».

سألت المرأة: «هل يمكننى أن أرى ابنتى؟»

وأحس د. إيجور باليأس منها. هذه الفلاحة لن تفهم أبداً ما يحاول قوله لها، لم تكن مهتمة بمناقشة الجنون من زاوية فلسفية، حتى وهى تعرف أن ابنتها حاولت الانتحار وأنها كانت فى غيبوبة.

ضغط على زر الجرس، فظهرت السكرتيرة وقال: «نادى الشابة التى حاولت الانتحار تلك التى كتبت الرسالة إلى الصحفية، قائلة: إنها قتلت نفسها لكى تضع سلوفينيا على الخارطة».

«لا أريد أن أراها. لقد قطعت كل صلاتى مع العالم الخارجى» .

كان من الصعب قول ذلك فى القاعة، حيث الجميع هناك. إلا أن الممرضة لم تكن حريصة أيضا، وأعلنت بصوت مرتفع أن والدتها تنتظر لتراها، وكأنه أمر عام.

لم ترغب أن ترى أمها، سيزعج الأمر كلتيهما. من الأفضل أن تفكر فيها أمها كميتة. لقد كرهت فيرونيكا دائماً لحظات الوداع.

اختفى الرجل من حيث أتى، وعادت هى لتنظر إلى الجبال. بعد أسبوع، عادت الشمس للبزوغ من جديد، شئ حدست به منذ ليلة البارحة، لأن القمر قد أخبرها حينما عزفت له على البيانو.

«كلا، هذا جنـــون، إننى أفقد عقلى. الكواكب لا تتحــدث، أو ربمـــا للمنجمين الهواة. إذا كان القمـــر قد تحدث لأى شخص، فقد تحدث إلى ذلك الفصامى».

فى نفس اللحظة التى فكرت فيها بذلك، انتابها ألم حاد فى صدرها، وأن ذراعها قد تخدرت. فيرونيكا أحست برأسها يدور. سكتة قلبية! دخلت فى حالة من النشوة، كأن الموت حررها من خوفها من أن تموت. هكذا إذن، انتهى الأمر. لعلها مازالت تعانى من بعض الألم، ولكن ما الذى تعنيه خمس دقائق من المعاناة كبديل لسلام دائم؟ كان رد الفعل الوحيد الممكن هو أن تغمض عينيها: فى الأفلام، كان أكثر شىء تكره رؤيته هو مشهد الموتى وهم يحملقون بعيون مفتوحة.

غير أن السكتة القلبية كانت مختلفة عما تخيلت: أصبح تنفسها مصطنعا، وكانت فيرونيكا مذعورة لأنها اكتشفت أنها ستمر فى أشد مخاوفها: الاختناق. كانت ستموت كما لو تم دفنها حية، أو كما لو أنها غرقت فجأة فى لجة بحر عميق.

لقد تعثرت، وقعت، وأحست بنفخة حادة على وجهها، واستمرت فى محاولة بطولية للتنفس، غير أن الهواء لم يكن يدخل فيها. أسوأ من كل ذلك، أن الموت لم يأت. كانت بكامل وعيها لما يجرى حولها، مازالت تستطيع أن ترى الألوان والأشكال، بالرغم من صعوبات فى سماع ما يردده الآخرون، الصرخات والتنبيهات بدت بعيدة جدا، كأنها تأتى من عالم آخر. باستثناء ذلك، فإن كل شئ كان حقيقيا، لم يكن الهواء يدخل إلى رئتيها، إنه ببساطة يعصى الأوامر التى تطلقها رئتاها وعضلاتها، ومع ذلك لم تفقد الوعى.

أحست بشخص يلمسها، ويقلبها، لكنها فقدت السيطرة على حركات عينيها، اللتين تتقلبان بسرعة، مرسلة بمئات الخيالات المختلفة إلى عقلها، خالطة بين مشاعر الاختناق وحس مشوش تماما من الرؤية.

بعد برهة، صارت الخيالات بعيدة، وعندما وصلت المعاناة إلى الذروة، دخل الهواء بسرعة إلى رئتيها، محدثا ضجيجا كبيرا جعل الموجودين فى القاعة فى حالة شلل من الخوف، راحت فيرونيكا تتقيأ بشدة، عندما مرت تلك اللحظة القريبة من المأساة، بدأ بعض المجانين فى القهقهة ، وأحست هى بالإذلال، والضياع، والشلل.

جاء ممرض راكضا وحقنها بالإبرة فى ذراعها.

«اهدئى، كل شئ على ما يرام الآن»

«لم أمت» بدأت تصرخ، زاحفة نحو المرضى الآخرين، ملوثة الأرضية والأثاث بقيئها. «مازلت في هذا المستشفي اللعين، مجبرة علي العيش معكم أيها الرعاع، مضطرة للموت آلاف المرات كل يوم كل ليلة، ولا أحد فيكم يشعر بذرة من الرحمة علىّ» .

استدارت نحو الممرض، خطفت الإبرة من يده ورمتها إلى الحديقة فى الخارج.

«وماذا تريد؟ لماذا لا تحقننى بالسم ، بما أننى محكوم عليها بالموت؟ كيف تكون هكذا بلا قلب؟»

وعاجزة عن المزيد من السيطرة على نفسها، جلست على الأرض مرة أخرى وبدأت فى النحيب الذى أفلت منها، والصراخ، والبكاء عاليا، وفيما ضحك منها بعض المرضى وصاروا يشيرون إلى البقع على ملابسها القذرة، قال طبيب، مسرعا إلى هناك «اعطها المهدئ .. سيطر على الحالة».

غير أن الممرض تجمد فى مكانه. خرج الطبيب ثم عاد بصحبة ممرضين وحقن أخرى. أمسك الرجال بالفتاة الهستيرية التى تقاوم فى منتصف القاعة، فيما حقنها الطبيب بآخر قطرة من المهدئ فى شريانها فى الذراع الملوثة بالقئ.

كانت فى غرفة الاستشارة عند د. إيجور ، مستلقية على سرير أبيض مرتب بأغطية نظيفة .

يستمع إلى قلبها . تتظاهر بأنها ما تزال نائمة ، ولكن شيئا بداخلها قد تغير، وحسب الكلمات التى ينطق بها الطبيب :

«لا تقلقى . فبمثل حالتك الصحية ، يمكنك أن تعيشى حتى سن المائة» .

فتحت فيرونيكا عينيها . شخص ماكان قد خلع عنها كل ملابسها . من ؟ د. إيجور ؟ هل يعنى هذا أنه رآها عارية ؟ إن عقلها لم يكن يعمل تماماً .

«ما الذى قلته» ؟

«قلت لا تقلقى» .

«لا ، قلت إننى أستطيع أن أعيش حتى المائة» . ذهب الطبيب إلى مكتبه .

كررت فيرونيكا : «لقد قلت إننى أستطيع أن أعيش إلى المائة» .

«لا شىء مؤكد فى الطب ، قال د. إيجور ، محاولاً أن يغطى على الموضوع . «كل شىء ممكن» .

«كيف قلبى» ؟

«كما هو» .

لم تكن بحاجة إلى الاستماع إلى المزيد . عندما يواجه الأطباء بحالات مستعصية ، يقولون دائماً : «ستعيش إلى المائة» ، أو «ليس مصابا بمرض خطير»، أو «لديك قلب وضغط دم فتاة شابة» ، أو حتى «علينا أن نعيد الفحوص». لعلهم يخافون أن يختل المرضى فى غرف الاستشارة .

حولت أن تنهض ، لكنها لم تستطع ، بدأت الغرفة تدور . «استلقى لبرهة أطول، حتى تتحسن حالتك ، وجودك لا يزعجنى» .

فكرت فيرونيكا : آه حسناً ، ولكن ماذا لو كان ؟

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كلا ، أنت لست مجنونة ، فكر د. إيجور ، الذى كان خبيراً فى الموضوع ، وله شهادات متنوعة معلقة على جدران غرفة الاستشارة . محاولة أن تنهى حياتك كان شيئاً صحيحاً يفعله البشر ، لقد عرف أشخاص كثيرون حاولوا ذلك ، ومع ذلك عاشوا خارج المستشفى ، ويبدون طبيعيين وأبرياء وعاديين ، فقط لأنهم لم يختاروا الطريقة الفضائحية لمحاولات انتحارهم .

لقد كانوا يقتلون أنفسهم بالتدريج ، مسممين أنفسهم بما يدعوه د. إيجور بالڤيتيرول .

ڤيتيرول مادة سامة ، كان قد شخص عوارضها من خلال الرجال والنساء الذين التقاهم . الآن أخذ فى كتابة أطروحة حول الموضوع ، وسيقوم بتسليمها إلى الأكاديمية السلوڤينية للعلوم للتدقيق والإجازة . لقد كانت هذه أهم خطوة فى حقل الاختلال العقلى منذ أمر د. بنيل بأنه يجب عدم الحجر على المرضى ، مدهشاً العالم الطبى بفكرة إمكانية شفاء بعض أولئك المرضى .

ومثل الليبيدو – رد الفعل الكيميائى المسئول عن الرغبة الجنسية والذي ميزه فرويد ، بالرغم من أن المختبرات العلمية لم تتوصل إلى تحديده ، كذلك الفيتيرول الذى تفرزه الأعضاء البشرية فى أى موقف يجد الشخص نفسه فيه في أحوال مخيفة ، على الرغم من أنه مازال لم يحصر بعد تحت الميكروسكوبات الطبية .

غير أنه كان من السهل تمييزه عبر الطعم ، الذى لم يكن حلواً أو مالحاً – بل مر الطعم . منحها الدكتور إيجور ، المكتشف غير المعروف بعد لهذه المادة الخطيرة ، اسم سم كان مفضلاً ، فى الماضى ، من قبل الأباطرة ، الملوك والعشاق من كل نوع عندما تستدعى الضرورة تخلصهم من شخص غير مرغوب فيه .

عصر ذهبي ، عصر الملوك والأباطرة ، عندما كان بإمكانك الحياة والموت رومانسياً . كان القاتل يدعو الضيف أو الضيفة للمشاركة فى حفل عشاء ساحر ،

ويقدم الخدم لهم الشراب في كأسين ثمينتين ، إحدى هاتين الكأسين قد طعمت بالڤيتيرول . تخيل نوع الإثارة التى كان يخلقها الضيف من خلال اية حركة يقوم بهـــا ، التقاطه للكـــأس ، قوله لبعض الكلمات الرقيقة أو العنيفة ، شربه من تلك الكأس وكأنها تحوى مشروباً لذيذاً ، ثم منحه لصاحب الدعوة نظرة أخيرة مذهولة ، قبل السقوط على الأرض .

غير أن هذا السم ، الذى كان باهظ الثمن ونادراً ، تم استبداله بطرق أكثر فعالية للإبادة – مسدسات ، باكتيريا ، إلخ . انقذ د. إيجور ، الرومانسى بطبيعته ، ذلك الاسم من الضيـــاع ومنحه إلى مرض الروح الذى نجح فى تشخيصه ، الذى سيكون اكتشافه مدهشاً للعالم .

من الغريب أن أحداً ما لم يصف ڤيتيرول كسم بشرى ، بالرغم من أن معظم ضحاياه كانوا يميزون طعمه ، ووصفوا حالة التسمم تلك بالمرارة . وإلى حد أو آخر ، الكل كان يملك شيئاً من تلك المرارة فى جسده ، مثلما نحن جميعاً حملة لبكتيريا السل الرئوى . غير أن هذين المرضين الكامنين لا يهاجمان إلا فى حالة ضعف المريض ، فى حالة المرارة ، يكون الوضع المثالى لنشوب المرض عندما يصبح الشخص خائفاً مما يدعى «بالواقع» .

أشخاص محددون ، فى لهفتهم لصنع عالم خاص لا يخترقه أى تهديد خارجى ، يبنون دفاعات مبالغ فيها ضد العالم الخارجى ، الغرباء ، الأماكن غير المألوفة ، التجارب المختلفة ، ويتركون عالمهم الداخلى عارياً بشكل موحش . وهناك تبدأ المرارة فى نسج عملها الفعال .

كانت الإرادة هى الهدف الرئيسى للمرارة (أو ڤيتيرول ، كما كان د. إيجور يفضل أن يدعوه). الأشخاص الذين يهاجمون ذلك الشر يبدأون فى فقد كل رغباتهم ، وفى خلال أعوام قليلة ، يصبحون عاجزين عن مغادرة عالمهم الخاص ،

حيث كمنوا هناك يبنون جدراناً سميكة بكل طاقاتهم لصنع الواقع كما يريدونه أن يكون .

وبهدف تجنب أى هجوم خارجى ، فإنهم أيضاً قننوا نموهم الداخلى . استمروا فى الذهاب إلى العمل ، ومشاهدة التليفزيون ، وإنجاب الأطفال ، والتذمر من المواصلات ، لكن كل تلك الأشياء تحدث آلياً ، غير مصحوبة بأى مشاعر خاصة ، لأن كل شيء تمت السيطرة عليه داخلياً .

كانت المسألة الكبرى فى التسمم بالمرارة أن كل العواطف الجياشة – الكراهية، الحب ، اليأس ، الحماس ، الفضول لم تعد قابلة للتحقق . وبعد فترة يفقد الشخص الممرور كل رغبة لديه . فهم يفقدون القدرة على الحياة أو الموت ، وهذه هى المشكلة .

لذلك ، فإن الأشخاص الممرورين يجدون فى الأبطال والمجانين أرضياً خصبة للإعجاب ، لأنهم لا يخافون الحياة أو الموت . فكلاهما ، الأبطال والمجانين ، لا مبالين بالخطر وسيمضون قدماً بالرغم مما يقوله الآخرون .

المجنون يقوم بالانتحار ، ويقدم البطل نفسه للاستشهاد باسم القضية ، لكن الاثنين سوف يموتان ، والممرور سوف يقضى ليالى ونهارات كثيرة متأملاً الجنون والعظمة فى كليهما . لقد كانت تلك هى اللحظة الوحيدة التى يمتلك فيها الشخص الممرور الطاقة لتسلق جدران دفاعاته والتلصص على العالم الخارجى ، غير أن ذراعيه وقدميه ستشعر بالوهن وتعود إلى حياتها اليومية المعتادة .

الشخص الممرور ذو التاريخ المرضى يلحظ مرضه مرة واحدة فقط فى الأسبوع ، يوم الأحد ، بعد الظهر . فى عدم وجود عمل أو روتين لتمويه الأعراض لديه، سوف يحس بأن ثمة شيئاً خطأ ، بما أنه يجد ذلك السلام الخاص بتلك الأوقات مثيراً لاضطراباته .

سيحصل يوم الاثنين ، وسينسى الممرور أعراضه ، بالرغم من أنه سوف يلغى حقيقة أنه لا يملك الوقت الكافى للراحة وسيتذمر من أن إجازة نهاية الأسبوع تمر بسرعة شديدة .

من وجهة نظر اجتماعية ، كانت الميزة الوحيدة للمرض أنه أصبح هو العادى والشائع ، وأن دخول المستشفى لم يعد ضرورياً إلا فى الحالات التى يكون فيها التسمم حاداً جداً بحيث أن سلوك المريض صار يؤثر على الآخرين . معظم الممرورين ، بإمكانهم الاستمرار فى التعايش فى العالم الخارجى ، ولا يمثلون خطراً على المجتمع أو الآخرين ، لأنه بسبب الجدران السميكة التى أحاطوا أنفسهم بها ، كانوا معزولين تماماً عن العالم ، حتى وإن بدوا أنهم يشاركون فيه.

اكتشف فرويد الليبدو علاجاً للمرض الذى يتسبب في التحليل النفسي . وباستثناء اكتشافه لحقيقة وجود الفيتريول ، فإن د. إيجور كان بحاجة إلى إثبات أن العلاج كان ممكناً . لقد رغب فى أن يترك بصمته على التاريخ الطبى ، ولم يكن موهوماً حول الصعاب التى سيواجهها عندما يعلن للعالم ذلك عبر نشر أبحاثه، لأن الأشخاص العاديين كانوا راضين بحياتهم ولن يقبلوا بحقيقة وجود مرض كهذا ، فى حين كان «المرضى» يغذون تجارة ضخمة للمستشفيات العقلية ، المختبرات ، ومجالس البرلمانات ، الخ .

«أعرف أن العالم لن يعترف بجهودى» ، قال لنفسه فخوراً بأنه لم يُفهم . فبعد كل شيء ، فإن ذلك هو الثمن الذى يدفعه كل العباقرة .

«هل هناك طارئ ما ، أيها الطبيب؟» . «يبدو أنك قد سرحت بعيداً إلى عالم مرضاك» .

تجاهل د. إيجور ذلك التعليق غير المهذب ، وقال «يمكنك أن تذهبى ، الآن» .

لم تدرك فيرونيكا إذا ماكان د. إيجور كان قد احتفظ بالإضاءة ليلاً أو نهاراً ، غير أنه كان يفعل ذلك كل صباح عندما وصلت إلي الممر ، ورأت القمر أدركت أنها استغرقت في النوم أكثر مما ظنت .

فى الطريق إلى الجناح ، لاحظت صورة على الحائط : لقد كانت الميدان الرئيسى فى لجوبلجانا ، قبل أن ينصب فيه تمثال الشاعر بريزرن : كان هناك أزواج يتنزهون ، ربما فى يوم الأحد .

نظرت إلى تاريخ الصورة : صيف عام ١٩١٠ .

صيف ١٩١٠ . كان هناك كل أولئك الناس ، الذين مات أولادهم وأحفادهم الآن ، متجمدين فى لحظة معينة من حياتهم . النساء ترتدى ملابس أنيقة والرجال يعتمرون القبعات ، ويرتدون المعاطف، ورابطات العنق، أو تلك القطع الملونة من القماش كما يسميها المجانين، ويحملون مظلات تحت الأذرعة.

كم كان الطقس حارا آنذاك؟ لابد أن درجة الحرارة كانت هى نفسها لصيف اليوم، ٣٥ درجة فى الظل. لو أن رجلا انجليزيا خرج فى ذلك الوقت بملابس صيفية حديثة – شورت بيرمودا وقمصان عارية الأذرعة – ماذا كان سيفكر أولئك الناس؟

«لابد أنه مجنون.»

لقد استوعبت بدقة ما كان يعنيه د. إيجور، كما قد استوعبت تماما، بالرغم من أنها شعرت دائما بأنها محبوبة ومحمية، كان هناك عنصر واحد مفقود لتحويل ذلك الحب إلى برقة: كانت يجب أن تسمح لنفسها بأن تكون مجنونة أكثر قليلا مما كانت.

كان والداها سيظلان على حبهما لها، لكن، خوفا من أن تجرحهما، لم تتجرأ على دفع ثمن حلمها، الحلم الذى كان مدفونا فى ذاكرتها، رغم أنه كان يستيقظ

أحياناً عند سماعها لإسطوانة جميلة حدث أن استمعت إليها. وكلما يستيقظ، يقوى شعورها بالقهر مما يدفع بها إلى إرساله إلى النوم مرة أخرى.

كانت فيرونيكا تأمل منذ الطفولة أن تكون مهنتها الحقيقية هى عزف بيانو.

كان ذلك شعورا أحسته منذ الدرس الأول، فى سن الثانية عشرة كان أستاذها قد أدرك موهبتها، أيضا، وشجعها على الاحتراف. غير أنها كلما شعرت بالسعادة لفوزها فى المنافسات وقالت لأمها إنها تنوى أن تكرس نفسها للبيانو، كانت أمها تنظر إليها بإعجاب وتقول لها: «لا أحد يستطيع أن يكسب عيشه من عزف البيانو، يا حبيبتى».

«ولكنك طلبت منى أن آخذ الدروس».

«كى تطورى إمكاناتك الفنية، هذا كل ما فى الأمر. كل الأزواج يحبون مثل هذه الأشياء فى الزوجة، يمكن أن يستعرض مواهبك فى الحفلات.. إنسى أن تكونى عازفة بيانو، وقررى أن تدرسى الحقوق، فهذه هى مهنة المستقبل».

عملت فيرونيكا ما أرادته منها أمها، فبالتأكيد كانت خبرة أمها فى الحياة تؤهلها لمعرفة الواقع. أنهت دراساتها، وذهبت إلى الجامعة، وحصلت على شهادة جيدة، لكنها انتهت إلى العمل فى مكتبة.

«كان يجب أن أكون أكثر جنونا». ولكن بلاشك كما يحدث مع معظم الناس اكتشفت ذلك متأخرة جدا».

كانت على وشك أن تكمل طريقها، عندما شدها شخص من ذراعها. كان المخدر القوى مازال يسرى فى شرايينها، لذا لم تملك أى رد فعل ضد إدوارد، الفصامى الذى صار يقودها بنعومة فى اتجاه آخر - نحو القاعة.

كان القمر مايزال هلالا وجلست فيرونيكا بالفعل أمام البيانو - كاستجابة لرغبة إدوارد الصامتة - عندما سمعت صوتا قادما من قاعة الطعام، يتحدث شخص بلهجة أجنبية لم تتذكر فيرونيكا أنها سمعتها من قبل فى فيليت.

«لا أرغب فى عزف البيانو الآن ، يا إدوارد ، أريد أن أعرف ماذا يحدث فى العالم ، وفيم يتحدثون هناك ، ومن هو ذلك الرجل» ؟

ابتسم إدوارد ، وبما لم يدرك كلمة مما قالته ، لكنها تذكرت ما قاله د. إيجور: الفصامى يستطيع الدخول والخروج من واقعه المنفصل . أكملت آملة أن يصنع كلامها منطقا له :

سوف أموت ، اليوم ، لامس الموت وجهى بجناحه ، ربما سوف يقرع بابى إذا لم يكن غداً ، فقريباً جداً . إنها ليست فكرة جيدة لك أن تعتاد على سماع البيانو كل ليلة .

لا أحد يجب أن يعتاد على شىء ، إدوارد ، أنظر إلىّ ، بدأت أستمتع بالشمس من جديد ، الجبال ، وحتى مشاكل الحياة ، بدأت أقبل أن عدمية الحياة لم تكن خطأ أحد غيرى ، أردت أن أرى ميدان لجوبلجانا الرئيسى مرة ثانية ، أن أشعر بالحب والكراهية ، اليأس والأمل ، كل تلك الأشياء البسيطة غير المهمة التى تصنع الحياة اليومية ، لكنها تمنح البهجة لوجودنا . إذا ما استطعت يوماً ما أن أخرج من هنا ، سأسمح لنفسى بالجنون ، لأن كل أحد كذلك ، بالفعل ، والأكثر جنوناً هم أولئك الذين لا يدركون أنهم مجانين ، لكنهم يستمرون فى تكرار ما يقوله لهم الآخرون. «لكن لم يعد بالإمكان أى من ذلك ، ألا ترين ؟ بالطريقة نفسها التى لا تستطيع أن تقضى فيها اليوم كاملاً بانتظار الليل كى يأتى ولإحدى المريضات أن تعزف البيانو ، لأنه قريباً جداً سينتهى كل ذلك . فعالمى وعالمك على وشك الانتهاء» .

قامت ، لامست وجه الشاب برقة ثم ذهبت إلى قاعة الطعام .

حينما فتحت الباب ، رأت مشهداً غير معتاد ، كانت الكراسى والموائد قد حشدت فى الخلف بقرب الجدران ، مشكلة فضاء رئيساً واسعاً . وهناك ،

جالسون على الأرض ، كان أعضاء الأخوية ، يستمعون إلى رجل يرتدى بذلة ورابطة عنق .

«ثم دعوا نصر الدين ، سيد التقاليد الصوفية العظيم ، لإلقاء محاضرة»، كان يقول .

عندما فتح الباب ، نظر الجميع إلى فيرونيكا . والتفت رجل البذلة إليها .

«إجلسي» .

جلست على الأرض ، على مقربة من مارى ، المرأة ذات الشعر الأبيض ، التى كانت عنيفة معها فى اللقاء الأول . ولدهشة فيرونيكا ، رحبت مارى بها بابتسامة .

أكمل رجل البذلة قوله :

«نصر الدين وافق على إلقاء محاضرة فى الساعة الثانية بعد الظهر» ، يبدو أن ذلك سوف يكون نجاحاً كبيراً : امتلأت الكراسي الألف وبيعت كل التذاكر حتى أن سبعمائة شخص وقفوا فى الخارج ، يتابعون المحاضرة من أجهزة التليفزيون بالخارج .

فى الساعة الثانية تماماً ، جاء أحد أعوان نصر الدين ليقول إنه لأسباب اضطرارية ، ستتأخر المحاضرة. قام البعض محتجا ، وطالب بنقود التذاكر ثم خرج . ومع ذلك ، فإن الكثيرين ظلوا فى داخل وخارج قاعة المحاضرات .

عند الرابعة بعد الظهر ، كان سيد الصوفية لم يحضر بعد بدأ الناس فى ترك المكان تدريجياً ، مستعيدين نقودهم من مكتب التذاكر . أوشك يوم العمل على الانتهاء ، وحان وقت العودة إلى المنازل . عندما دقت الساعة السادسة ، أصبح الألف وسبعة مائة من الحضور أقل من مائة فقط .

فى تلك اللحظة ، وصل نصر الدين . كان يبدو مخموراً للغاية ، بدأ فى مغازلة فتاة جميلة جالسة فى الصف الأول .

اندهش الناس الذين انتظروه وبدأوا يشعرون بالإهانة . كيف يستطيع هذا الرجل التصرف بتلك الطريقة بعد أن انتظروه كل تلك الساعات الطويلة ؟ صدرت بعض الهمهمات المحتجة ، غير أن سيد الصوفية تجاهلها . واستمر يقول بصوت عال ، كم هى مثيرة تلك الشابة ، ودعاها للذهاب معه إلى فرنسا .

فكرت فيرونيكا . ياله من معلم ، إنه حسن جداً لأننى لا أؤمن بمثل تلك الأشياء.

بعد أن شتم المتذمرين حاول نصرالدين أن يقوم ، لكنه سقط فجأة على الأرض . وبازدراء استعد عدد أكبر من الحضور للمغادرة ، مرددين أنها مهزلة ، وأنهم سينقلون ذلك المشهد الردىء إلى الصحافة.

لم يبق سوى تسعة أشخاص . وحالما خرجت آخر أفواج المحتجين من الحضور ، قام نصرالدين، متنبها جداً ، وعيناه تلمعان وكان حضوره يلتف بوهج القوة والحكمة قال : «إن من تبقي منكم وجلس هو من سيستمع إليّ ، لقد مررتم بنجاح من خلال اختبارين شديدين للطريق الروحى . الصبر على انتظار اللحظة الصحيحة والشجاعة على عدم خيبة الأمل تجاه ما تواجهونه . أنتم من سأعلم» .

توقف الرجل وأخرج ناياً غريباً من جيبه .

«دعونا نأخذ استراحة قصيرة الآن ، ثم بعد ذلك نقوم بجلسات التأمل» .

وقف أعضاء المجموعة . لم تعرف فيرونيكا ما تفعل .

«قومى أنت ، أيضاً»، قالت مارى ، جاذبة إياها من يدها . «لدينا استراحة لخمس دقائق» .

«سأخرج ، لا أريد أن أكون فى الطريق» .

أخذتها مارى إلى الزاوية .

«ألم تتعلمى شيئاً ، حتى باقتراب الموت منك ؟ توقفى عن التفكير دائماً بأنك عثرة فى الطريق ، وأنك تزعجين أقرب شخص إليك. إذا لم يعجب ذلك الناس ، يمكنهم التذمر . وإذا لم تكن لديهم الشجاعة للتذمر ، فتلك مشكلتهم» .

«ذلك اليوم الذي جئتك فيه ، فعلت شيئاً لم أفعله من قبل» .

«وسمحت لنفسك بالذعر من مجرد مزحة قالها رجل مجنون. لماذا لا تتشبثين ببندقيتك؟ ما الذى كان لديك لتفقديه» ؟

«كرامتى ، لكونى فى مكان غير مرحب بى» .

«وما الكرامة؟ أن تجعلي كل شخص يعتقد أنك حسنة ، مهذبة ، محبة للبشرية. احكى شيئا من الاحترام للطبيعة ، شاهدى أفلاماً قليلة عن الحيوانات لترى كيف يتقاتلون من أجل أماكنهم . كلنا وافقنا بتعاطف على صفعتك تلك» .

لم يعد لدى فيرونيكا الوقت الكافى للصراع على مكان ، لذلك فقد غيرت الموضوع ، وسألت عن رجل البذلة من يكون ؟

ضحكت مارى: «أنت تتحسنين» ، «أنت الآن تسألين أسئلة دون أن تقلقى عما إذا كنت فضولية أم لا . إنه معلم صوفى» .

«ما معنى صوفى» ؟

«صوف» .

فيرونيكا لم تفهم . صوف ؟

«الصوفية هى تقاليد روحانية للدراويش . لا يحاول معلموها إظهار مدى حكمتهم ، وأتباعها يدخلون فى حالة من النشوة عبر الرقص الدائرى» .

«وما الفائدة من ذلك» ؟

«لست متأكدة ، لكن أعضاء مجموعتنا قرروا ، البحث فى كل التجارب المحرمة. طوال حياتى ، كانت الحكومة تعلمنا أن الهدف الوحيد للبحث فى

الروحانيات هو جعل الناس ينسون واقعهم ومشاكلهم الحقيقية . الآن أخبرينى : ألا تظنين أن محاولة فهم الحياة هى المشكلة الحقيقية» ؟

نعم ، هى كذلك ، بالرغم من أن فيرونيكا لم تعد متأكدة من معنى «حقيقى» .

طلب رجل البذلة – معلم صوفى كما تقول مارى – منهم جميعاً الجلوس فى دائرة . ومن مزهرية أخرج كل الورد عدا وردة ، وردة حمراء واحدة ، ووضعها فى منتصف الدائرة التى تجلس فيها المجموعة .

قالت فيرونيكا لمارى : «أترون إلى أين وصلنا» .

«قرر رجل مجنون أنه بالإمكان زراعة الورد فى الشتاء ، واليوم فى أوروبا كلها ، لدينا ورود طوال العام . هل تظنين أن معلماً صوفياً ، رغم كل معرفته ، يستطيع فعل ذلك» ؟

بدت مارى أنها تقرأ أفكارها .

«احتفظى بنقدك حتى الآخر» .

«لسوف أحاول ، بالرغم من أن كل ما أملكه هو الحاضر ، وقصير جداً كما يبدو» .

«هذا هو مايحتاجه أى شخص ، وهو قصير دائماً ، بالرغم من أن بعض الناس يؤمنون أن لهم ماضيا يستطيعون فيه مراكمة الأشياء ومستقبلا يراكمون فيه المزيد . بالمناسبة ، بما أننا نتحدث حول اللحظة الراهنة ، هل تمارسين العادة السرية كثيرا؟»

بالرغم من أنها تحت تأثير المخدر الذى أعطوها إياه، تذكرت فيرونيكا الكلمات الأولى التى سمعتها فى فيليت.

«عندما أحضرونى هنا فى البداية وكنت محاطة بالأنابيب والمغذيات، سمعت شخصاً يسألنى إذا كنت أريد أن أستمنى. ماهذا كله؟ لماذا تقضون وقتكم فى

التفكير فى مثل هذه الأشياء؟» ، إنه الشىء نفسه فى الخارج ، الفرق فقط نحن هنا لانخفى الحقائق».

هل أنت التى سألتنى ذلك السؤال؟»

«كلا ، لكننى أعتقد أنه فيما يتعلق بالمتعة ، فإن عليك أن تكتشفى إلى أى مدى تستطيعين أن تصلى إليها. فى المرة القادمة ، ومع بعض الصبر، يمكنك أن تأخذى شريكك إلى هناك ، بدلاً من انتظار أن يقودك هو . حتى لو كان لديك يومان فقط للحياة ، لا أعتقد أنك يجب أن تغادرى الحياة دون أن تعرفى المدى الذى يمكنك الوصول إليه».

«فقط إذا كان شريكى هو الفصامى الذى ينتظرنى فى هذه اللحظة كى يستمع إلى عزفى من جديد عند البيانو».

«إنه وسيم ، بالتأكيد».

قاطع رجل البذلة حديثهما بدعوته للصمت . طلب من الجميع التركيز على الوردة كى يفرغوا عقولهم مما فيها.

«ستعود الأفكار، حاولوا أن تدفعوا بها إلى جانب واحد . لديكم خياران : أن تسيطروا على عقولكم أو تسمحوا للعقل أن يسيطر عليكم . أنتم على خبرة بالخيار الثانى والسماح لأنفسكم بالانجراف مع الخوف ، العصابية ، عدم الأمان، لأننا كلنا نملك الميول للتدمير الذاتى.

«لاتخلطوا بين الجنون وفقدان السيطرة ، تذكروا أنه فى التقاليد الصوفية، المعلم – نصر الدين – هو من يدعوه الجميع بالمجنون . ولهذا السبب بالتحديد ويكون اخوانه المواطنون يدعونه بالمجنون فإن نصر الدين يستطيع أن يقول وأن يفعل مايريد . وهكذا فإنهم استطاعوا فى الباحات، خلال العصور الوسطى ، أن

يحذروا الملوك من المخاطر التى لم يجرؤ الوزراء على الحديث عنها لخوفهم من عواقب ذلك على مناصبهم .

«وهكذا يجب أن يكون الأمر بالنسبة إليكم ، ابقوا مجانين ، لكن تصرفوا مثل البشر العاديين . خاطروا بالاختلاف ، لكن تعلموا فعل ذلك دون جذب الانتباه إليكم . ركزوا أذهانكم على هذه الوردة واسمحوا «للأنا» الحقيقية أن تفصح عن نفسها».

سألت فيرونيكا «وما هى «الأنا» الحقيقية؟ »

ربما يعرف الجميع، ولكن ماذا يهم ذلك : عليها أن تتعلم كيف تهتم أقل بإزعاج الآخرين.

بدا الرجل مستغرباً تلك المقاطعة لحديثه ، غير أنه أجاب على سؤالها :

«المهم من هو أنت ، وليس ما يحسبه إياك الآخرون».

قررت فيرونيكا أن تنفذ التمرين ، والتركيز بقدر ما تستطيع على اكتشاف من كانت خلال تلك الأيام فى فيليت، أحست بأشياء لم تشعر بها من قبل وبقوة شديدة الكراهية ، الحب ، الخوف ، الفضول ، والرغبة فى الحياة .

ربما كانت مارى محقة : هل كانت تدرك بالفعل ما الذى تعنيه النشوة ؟ أم أنها جارت الرجال كما أرادوا لها حين عاشروها؟

بدأ الرجل فى عزف الناى . وتدريجياً أضفت الموسيقى الهدوء على روحها، واستطاعت أن تركز على الوردة . ربما كان ذلك من تأثير المهدىء، لكن الواقع أنها ومنذ غادرت مكتب د. ايجور فقد شعرت بتحسن رائع.

كانت تعرف أنها ستموت سريعاً ، فلماذا الخوف إذن؟ لن يساعدها على

الإطـــــلاق ، ولن يجنبها الذبحة القلبية الحتمية، أفضل خطة ممكنة هى أن تستمتع بالأيام والساعات الباقية لها ، وأن تفعل أشياء لم تفعلها فى حياتها من قبل.

كانت الموسيقى ناعمة ، والضوء الخافت فى قاعة الطعام خلق جواً دينياً .

الدين : لماذا لم تحاول الغوص بداخلها لترى ما الذى تبقى من معتقداتها وإيمانها؟

غير أن الموسيقى كانت تقودها إلى مكان آخر : فرغ عقلك توقف عن التفكير فى أى شىء، فقط تخلت فيرونيكا عن نفسها من أجل التجربة، حدقت فى الوردة . ورأت من كانت، وأحبت ما رأت وشعرت بالندم فقط تجاه تسرعها.

عندما انتهت جلسة التأمل ، وغادر المعلم الصوفي، بقيت ماري لبعض الوقت في قاعة الطعام ، للتحدث مع بقية أعضاء الأخوية فقالت فيرونيكا إنها متعبة وغادرت في الحال ، فالمهدىء الذي تناولته ذلك الصباح كان من القوة بمكان لطرح حصان علي الأرض ، مع ذلك فإنها كانت قوية بما فيه الكفاية لتبقي يقظة طوال الوقت.

«هذا هو الشباب لك ، إنه يضع حدوده دون أن يسأل حتى إذا ما كان الجسد يتحمل ذلك . وبالرغم من هذا فإن الجسد «يفعل» دائماً.

مارى لم تكن مرهقة ، لقد نامت حتى وقت متأخر ، ثم قررت أن تذهب للتنزه فى لجوبلجانا وطلب الدكتور ايجور من أعضاء الأخوية أن يغادر فيليت يومياً . ذهبت إلى السينما ونامت على المقعد ، مشاهدة فيلم مثير للملل حول الخلافات الزوجية ، أليس هناك موضوع آخر ؛ لماذا يعيدون دائماً القصص نفسها – زوج مع عشيقة ، زوج مع زوجته وطفل مريض ، زوج مع زوجة، عشيق مع طفل مريض؟ إن هناك أموراً أكثر أهمية فى العالم للحديث حولها.

لم يطل الحوار فى قاعة الطعام كثيراً ، لقد تركت جلسة التأمل أعضاء المجموعة فى حالة من الاسترخاء وكانوا جاهزين للعودة إلى أجنحتهم، بخلاف مارى التى ذهبت إلى الحديقة ورأت أن الشابة لم تذهب إلى سريرها ، بعد.

كانت تعزف لإدوارد الفصامي، الذى كان ربما فى انتظارها طوال ذلك الوقت بقرب البيانو . لا فالمجانين كالأطفال، لايكفون عن طلباتهم حتى يتم إرضاؤهم.

كان الهواء قارصاً . عادت مارى إلى الداخل ، أخذت معطفاً معها وعادت إلى الخارج ، وبعيداً عن عيون الجميع ، أشعلت سيجارة . دخنت ببطء دون احساس بالذنب ، مفكرة فى المرأة الشابة ، موسيقى البيانو التى تسمعها والحياة خارج جدران فيليت ، التى أصبحت أكثر صعوبة للجميع.

من وجهة نظر مارى ، كانت تلك الصعوبة ليست بسبب الفوضى، الارتباك، أو عدم التنظيم ، ولكن بسبب زيادة النظام . صار للمجتمع قوانين كثيرة ، وأحكام تناقض القوانين ، وقوانين جديدة تناقض التشريعات وأحس الناس بالذعر من اتخاذ خطوة واحدة خارج التشريعات غير المرئية التى تقود حياة الجميع.

كانت مارى تعرف جيداً ما الذى تتحدث عنه ، وحتى الوقت الذى دفع بها مرضها إلى فيليت ، فقد قضت أربعين عاماً من حياتها تعمل محامية . فقدت رؤيتها البريئة للعدالة في بداية عملها ، وتوصلت إلى فهم أن القوانين لم تخلق من أجل حل المشاكل، ولكن لمد الخلافات بلا أجل.

من المخجل أن الله ، يهوى، الإله - مهما كان الاسم الذى ندعوه به - لايعيش فى هذا العالم اليوم ، لأنه لو فعل، سوف نبقى فى الجنة، فيما يعرف هو فى المطالبات، التدخلات، الطلبات، الاعتراضات، الأحكام الأولية وسوف يضطر إلى تبرير عدد غير محدود من المظالم والمعاناة تسبب فيها قراره بخروج آدم وحواء من الجنة لكسرهم تشريع تعسفى لا أساس له فى القانون: حول شجرة المعرفة بالخير والشر التى منها لا تأكل.

إذا كان غير راغب فى حدوث ذلك ، لماذا وضع الشجرة فى منتصف الحديقة وليس خارج جدران الجنة؟ لو أنها استدعت للدفاع عن الزوجين ، كانت مارى بلاشك سوف تتهم الإله بالإهمال الإدارى ، لأنه بالإضافة إلى غرسه للشجرة فى مكانٍ خاطىء ، فشل فى إحاطتها بالتنبيهات والحواجز، لقد فشل فى أخذ أقل الاحتياطات الأمنية الممكنة، وهكذا فإنه عرض الجميع للخطر.

يمكن لمارى ، أيضاً ، اتهامه بالتحريض على السلوك الإجرامى ، لأنه قد أشار إلى آدم وحواء بالمكان الدقيق للعثور على الشجرة . لو أنه لم يقل شيئاً، فإن جيلاً بعد جيل كان سيعبر عن ذلك التراب دون أن يهتم أى شخص بالفاكهة

المحرمة، بما أن الشجرة كان من المفترض أن تكون فى غابة من الأشجار المثيلة، ولذلك فإن ليس لها قيمة خاصة.

غير أن الإله سلك مسلكاً مختلفاً تماماً، لقد صمم قانونا ثم أوجد طريقة ليكسر شخص ما ذلك القانون، حتى يتمكن من ابتكار العقوبة، كان يعرف أن آدم وحواء سوف يصيبهما الملل من الكمال، وسوف يأتى الوقت كى يختبرا صبره. لقد نصب فخا ، ربما لأنه هو ، الإله العظيم ، كان ضجرا من كل شئ يمضى بهدوء: لو لم تأكل حواء التفاحة، لم يكن ليحدث أى شئ مثير خلال بلايين السنين القليلة الماضية.

عندما ما تم كسر القانون، فإن الإله - القاضى الأعظم - تظاهر بأنه يلاحقهم، وكأنه لم يكن يعرف بكل مكان محتملا للاختباء، ومع وجود الملائكة يراقبون، مستمتعين باللعبة «لابد أن الحياة كانت عزيزة جداً عليهم بعد أن غادر إبليس الجنة»، بدأ يتمشى فى الحديقة. فكرت مارى كم كان سيكون مشهداً رائعاً فى فلم سينمائى مثير ستخلقه تلك الفقرة من الإنجيل: خطوات الإله، تبادل الزوجان لنظرات الرعب، وتوقف القدمان فجأة أمام مخبأهم.

«أين أنتم؟» سأل الإله.

«لقد سمعت الصوت في الحديقة، وخفت، لأنني كنت عاريا، فأخفيت نفسى» أجاب آدم، دون أن يعرف أنه بجوابه ذلك، كان قد أقر واعترف بالجريمة.

وهكذا ، فإنه عبر طرقاً تحوى خدعة بسيطة، وبالتظاهر بأنه لم يعرف فاجأ آدم أو لماذا كان قد فر، فإن الإله حصل على ما يريد، ومع ذلك، وحتى لا يترك مجالاً للشك بين الحضور من الملائكة الذين كانوا يراقبون المشهد بتركيز شديد، قرر أن يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك.

«من أخبرك بأنك عار؟» قال الإله، عالم أن ذلك السؤال له جواب واحد فقط: لأننى أكلت من شجرة المعرفة بالخير والشر.

وبهذا السوال عرض الإله على ملائكته أنه قاضي عادل، وأن حكمه على الزوجين بنى على دليل صلب، ومنذئذ، لم يعد الأمر هو إذا كان خطيئة المرأة أو طلبهم للسماح: لقد كان الإله بحاجة إلى ضرب مثل، حتى لا يستطيع كائن آخر، من الأرض أو الجنة، أن يجرؤ على مخالفة تعليماته.

لقد طر الإله الزوجين، كما أن أطفالهم دفعوا الثمن، أيضاً «كما مازال يحدث الآن مع أبناء المجرمين، وهكذا تم اختراع النظام القضائي: القانون تطبيق القانون بغض النظر عن منطقيته من عدمها»، الحكم «حيث يهيمن الأكثر خبرة على الغرير»، والعقوبة.

وبما أن الإنسانية قد حكم عليها دون حق الاستئناف، فقد قررت البشرية أن تخلق نظام دفاع، ضد إمكانية أن يختلف الإله استعمالاً جديداً لقواه ضدها، غير أن ملايين الدراسات أنتجت مقاييس قضائية كثيرة أصبحت، بالضرورة، متجاوزة، وأصبحت العدالة ملابسات مختلطة، ونصوصا متناقضة لا أحد يفهمها بدقة.

حدث ذلك إلى درجة أن الإله عندما غير قلبه وأرسل بابنه كي يحمى العالم، ما الذى حدث، لقد وقع فى أيدى العدالة نفسها التى ابتكرها.

إن تشابك القوانين خلق حيرة بحيث انتهى الابن إلى أن يسمر على الصليب. لم تكن محاكمة سهلة، لقد تم تمريره من أنانيس إلى كيافيس، ومن القسيس إلى الحاكم، الذى قرر أنه ليس هناك قوانين كافية فى التشريع الرومانى، ومن الحاكم إلى هيرود، والذى بدوره قرر أن التشريع اليهودى لايسمح بالحكم بالموت، ومن هيرود مرة أخرى إلى الحاكم الذى بحث عن مخرج، قدم للناس صفقة قانونية:

لقد أجاز أن يضرب الابن وأن يعرض على العامة، بجروحه، لكن ذلك لم يكن كافياً.

ومثل رجال النيابة اليوم ، قرر الحاكم أن يوفر على نفسه تكاليف رجل محكوم : قرر أن يقدم عيسى كبديل لباراباس ، عارفاً ، أنه آنئذ ، العدالة قد تحولت إلى مسرح كبير للمشاهدين المطالبين: بالموت للسجين.

وأخيراً ، استخدم الحاكم بند القانون الذى يمنح القاضى، وليس الشخص المحكوم ، ترجيح الشك . لقد غسل يديه، مما يعني : «لست متأكداً في الحالتين». لقد كانت طريقة أخرى للحفاظ على نظام القضاء الرومانى، دون أن يجرح العلاقات مع المحاكم المحلية ، وكذلك تحويل دفة القرار ووزنه إلى قرار العامة ، فيما لو كان هناك احتمال بأن يسبب الحكم أية مشكلة وقد جاء أحد المفتشين من العاصمة الإمبراطورية حتى يرى بنفسه ما الذي يحدث هناك.

العدالة. القانون . بالرغم من أن الإثنين كانا حيويين لحماية الأبرياء ، لم يكونا دائماً حسب رغبة الجميع.

كانت مارى سعيدة لابتعادها عن كل ذلك التشويش، بالرغم من أنها الليلة، وهى تستمع إلى البيانو، لم تكن متأكدة أن فيليت هى المكان المناسب لها .

«إذا ما قررت للمرة الأخيرة أن أغادر المكان ، فلن أعود إلى القانون . لن أقضى وقتى مع مجانين يظنون أنهم طبيعيون ومهمون ، غير أن هدفهم الوحيد فى الحياة هو أن يصعبوا كل شيء للآخرين . سأصبح نساجة، مطرزة للثياب ، سأبيع الفواكة أمام مسرح البلدية . لقد قدمت مشاركتى الكافية للجنون الخطير للقوانين» .

فى فيليت كان مسموحاً لك بالتدخين ، ولكنى لا أن تدوس على السيجارة فى الممر . وبمتعة كبيرة ، فعلت ما كان ممنوعاً ، لأن الميزة الكبرى للوجود هناك كانت عدم الاضطرار لاحترام القوانين ولا حتى تحمل أى توابع مهمة لكسرك لها .

مضت إلى الباب . الحارس – كان دائماً حارساً هناك ، هو القانون – أومأ إليها وفتح الباب . قالت :

«لست ذاهبة إلى الخارج» .

قال الحارس : «موسيقى بيانو جميلة ، لقد استمعت إليها كل ليلة ، تقريباً» .

«لن تستمر طويلا» ، قالت ومشت سريعاً بعيداً عنه حتى لا تضطر إلى التفسير .

لقد تذكرت ما قرأته فى عيون الفتاة حينما جاءت إلى غرفة الطعام : الخوف .

خوف . لعل فيرونيكا تشعر بعدم الطمأنينة ، الحياء ، الخجل ، الضغوط ، ولكن لماذا الخوف ؟ كان ذلك مبرراً عند مواجهة تهديد حقيقى : حيوانات شرسة ، مهاجمين مسلحين ، زلازل ، ولكن ليست مجموعة من الناس مجتمعين معاً فى صالة طعام . قالت :

«لكن البشر ، هم أنفسهم، استبدلنا كل مشاعرنا تقريبا بالخوف» .

كانت مارى تعلم جيداً عم تتحدث ، لأن ذلك هو السبب الذى جلبها إلى فيليت: نوبات الذعر .

كان لدى مارى فى غرفتها مكتبة متنوعة من المقالات حول الموضوع . الآن صار الناس يتحدثون عنه بصراحة ، ولقد شاهدت برنامج فى التليفزيون الألمانى ناقش فيه الناس تجاربهم الشخصية . فى البرنامج نفسه ، كشفت إحصائية أن نسبة كبرى من السكان يعانون من هجمات نوبات الذعر ، رغم أن معظم المصابين بذلك حاولوا أن يخفوا الأعراض ، خوفاً من اعتبارهم مجانين .

ولكن فى الوقت الذى عانت فيه مارى من الهجمات الأولى للحالة ، لم يكن ذلك كله معروفاً «لقد كان جحيماً كاملا» ، فكرت ، وهى تشعل سيجارة أخرى .

كان البيانو مازال صادحاً ، وتبدو الفتاة على قدرة كافية للاستمرار فى العزف طوال الليل .

تأثر الكثير من النزلاء بوجود الفتاة فى المستشفى ، ومارى كانت إحداهم . فى البداية ، حاولت أن تتجنبها ، خوفاً من إيقاظ رغبة الفتاة فى الحياة ، بما أنه لم يكن هناك من مهرب ، كان من الأفضل بقاءها راغبة فى الموت . تعمد د. إيجور أن يكون الأمر معروفا ، ورغم أنها سوف تتلقى حقناً يومية ، فإن حالتها الجسدية سوف تتدهور ولن تكون هناك طريقة لإنقاذها .

لقد فهم النزلاء الرسالة الموجهة إليهم واحتفظوا بمسافة من المرأة المحكومة بالموت . غير أنه ، ودون أن يعرف أحد لماذا بالتحديد ، فإن فيرونيكا بدأت بالدفاع عن حياتها ، والشخصين الوحيدين اللذين اقتربا منها كانا زيدكا، والتى سوف تغادر غداً ولم تكن تثرثر على أى حال ، وإدوارد .

كانت مارى بحاجة إلى أن تقول شيئاً لإدوارد ، يحترم آراها دائماً . ألم يلاحظ أنه يجذب فيرونيكا إلى العالم من جديد ، وأن ذلك هو الشىء الأسوء الذى يفعله لشخص لم يعد لديه أمل فى النجاة ؟

فكرت فى آلاف الطرق لتشرح له الوضع ، ولكنها كلها ستشعره بالذنب ، وهذا مالا تستطيع أن تفعله . فكرت مارى قليلاً ثم قررت أن تترك الأشياء فى مسارها الطبيعى . إنها لم تعد محامية ولم ترغب فى طرح مثل سيىء بأن تبتكر قوانين جديدة فى مكان تعشعش فيه الفوضى .

غير أن حضور المرأة كان قد لامس الكثير من الناس هناك ، وبعضهم كان مستعداً لإعادة النظر فى حياته ، حاول أحدهم أن يشرح مايحدث . حالات الموت فى فيليت كانت تحدث بعد مرض طويل ، عندما يكون الموت رحمة .

غير أن حالة المرأة الشابة كانت مأساوية لأنها كانت يافعة جداً وتريد الآن أن تحيا من جديد ، وهو الأمر الذى يعلم الجميع أنه مستحيل . سأل البعض نفسه «ماذا لو حدث ذلك لى ، إن لدى فرصة للحياة . هل أنا صانع شيئا جميلاً منها؟» .

لم ينزعج البعض للحصول على إجابة ، لقد يئسوا منذ زمن طويل وشكلوا الآن جزءاً من العالم حيث لايوجد فيه هناك حياة أو موت ، زمان أو مكان . غير أن آخرين أجبروا على التفكير بشدة ، ومارى كانت أحداهم .

توقفت فيرونيكا عن العزف ، لبرهة ، ونظرت نحو مارى فى الحديقة . كانت ترتدى معطفاً خفيفاً ضد برد الليل ، هل كانت تود أن تموت ؟

«كلا ، أنا التى أود أن أموت» .

عادت إلى البيانو . فى أيام حياتها الأخيرة ، بدأت تحقق حلمها الكبير ، أن تعزف بالقلب والروح ، للمدة التى ترغبها وفى أى وقت يناسب مزاجها . لم يكن يعنيها أن جمهورها كله هو شاب فصامى ، بدا أنه يفهم الموسيقى ، وكان ذلك هو كل ما يعنيها .

لم ترغب مارى أبداً فى الانتحار . على عكس ذلك ، منذ خمسة أعوام مضت فى نفس دار السينما التي زارتها اليوم ، كانت قد شاهدت ، بذعر ، فيلماً حول الفقر فى السلفادور وفكرت كم هى مهمة حياتها آنذاك. فى ذلك الوقت – ومع وجود أطفالها وقد كبروا وصاروا يشقون طريقهم نحو مهنهم - كانت قد قررت التخى عن ذلك العمل المريك الذى لاينتهى كمحامية حتى تكرس بقية حياتها للعمل فى المنظمات الإنسانية . لقد كانت إشاعات نشوب حرب أهلية فى الوطن تزداد طوال الوقت ، غير أن ماري لم تصدق ذلك . كان من المستحيل ، وفى نهاية القرن العشرين ، أن يسمح المجتمع الأوربى بحرب جديدة على بواباته .

أما على الجانب الآخر من العالم ، فلم يكن هناك نقص فى المآسى ، وكانت إحدى تلك المآسى هى السلفادور حيث يتم إجبار أطفال الجوع والشوارع على الدعارة .

قالت لزوجها ، والذى كان يجلس على الكرسى بقربها : «كم هذا رهيب» .

وافق .

أجلت مارى قرارها ذلك لوقت طويل ، ولكن لعلها هذه هى اللحظة المناسبة للتحدث إليه . لقد حصلوا على كل الأشياء الرائعة التى يمكن أن تمنحها إليهم الحياة : منزل ، عمل ، أطفال طيبون ، رفاهية متواضعة ، هوايات وثقافة . لماذا لا نفعل شيئاً من أجل الآخرين على سبيل التغيير ؟ كانت لمارى صلات ومعارف فى الصليب الأحمر وكانت تعرف أنهم بحاجة إلى المتطوعين فى أرجاء كثيرة من العالم .

كما أجهدها الصراع مع البيروقراطية والقضايا القانونية ، عاجزة عن مساعدة أشخاص قضوا سنوات حياتهم محاولين حل مشاكل ليست من صنيعتهم . والعمل مع الصليب الأحمر ، سوف ينتج نتائج مباشرة .

قررت ، أنهما عندما يغادران السينما ، سوف تدعو زوجها إلى القهوة لمناقشة تلك الفكرة .

وحالما ظهر مسئول حكومي من السلفادور على الشاشة ليقدم تبريرات واسعة حول بعض التظلمات الجديدة ، لاحظت مارى فجأة أن قلبها يخفق بشكل أسرع .

قالت لنفسها إن هذا لايعنى شيئاً ، ربما أن الجو الخانق لدار السينما بدأ يؤثر عليها ، وإذا استمرت العوارض فسوف .. تذهب للخارج كي تلتقط أنفاسها .

غير أن الأحداث أخذت مجرياتها ، بدأ قلبها في الخفقان أسرع وأسرع ، وانفجرت فى عرق بارد .

شعرت بالهلع وحاولت بصعوبة أن تركز انتباهها فى الفيلم ، حتى تتحاشى أية أفكار سلبية ، غير أنها أدركت أنه لم يعد باستطاعتها متابعة مايحدث على الشاشة . كانت مارى تستطيع أن ترى المشاهد والترجمة ، غير أنها بدت كأنها قد ولجت إلى حقيقة أخرى مختلفة كلياً ، حيث يدور كل شيء حولها غريباً وخارج السياق ، وكأنها تنزلق إلى مكان غريب فى العالم لم تألفه من قبل . قالت لزوجها :

«أنا لست على ما يرام» .

كانت قد أجلت قول ذلك أطول وقت ممكن ، لأن ذلك يعنى أنه ثمة سوء ما ، غير أنها لم تستطع إخفاء ذلك طويلاً ، قال «لنذهب إلى الخارج» .

عندما أخذ بيد زوجته لتقوم على رجليها ، لاحظت أنها كانت متجمدة .

«لا أظن أننى استطيع الوصول إلى هناك . أرجوك أخبرنى ماذا يحدث لى» .

شعر زوجها بالخوف ، أيضاً تصبب العرق من وجه مارى لمع بريق غريب فى عينيها .

«إبقى هادئة ، سأخرج لطلب طبيب» .

أحاط بها الهلع . كل شيء غير منطقى ما قاله والسينما ، والعتمة ، والأشخاص الجالسون بمحاذاة بعضهم البعض محدقين فى الشاشة البراقة ، كل ذلك بدا مهدداً لها . كانت متأكدة أنها حية ، حتى يمكنها أن تلمس الحياة حولها كأنها شيء صلب وهذا لم يحدث لها من قبل .

ولا تتركني وحدى هنا بأى حال من الأحوال . سأنهض وأذهب معك . ولكن على مهل» .

قدم الاثنان اعتذارهما للأشخاص المحاذين لهما فى الصف نفسه من الكراسى ، وبدأ فى المشى نحو المخرج فى خلفية السينما . خفق قلب مارى بعنف كانت متأكدة ، متأكدة تماماً ،أنها لن تخرج أبداً من ذلك المكان . كل شيء فعلته ، كل حركة قامت بها - تقديم قدم قبل أخرى ، القول «عذراً» ، تشبثها بذراع زوجها ، تنفسها الزفير والشهيق - بدا متعمداً وقصدياً بشكل مخيف .

لم تشعر بذعر كهذا طوال حياتها .

«سوف أموت فى هذه السينما» .

كانت مقتنعة أنها تعرف مايحدث ، لأنها ، منذ سنوات طويلة مضت ، ماتت صديقة لها فى السينما نتيجة سكتة دماغية .

السكتة الدماغية تشبه القنابل الموقوتة . أنها شرايين صغيرة متمددة تشكل أوردة - مثل منفاخ عجل قديم - وتبقى هناك كامنة لحياة طويلة . لا أحد يعرف إذا ما كانت قد تورمت ، الا بالمصادفة ، بعد عمل اشعة للمخ لأسباب أخرى ، أو فى الوقت الذى تنفجر فيه ، نازفة بكل شيء مع الدماء ، تاركة الشخص وراءها فى حالة غيبوبة ، متبوعة بالموت السريع .

وأثناء تحركها في ممر السينما المظلم ، تذكرت مارى الصديقة التى فقدتها . الشيء الغريب ، أن تأثير ذكرى ذلك التورم وصل إلى حواسها ،وكأنها انتقلت إلى كوكب آخر ، وهى ترى الأشياء العادية كأنها تراها للمرة الأولى .

ثم ، كان هناك أيضاً الخوف المرعب غير المبرر ، والهلع من وجودها وحيدة فى ذلك الكوكب الآخر . الموت . «علىّ أن أكف عن التفكير . سأتظاهر بأن كل شيء على ما يرام وسيصبح كذلك» .

حاولت التصرف بطبيعية ، وللحظات ، تقلص الشعور بالغرابة . كانت الدقيقتان اللتان امتدتا ما بين شعورها الأول بخفقان القلب السريع ووصولها إلى المخرج مع زوجها أكثر دقيقتين رعباً فى حياتها .

عندما وصلا إلى المدخل الشديد الإضاءة ، بدا كل شيء كأنه يبدأ من جديد . كانت الألوان تبدو متداخلة يخترقها الضوء من كل جانب من الشارع ، بدا كل شيء غير واقعي . بدأت تلاحظ تفاصيل تنتبه إليها للمرة الاولى ، مثلاً ، وضوح الرؤية التى تغطى المساحة الصغيرة التى تحدق فيها ، فيما يبدو كل شيء آخر غير واضح المعالم .

تعرف أن كل ما تستطيع أن تراه حولها كان مجرد مشهد تبتدعه الذبذبات الكهربائية داخل مخها ، مستخدمةً ذبذبات ضوئية تمر عبر ذلك العضو الجلاتيني المدعو بالعينين .

لا ، عليها التوقف عن التفكير . فى هذا الطريق يرقد الجنون .

عندئذ ، كان خوفها من الانفجار الدماغى ، قد مر ، كانت قد تدبرت أمرها للخروج من السينما ، ومازالت حية . أما الصديقة التى ماتت ، على الجانب الآخر ، لم تكن لديها فرصة لمغادرة كرسيها .

قال زوجها ، عندما رأى وجه زوجته الرمادى وشفاهها التى فر منها الدم .

«سأطلب سيارة إسعاف» .

قالت وهى تسمع الحروف خارجة من فمها ، واعية بالذبذبات الخاصة بكل حرف : أطلب تاكسى كان الذهاب إلى المستشفى يعنى قبولها بكونها مريضة بشكل حاد ، ومارى مصممة على استعادة كل شيء تكون طبيعية .

غادرا المدخل ، وبدا أن للهواء البارد تأثيراً إيجابياً ، استعادت مارى بعض السيطرة على نفسها ، رغم أن نوبة الهلع والذعر كانت مازالت مستمرة . بينما كان زوجها يحاول جاهداً العثور على تاكسى ، والذى كان نادراً فى ذلك الوقت من ذلك اليوم ، جلست على الرصيف محاولة ألا تنظر إلى مايحيط بها : أطفال يلعبون ، باصات تمر ، وموسيقى تتردد من الملاهى ، بدا كل ذلك وسوريالياً ، مرعباً ، وغريباً .

وأخيراً ، ظهر تاكسى .

قال زوجها ، مساعداً زوجته فى الدخول : «إلى المستشفى» .

قالت : «أرجوك ، دعنا نذهب إلى البيت» لم تود الذهاب أى مكان غريب ، كانت بحاجة ماسة إلى المألوف ، الاشياء العادية التى يمكنها أن تقلص من مخاوفها وذعرها التى تعانى منها .

وفيما كان التاكسى يقلهما إلى البيت ، بدأت خفقات قلبها تهدأ وعادت حرارة جسدها إلى الدرجة الطبيعية قالت لزوجها :

«سوف أشعر بالتحسن لابد أنه أثر شيء أكلته» .

عندما وصلا إلى البيت ، بدا العالم من جديد كما قد كان منذ طفولتها .

عندما رأت زوجها يذهب إلى الهاتف ، سألته عما يفعل .

«سأتصل بطبيب» .

«ليس هناك حاجة .أنظر إلى ، أنا بخير» .

عادت الحمرة إلى خديها ونبض قلبها بشكل طبيعى وتبخر الذعر الذى لم تكن تسيطر عليه قبل قليل .

نامت ماري بعمق في تلك الليلة ، واستيقظت واثقة من أن شخصاً ما وضع مخدراً في القهوة التي شربتها قبل الذهاب إلى دار السينما ، كانت جريمة خطيرة ، وكانت على أوج الاستعداد ، في نهاية ما بعد الظهيرة ، للاتصال بالنيابة والذهاب إلى قاعة المشبوهين بهم لتحديد الشخص المسئول عن ذلك .

ذهبت إلى العمل ، قرأت عدداً من القضايا وحاولت أن تشغل نفسها بعدد من المهام ، لأن تجربة الأمس خلفت قلقاً من ذلك الخوف ، وأرادت أن تثبت لنفسها أن ذلك لن يحدث من جديد .

تناقشت حول فيلم «السلفادور» مع أحد زملائها ، وذكرت عابراً أنها صارت ضجرة من عمل الشيء نفسه يومياً .

«لعل الوقت آزف للتقاعد» .

قال زميلها : «أنت أحد أهم المحامين لدينا ، إلى جانب ، القانون هو أحد المهن القليلة حيث يكون السن ميزة فيه ، لماذا لا تأخذين عطلة طويلة بدلاً من ذلك ؟ أنا متأكد أنك ستعودين إلى العمل بطاقة متجددة» .

«أريد أن أفعل شيئاً مختلفاً تماماً بحياتي . أريد أن أخوض مغامرة ، أساعد الآخرين ، وأن أعمل شيئاً لم أفعله من قبل» .

وانتهت المناقشة ثم ذهبت إلى الميدان ، وتناولت غذاءها في مطعم أكثر فخامة من المعتاد ، وعادت مبكرةً إلى المكتب . لقد حددت تلك اللحظة بداية انفصالها .

لم يكن باقي الموظفين قد عادوا بعد ، وانتهزت ماري الفرصة لتفحص الأعمال الموجودة على مكتبها . فتحت الدرج لأخذ القلم الرصاص والذي كانت تحتفظ به دائماً في نفس المكان غير أنها لم تجده . لشذرة من الوقت ، خطر في بالها أن فشلها في وضع قلم الرصاص في مكانه المعهود قد يكون مؤشراً لغرابة سلوكها الحالي .

كان ذلك كافياً كي تتراكض خفقات قلبها بشدة من جديد ، وعاد إليها الهلع الذي عانت منه ليلة الأمس .

تجمدت ماري في مكانها . كانت الشمس تتسلل من وراء الستائر المعدنية مضفية هالة مشعة وقاسية على كل شيء حولها ، غير أنها عادت للشعور بأنها سوف تموت في أي دقيقة كان كل شيء قوياً بشدة ، ما الذي كانت تفعله في هذا المكتب ؟

«أنا لا أؤمن بك يا الله ، ولكن أرجوك ساعدني» .

مرة أخرى تفجر منها عرق بارد ، ولاحظت أنها لاتستطيع السيطرة على ذعرها . لو أن أحداً ما جاء في تلك اللحظة ، فإنه سيلاحظ عينيها المذعورتين ولسوف تضيع .

«هواء بارد» .

كان الهواء البارد قد حسن من حالتها ليلة الأمس ، ولكن كيف يمكنها أن تصل بعيداً حتى الشارع ، ومرة أخرى بدأت تلاحظ كل التفاصيل الصغيرة التي تحدث لها – درجة تنفسها ، كان هناك أوقات حين أحست أنها إذا لم تبذل جهدها في الشهيق والزفير ، فإن جسدها لن يستطيع عمل ذلك بنفسه ، حركة رأسها كانت الصور تتلاحق وكأنها كاميرات تلفزيونية داخل رأسها ، خفق قلبها أكثر فأكثر ، وجسدها يغرق في عرق بارد ، ولزج .

وبعد ذلك الرعب ، خوف غير مبرر وهائل من عمل أي شيء ، أخذ خطوة واحدة ، أو مغادرة الكرسي الذي كانت تجلس عليه .

«سوف يمر» .

لقد مر في المرة الماضية ، ولكنها الآن في العمل ، ما الذي يمكنها أن تفعله؟ نظرت إلى ساعة الحائط وبدت كأنها آلة شاذة ، عقربان يتحركان في نفس

المحور ، مشيران إلى قياس للوقت لم يفسره أحد أبداً : لماذا الثانية عشرة وليست العاشرة ، مثل كل مقاييسنا الأخرى ؟

«على ألا أفكر فى هذه الاشياء ، أنها تدفعنى للجنون» . الجنون . ربما كانت تلك هى الكلمة الصحيحة لما تعانى منه . استجمعت كل قوة إرادتها ، نهضت على قدميها وذهبت إلى المرحاض . لحسن الحظ ، كان المكتب مازال خالياً ، وفى دقيقة بدت كأنها للأبد ، استطاعت أن تصل إلى هناك . بللت وجهها بالماء ، وتقلص شعورها بالغرابة ، رغم بقاء الخوف .

قالت لنفسها «سوف يمر» . «بالأمس مر» .

تذكرت ذلك ، يوم أول أمس ، استمرت الحالة لمدة نصف ساعة . أقفلت على نفسها باب أحد المراحيض ، جلست على كرسى المرحاض ووضعت رأسها بين ركبتيها . غير أن هذا الوضع بدا كأنه يضخم صوت دقات قلبها المتسارعة فنهضت مارى من جديد .

«سوف يمر» .

بقيت هناك ، مفكرة فى أنها لم تعد تعرف من تكون ، كانت ضائعة بلا أمل . سمعت أصواتا بشرية تدخل وتخرج من المرحاض ، وصوت الحنفية يفتح ويغلق ، وثرثرات خاوية حول مواضيع تافهة . أكثر من مرة حاول أشخاص فتح باب المرحاض المربع الذى تقبع بداخله ، غير أنها نطقت بعض الهمهمات فلم يصر أحد على فتح الباب . كان صوت ماء المراحيض مثل قوة جبارة للطبيعة ، قادرة على تحطيم مبنى كامل وإغراق الجميع فى الجحيم .

ولكن ، كما ارتأت ، مر الخوف وعادت دقات قلبها طبيعية . وكان جيداً بالنسبة إليها أن سكرتيرتها كانت مقصرة فى عملها بدرجة لم تلحظ فيها غيابها ، وإلا فإن المكتب بأكمله كان سيقتحم المرحاض للسؤال عنها والاطمئنان عليها .

عندما أحست بأنها استعادت سيطرتها على نفسها ، فتحت مارى باب المرحاض المربع ، وغسلت وجهها مرة أخرى بالماء لفترة طويلة ثم عادت إلى المكتب ، قالت «وجهك خال من المساحيق» «هل تريدين استعارة بعض مما لدى ؟» .

لم تزعج مارى نفسها حتى بالرد عليها . ذهبت إلى داخل المكتب ، التقطت حقيبتها واشياءها الخاصة ، وأخبرت سكرتيرتها بأنها سوف تقضى بقية اليوم فى المنزل ، حتجت السكرتيرة قائلة :

«ولكن عندك مواعيد كثيرة» ، «أنت لا تعطينى الأوامر ، أنت تتلقينها . إفعلى ما أقوله ، والغى كل المواعيد» .

حدقت السكرتيرة فى المرأة التى تعمل لديها منذ ثلاثة أعوام ، التى لم تكن يوماً ما وقحة معها من قبل . لابد أن هناك شيئاً خطيراً قد ألم بها ، ربما أخبرها أحدهم أن زوجها فى المنزل مع عشيقته ، وأنها أرادت أن تقبض عليهما متلبسين بالجرم المشهود . قالت الفتاة لنفسها :

«إنها محامية جيدة ، وهى تعرف ما الذى تفعله . مما لاشك فيه أنها ستعتذر منها فى الغد» .

لم يكن هناك من غد . فى تلك الليلة ، تحدثت مارى طويلاً مع زوجها ووصفت له كل الأعراض التى مرت بها . ومعاً ، توصلا إلى خلاصة أن تسارع الخفقات ، نوبات العرق الباردة ، الشعور بالتوهان ، العجز ، فقدان السيطرة ، يمكن تلخيصه كله بكلمة واحدة : الذعر . فكر أنه ربما عوارض ورم فى الدماغ ، غير أنه لم يقل شيئا . فما فكرت هى أن ذلك تنذير بأحداث سيئة سوف تحدث و غير أنها لم تقل شيئاً أيضاً . حاولا إيجاد أرضية مشتركة للمناقشة ، مثل الأشخاص المنطقين ، والناضجين .

«لعله من الأفضل لك إجراء بعض الفحوصات الطبية» .

وافقت مارى ، فى حالة واحدة ، بأن لايعرف أحد ، ولا حتى أبناؤها ، بأى شىء حول الموضوع .

فى اليوم التالى تقدمت بطلب تمت الموافقة عليه بإجازة غير مدفوعة لمدة ثلاثين يوماً من المكتب . فكر زوجها فى أخذها إلى النمسا حيث يوجد أخصائيين وأطباء كبار فى مجال الخلل الدماغى ، غير أنها رفضت مغادرة المنزل ، ازدادت النوبات وتستمر لفترات أطول .

وبصعوبة كبيرة ، كانت مارى فيها تحت تأثير جرعات كبيرة من المهدئات ، استطاع الاثنان الوصول إلى المستشفى حيث خضعت مارى لفحوصات متعددة . لم يعثروا على شىء غير عادى ، ولا حتى تورم فى الدماغ .

غير أن نوبات الذعر استمرت . بينما كان زوجها يقوم بالتبضع للمنزل ، والطهو ، راحت مارى تنظف المنزل بوسوسة وهوس كل يوم ، لتشغل دماغها بشىء آخر . بدأت فى قراءة كل الكتب النفسية التى تجدها ، لتضعها حالاً بعد قراءتها لأنها وجدت كل الأعراض التى تصيبها فى كل علة تصفها تلك الكتب .

كان أسوأ مافى الموضوع ، أنه بالرغم من أن النوبات لم تعد مفاجأة ، غير أنها كانت مازالت تشعر بنفس قوة ردة الفعل لديها من الذعر ، وفقدان السيطرة على النفس والاغتراب عن الواقع ، بالإضافة إلى أنها بدأت تشعر بالذنب تجاه زوجها الذى اضطر إلى القيام بعمله بالإضافة إلى أعمال البيت جميعها ، فيما عدا التنظيف .

ومع مرور الوقت ، وبقاء الحال على ماهو عليه ، بدأت مارى تشعر بانزعاج عميق وتعبر عنه. كان أقل شىء يثيرها ويجعلها تفقد أعصابها وتبدأ فى الصراخ ، ثم النحيب بشكل هستيرى .

بعد إجازة الثلاثين يوماً ، جاء أحد زملاء مارى إلى المنزل . كان يتصل بالهاتف يومياً ، غير أن مارى إما أنها لم تكن ترد على اتصالاته أو أنها تضطر زوجها لكى يجيب بأنها مشغولة . فى ذلك المساء ، وقف هناك يقرع الجرس حتى فتحت له الباب .

كانت مارى قد قضت صباحاً عصيباً . قدمت له الشاى وجلسا للحديث حول المكتب ، سألها متى تستطيع العودة إلى العمل ؟

«أبداً» .

تذكر حوارهما حول السلفادور .

«كنت دائماً تعملين بجد ومثابرة ، ومن حقك أن تختارى ما تريدين» ، قال دون أى تردد فى صوته «أظن ، فى حالة مثل هذه ، أن العمل خير علاج . قومى ببعض الرحلات ، تفرجى على العالم ، وأذهبى إلى ما ترينه نافعاً ، غير أن أبواب المكتب دائماً مشرعة لك ، وفى انتظارك» .

عندما سمعت ذلك ، تساقطت دموع مارى ، وإنه أمر يتكرر معها كثيراً فى الآونة الأخيرة .

انتظر زميلها حتى تهدأ . كمحام محترف ، فإنه لم يسألها عن شىء ، كان يعرف أن فرصته ستكون أفضل فى الحصول على إجابة من خلال صمته بدلاً من الأسئلة .

أخبرته مارى بالقصة كلها ، منذ ما حدث فى دار السينما حتى نوبات الهستيريا التى تنابها تجاه زوجها ، الذى ضحى كثيراً كى يساندها . قالت :

«أنا مجنونة» .

أجاب : بصوت ملىء بالثقة ، وبرقة ، حقيقية فى صوته : «فى هذه الحالة ، لديك خيارين : إما الحصول على بعض العلاجات أو الاستمرار فى المرض» .

«ليس هناك علاج لما أشعر به. مازلت أملك كل قواى العقلية، وأنا قلقة لأن هذه الحالة استمرت لفترة طويلة تخلو حالتى من الأعراض الكلاسيكية للجنون، مثل الانسحاب من الواقع، واللامبالاة والعنف غير المسيطر عليه، فقط ذعر».

«هذا ما يقوله كل المجانين، أنهم طبيعيون جداً».

ضحك الاثنان وقدمت له المزيد من الشاى. تحدثا عن الطقس، واستقلال سلوفينيا، والتوتر المتزايد بين كرواتيا ويوغسلافيا. كانت مارى تشاهد التليفزيون طوال النهار وعلى دراية بما يحدث.

وقبل توديعها، لامس زميلها الموضوع من جديد.

«لقد افتتحوا للتو مستشفى جديد فى المدينة». قال: « وهو مدعوم بأموال أجنبية ويقدم خدمات من الدرجة الأولى » .

« خدمات لأى شئ » .

«علاجات لفقدان الاتزان، دعينا نقول إن الذعر المبالغ فيه هو نوع من فقدان الاتزان».

وعدته مارى بالتفكير فى الأمر، غير أنها لم تكن قد اتخذت قراراً حقيقياً. استمرت فى التعرض لنوبات الذعر لشهر آخر، حتى أدركت أن حياتها الشخصية صارت تحت تأثير ما . إن زواجها، كان على حافة الانهيار. ومرة أخرى طلبت بعض المهدئات وحاولت النهوض على قدميها خارج المنزل، لعدة لحظات يومياً خلال ستين يوماً.

استقلت تاكسى وذهبت إلى المستشفى الجديد. فى الطريق سألها السائق إذا كانت فى زيارة لشخص ما.

«يقولون إنه مريح جداً، من الواضح أن لديهم مجانين حقيقين هناك، أيضاً، وبعض المعالجات تحوى الصدمات الكهربائية».

قالت مارى «سوف أزور شخصاً ما هناك» . استغرق الأمر محادثة لمدة ساعة

حتى تبلغ معاناة مارى طوال شهرين نهايتها . مدير المستشفى رجل طويل صبغ شعره قبل فترة قصيرة، اشارت أن د.ايجور شرح لها أن تلك هى مجرد نوبات ذعر مرض تم اكتشافه حديثاً فى علم النفس.

«هذا لا يعنى أنه مرض جديد، شرح لها قاصداً أن يكون كلامه واضحاً.

«الحقيقة أن الذين يعانون منه يميلون إلى إخفائه، حتى لا يظنهم الآخرون مجانين . أنه مجرد خلل كيميائى فى الجسم، مثل الاكتئاب».

كتب د.إيجور لها وصفة طبية وأخبرها بأن تعود إلى المنزل.

قالت مارى: «لا أريد العودة الآن حتى بعد كل ما أخبرتنى به، لن تكون لدى الشجاعة للخروج إلى الشارع، لقد تحول زواجى إلى جحيم، وزوجى بحاجة إلى الوقت ليتشافى من كل تلك الشهور التى قضاها فى رعايتى».

وكما يحدث دائماً فى مثل هذه الحالات – لأن المساهمين فى المستشفى أرادوا أن يعمل المستشفى بكامل طاقته – فإن إيجور قبلها كمريضة، رغم أنه وضح له تماماً أن ذلك ليس ضرورياً فى حالتها.

استلمت مارى العلاجات اللازمة، مع العلاجات الطبية النفسية الصحيحة، وتقلصت أعراض المرض حتى اختفت تماماً.

فى تلك الاثناء انتشرت قصة دخولها وعلاجها إلى المستشفى فى أرجاء لجوبلجانا المدينة الصغيرة . زميلها، وهو صديق منذ أعوام طويلة، ورفيق عرف معها لحظات كثيرة من الفرح والأزمات، جاء لزيارتها فى فيليت. أبدى إعجابه بشجاعتها لاتباع نصيحته وتلقى المساعدة، غير أنه مضى فى شرح سبب زيارته لها:

«لقد حان الوقت لكى تتقاعدى».

أدركت مارى ما الذى يختفى خلف تلك الكلمات: لا أحد سوف يثق فيها بما يكفى ليوكل إليها قضايا كمحامية قضت بعض الوقت كمريضة عقلية.

«قلت إن العمل خير علاج، أنا بحاجة للعودة، حتى ولو لوقت قصير».

انتظرت رد فعله، غير أنه لم يقل شيئاً. أكملت مارى: «أنت الذى اقترحت علىّ أن أتعالج. وحينما كنت أفكر فى التقاعد، كانت فكرتى أن أترك وأنا فى عز مركزى، راضية، قادرة على صنع قرار حر وذاتى. لا أريد أن أترك عملى هكذا، مهزومة على الأقل امنحنى فرصة لكى أستعيد تقديرى لنفسى، سأطلب أن أتقاعد».

تنحنح المحامى.

«اقترحت حصولك على العلاج، لكننى لم أقل شيئاً عن دخولك إلى المستشفى».

«إنها مسألة وجود. كنت أرتعب جداً من الخروج إلى الشارع، إن زواجى كان على حافة الانهيار».

كانت مارى تعلم أنها تضيع كلماتها. لا شئ تستطيع قوله سوف يغير من رأيه، بعد كل شئ، بدت مهابة المكتب فى خطر. ومع ذلك حاولت مرة أخرى».

«هنا فى الداخل، عشت مع نوعين من الناس: أولئك الذين ليس لديهم فرصة أبداً للعودة إلى المجتمع، وأولئك الذين تم شفاؤهم تماماً، غير أنهم يفضلون التظاهر بالجنون بدلاً من مواجهة مسئوليات الحياة. أنا أريد وأحتاج أن أحب نفسى من جديد. على أن أقنع نفسى بأننى قادرة على اتخاذ قراراتى. لا أقبل أن أدفع إلى قرارات ليست من صنعى».

«يحق لنا أن نصنع الكثير من القرارات فى حياتنا» قال زميلها: «باستثناء الخطأ الذى يحطمنا».

لم يعد هناك سبب لمواصلة المناقشة، فى رأيه، إن مارى ارتكبت خطأ فادحاً.

بعد يومين، تلقت زيارة من محامٍ آخر، هذه المرة من مكتب مختلف، المكتب المنافس لزميلها السابق. ابتهجت مارى ؛ لعله يعلم أنها حرة الآن للعمل فى مكتب جديد، وستكون هناك فرصة لاستعادة مكانها فى العالم..

جاء المحامى إلى غرفة الزيارة، جلس أمامها، ابتسم، وسألها إذا ما كانت تشعر بالتحسن ثم أخرج مظروفاً من الأوراق من حافظة أوراقه قال: «أنا هنا بناء على طلب زوجك ، هذا طلب للطلاق، غير أنه من الواضح أنه سوف يواصل دفع فواتير المستشفى للمدة التى ترغبين فى البقاء فيها هنا».

لم تحاول مارى أن تجادل. وقعت على كل شئ بالرغم من أنها كانت تعرف أنه بحسب القانون الذى درسته ومارسته، تستطيع أن تمد الخصومة إلى أجل غير مسمى.. بعد ذلك مضت مباشرة إلى مكتب د.إيجور وأخبرته أن أعراض المرض قد عادت.

كان د.إيجور يعرف أنها كاذبة، غير أنه بالرغم من ذلك مد لها فترة العلاج إلى أجل غير مسمى.

قررت فيرونيكا أن تذهب إلي السرير، غير أن إدوارد كان لايزال واقفاً عند البيانو.

«إننى مرهقة يا إدوارد. أنا بحاجة إلى النوم».

كانت تود أن تستمر فى العزف من أجله، مستجمعه من ذاكرتها المخدرة كل السوناتات، والمقطوعات التى تعرفها، لأنه كان يعرف كيف يعبر عن إعجابة دون أن يبدو مطالباً إياها بأى شئ. غير إن جسدها لم يعد يحتمل المزيد.

كان وسيماً جداً، لو أنه يأخذ خطوة واحدة خارج عالمه ويراها كامرأة، إذن فإن لياليها الأخيرة على هذه الأرض قد تكون هى الأجمل فى حياتها كلها: إدوارد هو الوحيد القادر على فهم أن فيرونيكا كانت فنانة. من خلال المشاعر الخالصة للسوناتا أو المعزوفة التى صنعت ارتباطاً مع هذا الرجل كما لم تعرف مثله من قبل.

كان إدوارد هو الرجل المثالى، حساس، مثقف، رجل استطاع إتلاف عالم غير مبالٍ حتى يعيد خلقه فى رأسه من جديد، وهذه المرة بألوان جديدة، شخصيات جديدة، وقصص جديدة، هذا العالم الجديد احتوى بداخله امرأة، بيانو وقمراً مازال يكبر. قالت مدركة أنه لن يفهمها:

«أستطيع أن أقع فى الحب فى هذه اللحظة وأن أمنحك كل شئ أملكه» كل ما تطلبه منى هو بعض الموسيقى، لكننى أكثر مما تظننى، وأنا أود أن أشاركك معى فى أشياء أخرى بدأت أفهمها فقط للتو».

ابتسم إدوارد. هل فهمها؟ كانت فيرونيكا تخشى من كل التعليمات الخاصة بالسلوك الحسن التى تقول إنه عليك ألا تتحدث عن الحب مباشرة، وخصوصاً إلى رجل تعرفه بالكاد، لكنها قررت أن تستمر، لأنه لم يكن لديها ما تفقده.

« أنت الرجل الوحيد على وجه الأرض الذى أستطيع أن أقع فى غرامه، إدوارد، لسبب بسيط وهو أنه عندما أموت فلن تفتقدنى، أنا لا أعرف ما الذى يحس به الفصامى، غير أننى أعرف أنه لن يفتقد أحداً » .

«ربما كبداية، ستفتقد واقع أنه لن يكون هناك المزيد من موسيقى الليل، غير أن القمر سيستمر فى البزوغ، وسيكون هناك أحد ما راغباً فى عزف السوناتا من أجلك، وخصوصاً فى مستشفى، حيث كل شخص فينا ومنا، مجنون» (*) .

لم تكن تعرف بالضبط ما العلاقة بين المجانين والقمر، لابد أنها قوية، إذا ما استخدموا تلك الكلمة لوصف المجانين.

«ولن أفتقدك، يا ادوارد، لأننى سوف أكون ميتة، بعيدة عن هنا. وبما أننى لست خائفة من فقدك، فأنا غير مهتمة بما تفكر به الليلة، عزفت من أجلك كامرأة عاشقة. كان ذلك رائعا. إنها أسعد لحظة فى حياتى».

نظرت إلى مارى فى الحديقة. تذكرت كلماتها، ومن جديد نظرت إلى الرجل الواقف أمامها.

خلعت فيرونيكا قميصها واقتربت من ادوارد. إذا كانت ستفعل شيئا، فليكن الآن. سوف تحتمل مارى البرد هناك فى الخارج لمدة طويلة قبل أن تعود إلى الداخل.

تراجع إلى الخلف. كان السؤال فى عينيه هو: متى ستعود إلى عزف البيانو من جديد؟ من تعزف مقطوعة جديدة من الموسيقى كى تملأ روحه بالألوان نفسها، الألم، المعاناة والمتعة التى نقلها أولئك المؤلفون الموسيقيون من جيل إلى آخر عبر أعمالهم؟

«أخبرتنى تلك المرأة فى الخارج أن على ممارسة العادة السرية لأستطيع أن أعرف المدى الذى يمكننى الوصول إليه. هل بإمكانى بالفعل أن أصل إلى أبعد مما وصلت من قبل؟».

(*) ملاحظة المترجمة : «مجنون» توازى كلمة Lunatic باللاتينية ، وكلمة Luna تعنى القمر، وكلمة Lunar تعنى ما له علاقة بالقمر .

أخذت بيده وحاولت أن تدفع به إلى الأريكة، غير إدوارد رفض بتهذيب. لقد فضل أن يبقى واقفا حيث هو، بقرب البيانو، منتظرا إياها حتى تعود للعزف من جديد.

ضعفت همة فيرونيكا فى البداية غير أنها لاحظت فيما بعد أنه ليس لديها ما تخسره. انها ميتة، فما الجدوى من الاستمرار فى تغذية المخاوف أو المفاهيم السابقة التي دائما ما قننت حياتها، خلعت قميصها، بنطلونها، حمالة الصدر، ملابسها الداخلية، ثم وقفت أمامه عارية.

قهقه إدوارد. لم تعرف لماذا، فقط انتبهت إلى أنه يقهقه.. وبنعومة أخذت يده ووضعتها على عانتها، بقيت يده هناك، جامدة. يئست فيرونيكا من الفكرة التى راودتها وأبعدت يده.

كان هناك شئ ما يهيجها ويثيرها أكثر من مجرد اتصال جسدى مع الرجل: حقيقة أنه يمكنها أن تفعل ما تريد، وأنه ليس هناك أية حدود. وبغض النظر عن تلك المرأة فى الخارج، والتى يمكن أن تعود إلى الدخل فى أية لحظة، لن يستيقظ أى شخص آخر.

بدأ دمها يتصاعد، وتلاشى البرد الذى شعرت به عندما خلعت ملابسها وقفت فيرونيكا وادوارد وجها لوجه، هى عارية، وهو بكامل ملابسه.

انزلقت يد فيرونيكا إلى فرجها وأخذت الاستنماء، كانت قد فعلت ذلك من قبل، إما لوحدها أو مع شركاء، لكن أبدا ليس مثل هذه الحالة، حيث لا يبدى الرجل أى اهتمام واضح بما يحدث. كان ذلك مثيراً ، مثيرا جدا هى واقفة منفرجة الساقين تلامس أعضاءها، صدرها، شعرها، مسلمة نفسها كما لم تفعل من قبل، ليس بسبب أنها أرادت أن ترى ادوارد يخرج من عالمه البعيد، ولكن لأن هذا شىء لم تجربه فى حياتها من قبل.

بدأت تتحدث، وتقول أشياء لا تتصورها أشياء كان والداها وأصدقاؤها وأجدادها يرونها أشياء قذرة وعضت على شفتيها حتى لا تصرخ من شدة اللذة.

راح ادوارد يحدق فيها. ولمع شعاع مختلف فى عينيه، كأنه أدرك ما تفعل، حتى لو كانت الطاقة فقط، الحرارة، العرق والرائحة التى كان يفوح بها جسدها. لم تحس فيرونيكا بعد بالاشباع. ركعت على ركبتيها وبدأت الاستمناء من جديد.

كانت تود أن تموت من اللذة، وهى تفكر وتتأمل كل شىء كان محرما عليها: توسلت إليه أن يلمسها، أن يأخذها عنوة، أن يستخدمها فى أى شكل يرغبه. وتمنت لو أن زيدكا كانت هناك، أيضا، لأن المرأة تعرف كيف تداعب جسد امرأة أخرى أفضل من أى رجل، لأنها تعرف جيدا كل أسرار هذا الجسد.

انتابها الاحساس بأنها ممسوسة بالمس الشيطانى، تجثو على ركبتيها أمام ادوارد، الذى بقى واقفا واستخدمت كلمات ممبوحة وبذيئة لتخبره بما تريده أن يفعله بها. انفجرت لذة أخرى، أقوى من السابقة، وكأن كل شىء حولها على وشك الانفجار. وتذكرت الذبحة القلبية التى انتابتها فى الصباح، ولكن من الذى يهمه ذلك، سوف تموت فى انفجار عظيم من اللذة.

راودتها نفسها أن تلامس ادوارد غير أنها لم تود المخاطرة بتدمير اللحظة. بل أن تذهب بعيدا، بعيدا جدا، كما قالت مارى.

تخيلت نفسها ملكة وعبدة فى نفس الوقت، جلادة وضحية. فى خيالها، كانت تصنع الحب مع رجال من كل لون: أبيض، اسود، أصفر – مع لواطيين وشحاذين. كانت متاحة لأى شخص، وأيا كان يستطيع أن يفعل ما يريده بها. أحست برعشة، اثنين، ثلاثة، تخيلت شىء لم تتخيله من قبل، ومنحت نفسها لكل شىء غريزى وخالص. وهاهى غير قادرة على احتواء نفسها أطول من ذلك، صرخت من المتعة، مع آلام كل ارتعاشات النشوة التى مرت بها، وكل أولئك الرجال والنساء اللذين دخلوها وخرجوا من جسدها عبر بوابات عقلها.

انبطحت على الأرض وبقيت هناك، غارقة فى العرق، وروحها مفعمة بالسلام. لقد أخفت رغباتها السرية حتى عن نفسها، عاجزة عن قول السبب، لم تكن بحاجة إلى اجابة. كان يكفيها ما فعلته، لقد أسلمت نفسها.

عاد الكون إلى مكانه الصحيح بشكل تدريجى لم يتحرك ادوارد طوال ذلك الوقت، غير أن شىء مختلفا بدا عليه: كان هناك رقة فى عينيه، رقة بالغة الانسانية جدا.

«كان رائعا أن أرى الحب فى كل شىء، حتى فى عيون شخص فصامى».

كانت قد بدأت فى ارتداء ملابسها، عندما أحست بوجود شخص ثالث فى القاعة.

مارى كانت هناك لم تعرف فيرونيكا لم تعرف من جاءت بالتحديد، ومادامت رأت أو سمعت، ولكن بالرغم من ذلك لم تشعر بالعار أو الخوف. فقط نظرت إليها من بعيد، كما يفعل الشخص مع آخر اقترب منه أكثر مما يجب. قالت:

«فعلت ما اقترحتيه، وذهبت إلى البعيد، البعيد جدا».

لم تقل مارى شيئا، فقد كانت تعيش لتوها من جديد، لحظات مهمة من ماضيها، وكانت تشعر بشىء من الثقل. ربما حان الوقت للعودة إلى العالم، أن تواجه الأشياء فى الخارج، وأن تقول إن كل شخص يستطيع أن يكون عضوا فى أخويه هائلة، حتى لو لم يدخل مستشفى عقلى من قبل.

مثل هذه الفتاة الشابة، مثلا، التى كان سببها الوحيد للدخول إلى فيليت لأنها حاولت أن تسلب حياتها من نفسها. لم تكن أبدا الذعر، الاكتئاب، والرؤى الصوفية، العصابية. رغم أنها عرفت رجالاً كثيرين، فإنها لم تختبر من قبل أعمق رغباتها الدفينة، وكانت النتيجة أن نصف حياتها ظل مجهولا بالنسبة إليها. لو أن كل شخص يستطيع أن يدرك ذلك وأن يعيش جنونه الداخلى. فهل سيكون العالم مكانا سيئا؟ لا، سيكون الناس أكثر عدالة وأشد سعادة.

«لماذا لم أفعل ذلك من قبل؟».

قالت مارى، وهى تنظر إلى ادوارد: «إنه يريدك أن تعزفى له المزيد من الموسيقى أعتقد أنه يستمتع بها».

«سوف أفعل، لكن أجيبى على سؤالى أولا: لماذا لم أفعل ذلك من قبل؟ إذا كنت حرة، إذا كنت أستطيع أن أفكر فيما أختار التفكير فيه، لماذا تجنبت دائما تخيل الأوضاع المحرمة؟».

«المحرمة؟ اسمعى، لقد كنت محامية وأنا أعرف القانون. كنت أيضا، كاثوليكية وكنت أرتل أجزاءا كاملة من الإنجيل عن ظهر قلب.. ما الذى تعنينه بمحرمة؟».

اتجهت مارى نحوها لتساعدها فى ارتداء معطفها.

«انظرى فى عينى ولا تنسى أبدا ما أنا على وشك أن أقوله لك. هناك نوعين من المحرمات، الأول يخص القانون الانسانى، والثانى يخص القانون الإلهى. لا تجبرى أى شخص على علاقة جنسية، لأن ذلك يعتبر اغتصابا. ولا تمارسى الجنس مع الأطفال، لأن ذلك يعتبر خطيئة كل الخطايا. وباستثناء ذلك، انت حرة تماما. ثمة شخص آخر، دائما، يريد بالضبط ما تريدينه أنت».

لم يكن لدى مارى الصبر الكافى كى تعلم أشياء مهمة لشخص على وشك أن يموت. وبابتسامة، قالت لها: تصبحين على خير» ثم غادرت القاعة.

لم يتحرك ادوارد، انه كان ينتظر الموسيقى. كانت فيرونيكا بحاجة إلى مكافأته للمتعة الرهيبة التى منحها إياها، لمجرد وجوده معها ولكونه شاهدا على جنونها دون رعب أو اشمئزاز. جلست إلى البيانو وبدأت تعزف من جديد.

أحست بروحها خفيفة، ولم يعد الخوف من الموت يعذبها الآن. لقد جربت كل ما احتفظت به خفيا» حتى عن نفسها. جربت متع العذارى والعاهرات، الجارية والملكة، وبالخصوص الجارية أكثر من الملكة.

فى تلك الليلة، حدثت المعجزة، فقد عادت إلى ذاكرتها كل الأغانى التى كانت تعرفها، وعزفت بهدف أن يجرب ادوارد متعة توازى كل تلك اللذة التى جربتها.

عندما أشعل الضوء، فوجىء د.ايجور برؤية المرأة الشابة جالسة فى غرفة الانتظار خارج مكتبه.

«الوقت مازال مبكرا. وأنا مشغول بمواعيد لطوال النهار».

قالت: «أعرف أنه مازال باكرا» واليوم لم يبدأ بعد غير أننى أحتاج للتحدث لبعض الوقت، لوقت قصير فقط. أنا بحاجة إلى مساعدتك».

بدت ظلال سوداء تحت عينيها وعكس شعرها الملبد الأعراض التقليدية لشخص قضى ليلته أرقا.

قرر د.ايجور أن يدعوها إلى غرفته.

طلب منها الجلوس، فيما أضاء الأنوار وفتح الستائر. سيبزغ الفجر بعد أقل من ساعة، وسيستطيع أن يوفر الكهرباء، كان ملاك الأسهم حريصين على تجنب التكاليف العالية، بغض النظر عن أى تكاليف طفيفة زائدة.

نظر سريعا إلى مفكرته: أخذت زيدكا آخر صدمة انسولين وكان رد فعلها ايجابيا، يعنى هذا أنها استطاعت النجاة من تلك المعالجة غير الآدمية. وحسنا فعل، فى هذه الحالة بالذات، عندما طالب د.ايجور مجلس المستشفى بتوقيع بيان يتحمل فيه جميع المسئوليات المترتبة على ذلك.

بدأ فى قراءة بعض التقارير، مريضان أو ثلاثة تصرفوا بعنف خلال الليلة الماضية، من بينهم، كما جاء فى تقرير الممرضة إدوارد. لقد عاد إلى جناحه فى حوالى الرابعة صباحاً ورفض تماماً أن يتناول أية حبوب منومة. لابد للدكتور إيجور أن يتصرف. أيا كانت ڤيليت متسامحة فى الداخل، إلا أنه كان من الضرورى الاحتفاظ بصورتها كمؤسسة محافظة وصارمة. قالت فيرونيكا:

«لدى شئ مهم جداً أود أن أسألك إياه» ، غير أن د.إيجور تجاهلها. متناولا سماعته، بدأ يصغى إلى قلبها ورئتيها ، اختبر ردود فعلها العضلية وكشف على

عندما انتهت فيرونيكا من الحديث ، وران صمت ثقيل على الطبيب والممرضة ، ونظرا الى بعضهما البعض ، وغرقا فى ذلك ، مأخوذين بكل تلك الإمكانيات المحتملة فى خلال أربعة وعشرين ساعة فقط، وما يمكن أن تقدمه.

رد د. إيجور أخيراً :

«سوف اعطيك بعض المنبهات ، غير أننى لا أنصحك بأخذها سوف تبقيك يقظة ، غير أنها سوف تسلبك السلام الذى تحتاجين اليه حتى تجربى كل ماتودين أن تجربيه» .

كانت فيرونيكا قد بدأت تشعر بأنها مريضة، كلما كانوا يحقنونها الحقنة، كان شيئا سيئا يحدث داخل جسدها .

«إنك تبدين شاحبة جدا. ربما كان من الأفضل لك أن تذهبى إلى السرير وسوف نتحدث مرة أخرى فى الغد .

شعرت مرة أخرى بأنها على وشك البكاء، غير أنها سيطرت على نفسها.

«لن يكون هناك من غد كما تعرف جيدا، أنا مرهقة يا دكتور إيجور مرهقة جدا ولذلك طلبت منك تلك الحبوب لقد قضيت الليل بطوله يقظه ، نصف ملتاعة ، ونصف قانعة . أستطيع ان اسقط فى نوبة هستيرية أخرى من الذعر، كما حدث لى بالامس ، لكن ما الفائدة ؟ مازال امامى اربعة وعشرون ساعة من الحياة ، وهناك اشياء كثيرة فى انتظارى ، لذلك قررت أن اضع اليأس جانبا . أرجوك ، يا دكتور إيجور دعنى اعيش الوقت القليل المتبقى لى لأننا الاثنين نعرف أن غدا سيكون متأخرا جدا » .

قال الطبيب : « إذهبى ونامى، وعودى إلى هنا عند الظهيرة. وحينها سوف نتحدث من جديد » .

رأت فيرونيكا أنه ليس هناك من مخرج لها : « سوف اذهب وأنام ثم سأعود ، لكن هل يمكننى أن أتحدث اليك لدقائق أخرى ؟ » .

«عليها أن تكون قليلة. أنا مشغول جدا اليوم » .

«سوف أدخل فى الموضوع مباشرة فى الليلة الماضية، ولأول مرة ، مارست العادة السرية بدون أية محرمات على الإطلاق فكرت فى كل الأشياء التى لم أجرؤ على التفكير فيها، وأخذت لذتى من أشياء كنت أجدها مخيفة أو مثيرة للغثيان من قبل » .

اتخذ د. ايجور اكثر سماته المهنية . لم يكن يعرف إلى أين يمكن أن تقود تلك المحادثة ولم يكن يريد أية مشاكل مع رؤسائه .

« اكتشفت أننى استعراضية ، أيها الطبيب . أريد أن أعرف إذا كان لذلك أى دور فى محاولتى الانتحار لقد كان هناك الكثير مما لم أعرفه فى نفسى» .

فكر : « على فقط أن امنحها اجابة ليس هناك من حاجة إلى استدعاء المرضة لكى تشهد هذه المحادثة ، وسوف اتجنب اية قضايا قانونية فى المستقبل ذات علاقة بالتحرش الجنسى » .

أجاب : «نحن جميعا نريد أشياء مختلفة ، وأهالينا أيضا ما الخطأ فى ذلك؟».

« أخبرنى أنت » .

«كل شيء فيه خطأ. لأنه عندما يحلم الجميع، فكان قلة فقط هي التي تحقق احلامها ، ذلك يصنع منا جميعا .. جبناء » .

«حتى ولو كانت القلة على حق ؟ » .

« الشخص المحق هو فقط الأقوى فى هذه الحالة ، رغم صعوبتها فإن الجبناء هم الاشجع ويستطيعون أن يتغلبوا وأن يفرضوا أفكارهم على الجميع » .

لم يرد د. ايجور بالمزيد .

«والآن ، رجاء اذهبى وارتاحى قليلا، إن لدى مرضى آخرين لأراهم . إذا فعلت كما أقول ، سوف أرى ما أستطيع عمله حيال طلبك الثانى » .

غادرت فيرونيكا الغرفة. كانت مريضة الطبيب التالية هي زيدكا ، والتي عليها مغادرة المستشفى ، غير أن د. ايجور طلب منها الانتظار قليلا ، كان بحاجة الى تدوين بعض الملاحظات حول الحديث الذي تم للتو .

في رسالته حول الفيترول عليه أن يضم فصلا طويلا عن الجنس . فهناك جذور للكثير من مظاهر العصابية والأمراض النفسية متأصلة في الجنس . كان يؤمن أن الفنتازيا هي دفقات كهربائية من المخ، التي إذا لم يتم تحقيقها فإنها تطلق طاقاتها في أماكن أخرى .

خلال أبحاثه الطبية ، قرأ د. ايجور مواضيع ممتعة حول الانحراف الجنسي والسادية المازوشية، الشذوذ الجنسي، والجنس مع الجثث، الجنس مع الأطفال التلصص الجنسي، كانت القائمة بلا نهاية.

في البداية ، اعتبر هذه الاشياء امثلة على السلوك المنحرف في بعض الناس المشوهين والعاجزين عن عمل علاقات طبيعية وصحية مع شركائهم . غير أنه ، ومع تقدمه في الاحتراف في مهنته كطبيب نفسي وعبر احاديثه مع مرضاه ، اكتشف أن هناك قصة غير عادية عند كل شخص ليحكيها . كان مرضاه يجلسون على أريكة مريحة في مكتبه ، ويحدقون بشدة في الارضية ويبدأون في رسالة طويلة حول مايدعونه بالمرض .

وكأنه ليس هو الطبيب، أو التوصيف الطبي .

وكأنه ليس هو الطبيب النفسي المسئول عما يمكن عمله كوصفة طبية .

يجد هؤلاء الناس الطيبون خيالاتهم الفانتازية في قراءة الكتب الجنسية وكتاب يدافع عن حق الجميع في الحصول على الارتعاشات الجنسية التي يريدونها طالما لا يتم خرق حقوق شركائهم .

كم حلمت النساء اللواتي درسن في مدارس الراهبات بالانتهاك الجنسي : رجال ببدل وربطات عنق ، موظفين كبار، ذكروا له عن الثروات التي صرفوها على

العاهرات الرومانيات فقط حتى يلعقن أقدامهم . أولاد مغرمين بأولاد مثلهم فتيات يقعن في غرام زميلاتهن. ازواج يريدون مراقبة زوجاتهم وهن يمارسن الجنس مع غرباء ، نساء يمارسن العادة السرية في كل مرة يكتشفن فيها أن ازواجهم يرتكبون الزنا. أمهات يكتمن رغباتهن في أن يستبيحهن أول بائع يدق جرس الباب ، آباء عددوا المغامرات السرية للتشبه بالنساء ، التي مارسوها خارج إطار الهيبة والحزم .

أما الولائم الجنسية فيبدو أن الجميع على الأقل مرة في حياتهم ، اراد المشاركة في وليمة جنسية .

كما يتخيلها ، لابد أن تكون فوضوية تماماً وممتعة ، حيث ينتفي شعور الامتلاك ، ولا يبقى سوى اللذة والفوضى .

هل كان هذا هو أحد الاسباب الكثيرة لتسمم الكثيرين بالفيتريول ؟ الزيجات التي قننت الاحادية الجبرية في العلاقات الزوجية ، والتي عبر ذلك ، حسب الدراسات التي احتفظ بها د. إيجور بمعزل في مكتبه، تسببت في اختفاء الرغبة الجنسية في السنة الثالثة والرابعة من الحياة معا ، بعد ذلك تشعر الزوجة انها مرفوضة ويشعر الرجال بأنهم في مصيدة ، ويبدأ الفيتريول او المرارة في التهام كل شيء .

يتحدث الناس بصراحة اكثر مع الطبيب النفسي اكثر من الحديث مع قسيس لأن الطبيب لا يهددهم بالجحيم . من خلال عمله الطويل كطبيب نفسي استمع د. ايجور لكل مايمكن ان يخبروه به .

أن يخبروه ، لأنهم نادرا ما كانوا يفعلون شيئا. وحتى بعد سنوات عديدة من المهنة فهو مازال يسأل نفسه لماذا كانوا خائفين جدا من أن يكونوا مغايرين .

عندما حاول أن يعثر على السبب، كانت أكثر الردود : «سوف يظن زوجي انني أتصرف كعاهرة» ، او لو كان رجلا : «إن زوجتي تستحق الاحترام.» .

والمناقشة عادة، تتوقف هناك. لم يكن هناك من فائدة ترجى من قول إن كل شخص له تكوين جنسى خاص ومختلف ، ومتميز مثل بصمات الاصابع لا أحد يريد أن يصدق ذلك . كان خطيرا جداً أن يكون الشخص طليقا فى السرير ، كان هناك دائما الخوف أن الآخر سيبقى عبدا لأفكاره المسبقة.

«أنا لن أغير العالم، قال ، مستسلما ، طالبا من الممرضة إرسال مريضته بالاكتئاب سابقا، زيدكا ، ولكننى على الأقل استطيع أن أقول ما أفكر به فى اطروحتى البحثية .

شاهد ادوارد فيرونيكا تغادر مكتب الطبيب للاستشارة الطبية وكانت تشق طريقا الى الجناح ، احس بأنه يود ان يخبرها بأسراره ، وأن يفتح قلبه لها ، بنفس الصدق والحرية التى كانت ، فى الليلة الماضية ، قد فتحت بها جسدها له .

لقد كان احد اصعب الامتحانات التى مر بها منذ مجيئة إلى فيليت كمريض لانفصام الشخصية غير انه نجح فى أن يقاوم ، وكان سعيدا، بالرغم من أن رغبته فى العودة إلى العالم قد بدأت فى استثارته .

الجميع يعرف أن هذه الفتاة لن تستمر حتى نهاية الأسبوع .

ولهذا السبب بالتحديد ، سيكون جيدا أن يشركها فى قصته . لمدة ثلاثة أعوام، لم يتحدث إلا مع مارى وحتى معها لم يكن متأكدا تماما انها فهمته كأم، كانت ستفكر بالتأكيد أن والديه كانا على حق ، وأنهما أرادا له فقط ما هو الأفضل، وأن رؤاه حول الجنة بمثابة أحلام غبية لمرحلة المراهقة وتماما خارج سياق العالم الواقعى .

رؤى الجنة هذا بالضبط هو ما قاده الى السقوط فى الجحيم وإلى مناقشات عقيمة لا تنتهى مع عائلته وإلى شعور قوى بالذنب أحس تجاهه بالعجز عن فعل أى شىء وقاده الى البحث عن ملجأ فى عالم آخر. لو لم يكن لمارى كان سيبقى عائشا فى حقيقة منفصلة .

وظهرت مارى، لقد اهتمت بأمره وأشعرته بالحب من جديد شكرا لها ، استطاع ادوارد أن يعرف الأشياء التى تدور من حوله .

منذ أيام قليلة مضت ، جلست امرأة شابة فى مثل عمره الى البيانو لتعزف سوناتا ضوء القمر .

شعر ادوارد مرة أخرى بانشغاله برؤى الجنة ولم يستطع أن يقول إن ذلك كان خطأ الموسيقى أو المرأة الشابة أو القمر أو الزمن الطويل الذى قضاه فى فيليت .

لقد تبعها إلى جناح النساء ، ليجد طريقه مسدوداً بالممرضة .

« لا يمكنك الدخول إلى هنا إدوارد . إذهب الى الحديقة، إنه الفجر تقريبا وسوف يكون يوما جميلا » .

نظرت فيرونيكا إلى الخلف وقالت له برقة سوف أنام قليلا سوف نتحدث عندما استيقظ .

لم تعرف فيرونيكا لماذا ، غير أن هذا الرجل صار جزءا من عالما ، أو القليل الذى تبقى منه .

كانت متأكدة أن ادوارد كان قادراً على فهم موسيقاها والإعجاب بموهبتها ، حتى لو لم ينطق بكلمة ، كانت عيناه تقولان كل شىء كما قالا فى تلك اللحظة، على باب الجناح متحدثان عن أشياء لم تكن ترغب فى الاستماع اليها .

الرقة . الحب .

«الحياة مع المرضى العقليين تسارع فى تحويلى إلى مجنونة. ذوو الانفصام فى الشخصية لا يشعرون اشياء كهذه ، ليس تجاه كائنات بشرية أخرى » .

أحست فيرونيكا بالرغبة فى الالتفات اليه ومنحه قبلة، لكنها لم تفعل ، سترى الممرضة ذلك وتخبر د. ايجور ، والطبيب بالتأكيد لن يسمح لامرأة تقبل فصاميا بمغادرة فيليت .

نظر ادوارد إلى الممرضة كان انجذابه للفتاة اقوى مما كان يظن ، كان عليه أن يسيطر على نفسه .

سوف يذهب ويسأل مارى النصيحة ، كانت هى الشخص الوحيد الذى اشركها فى اسراره . سوف تخبره بلا شك بذلك الذى يود أن يسمعه أنه فى مثل هذه الحالة ، العشق يكون خطير وبلا جدوى سوف تطلب مارى من ادوارد أن يتوقف عن تلك الرعونة وأن يعود كمريض عادي (ثم ستضحك ساخرة من كلماتها غير المنطقية) .

انضم الى بقية النزلاء فى قاعة الطعام، أكل ماقدموه اليه ثم مضى الى الخارج للنزهة الإجبارية فى الحديقة، وخلال « التشمس » (فى ذلك اليوم كانت الحرارة اقل من الصفر) ، حاول الاقتراب من مارى ، لكنها بدأت وكأنها ترغب فى أن تترك لحالها ، لم تكن بحاجة إلى قول أى شىء ، كان ادوارد يعرف مافيه الكفاية عن العزلة كى يحترم احتياجات الآخرين .

جاء نزيل جديد إلى ادوارد . من الواضح انه لا يعرف احدا هناك بعد ، قال :

« عاقب الله البشرية بالاوبئة غير اننى رأيته فى الأحلام وقد طلب منى المجىء لانقاذ سلوفينيا » .

بدأ ادوارد فى الابتعاد عنه ، فيما استمر الرجل فى الصراخ :

«هل تحسب أنني مجنون ؟ إذن اقرأ الانجيل . لقد ارسل الله بابنه الوحيد وها هو ابنه قد استيقظ من جديد » ..

غير أن ادوارد لم يستطع سماعه بعد ذلك . كان ينظر الى الجبال البعيدة ويتساءل عما يحدث له . لماذا يشعر بالرغبة فى مغادرة المكان إذا كان قد وجد السلام الذى يتوق اليه؟ لماذا المخاطرة بجلب العار لأهله مرة أخرى، فى الوقت الذى حلت فيه كل مشاكل العائلة ، بدأ يشعر بالانزعاج ، يروح ويجىء منتظرا

مارى كى تخرج من صمتها حتى يستطيعا التحدث ، غير أنها بدت بعيدة كما هى أبدا .

كان يعرف كيف يفر من فيليت بغض النظر عن مدى صرامة الأمن والحراسة، إلا أنها كانت مليئة بالثغرات ، لمجرد أن الناس عندما يدخلون إلى فيليت تنتابهم الرغبة فى مغادرة المكان. على الجانب الغربى، كان هناك جدار يمكن تسلقه بيسر لاحتوائه على مدرجات مشي من الطوب وأى شخص يريد أن يتسلقه سيجد نفسه سريعا فى الريف وبعد خمس دقائق ، على شارع يتجه شمالا إلى كرواتيا . حيث الحرب قد انتهت ، الإخوان الذين كانوا صاروا اكثر اخوة ، ولم تعد الجهات محروسة مثل الماضى وبضربة حظ صغيرة يمكنه أن يكون فى بلجراد خلال ست ساعات .

كان ادوارد قد سبق له أن عبر ذلك الطريق عدة مرات غير أنه دائما يقرر العودة لأنه لم يكن قد استلم بعد الإشارة بالمضى فى ذلك . اختلفت الآن الأمور جاءت الاشارة أخيراً من امرأة شابة خضراء العينين وبنية الشعر ونظرة مذهلة لشخص يظن أنه يعرف مايريد .

فكر ادوارد فى تسلق الجدار بحيث لايرى أبدا فى سلوفينيا من جديد . غير أن الفتاة كانت نائمة لكنه بحاجة الى أن يودعها على الأقل .

عندما انتهى الجميع من « التشمس » وتجمعت الاخوية فى القاعة ، انضم اليهم ادوارد .

« ماذا يفعل الرجل المجنون هنا ؟ » سأل أكبر الأعضاء سنا فى المجموعة .

« دعه وشأنه ، قالت مارى ، على كل كلنا مجانين ايضا » .

ضحك الجميع وبدأوا فى الحديث عن محاضرة اليوم الماضى كان السؤال هو، هل يمكن للتأمل الصوفى أن يغير العالم فعلا ؟ قدمت النظريات ، كما كانت هناك

مقترحات ، مناهج ، أفكار معارضة ، نقد للمحاضرة ، وطرق لتحسين ما تم اختياره عبر قرون كثيرة .

كان ادوارد ملتاعا من هذا النوع من المناقشات . أقلق هؤلاء الناس على ذواتهم فى مستشفى عقلى وخططوا لانقاذ العالم دون أن يأخذوا اية مجازفة لأنهم كانوا يعلمون أن فى الخارج سيكونون موضع سخرية حتى لو كانت بعض أفكارهم عملية جدا . كل شخص له نظريته حول كل شيء. يعتقدون ان حقيقتهم هى الوحيدة ذات الأهمية لقد قضوا نهارات وليالى ، أسابيع وأعوام يتحدثون ، رافضين قبول الواقع ، سيئاً أو جيداً ، توجد الفكرة فقط عندما يحاول شخص ما أن يضعها موقع التنفيذ .

ما هو التأمل الصوفى؟ من هو الله ؟ وانه الانقاذ ، حين يكون العالم بحاجة الى منقذ ؟ لا شيء . إذا كان كل شخص هناك . وخارج فيليت يستطيع ان يعيش حياته ويدع الآخرين يفعلون فإن الله سيكون موجودا فى كل لحظة فى كل حبة خردل، فى اطراف سحابة هناك ثم يمضى فى الدقيقة التالية . الله كان هناك غير أن الناس كانوا يؤمنون بأن عليهم المضى فى البحث عنه ، لأنه كان يبدو بسيطا جدا أن يقبلوا أن الحياة فعل ايمان حقيقى .

تذكر التمرين الذى سمعه فى محاضرة المعلم الصوفى عندما كان فى انتظار فيرونيكا لتعود إلى البيانو : ببساطة انظر الى زهرة . ماذا يحتاجون أكثر من ذلك؟

ولكن حتى بعد تجربة التأمل العميقة ، وحتى بعد الاقتراب من رؤى الجنة، هاهم هناك يناقشون يجادلون ، ينتقدون ويبنون النظريات .

التقت عيناه بمارى اشاحت عنه بعيدا غير أن ادوارد كان مصمما على إنهاء الموقف للأبد اتجه اليها وجذبها من ذراعها .

« توقف عن ذلك يا ادوارد ! » .

يمكنه أن يقول : «تعالى معى» . غير أنه لم يود أن يفعل ذلك أمام كل الناس الذين سيدهشون من نبرته الآمرة لذلك فضل أن يركع على ركبتيه وأن ينظر اليها بتوسل بما اضحكهم جميعا . قال احدهم :

« أصبحت قديسة بالنسبة اليه يامارى ، لابد أنه أثر جلسة تأمل البارحة » .

غير أن سنوات الصمت علمت ادوارد ان يتحدث بعينيه كان قادرا على صب كل طاقاته فيهما . كما كان متأكدا تماماً أن فيرونيكا استوعبت رقته وحبه ، كان يعلم أن مارى ستستوعب ألمه ورجاءه ، لأنه كان بحاجة إليها فعلاً .

قاومت لمدة أطول قليلاً، ثم نهضت وامسكت بيده، وقالت «دعنا نذهب للتنزه انت منزعج » .

ذهبا إلى الحديقة من جديد . وحالما كانا على مسافة آمنة، متأكدين من عدم سماع اى شخص لهما، كسر ادوارد الصمت قائلا :

«لقد قضيت سنوات فى فيليت لقد توقفت عن كونى مارا على والدى . وضعت كل طموحاتى جانبا غير أن رؤى الجنة بقيت معى» .

قالت مارى : « أعلم ، غالبا ما تحدثنا حول ذلك، وأعرف ما تقود اليه جيدا: حان الوقت للمغادرة » .

نظر ادوارد الى السماء هل تحس مارى بمثل ذلك ؟ قالت : «وبسبب تلك الفتاة رأينا الكثير من الاشخاص يموتون هنا، دائما على حين غره وعادة بعد أن يكونوا قد يأسوا تماما من الحياة . غير أن هذه هى المرة الأولى التى نرى فيها ذلك يحدث لشابة ، صغيرة جميلة ومعافاة تكمن بها طاقة كبيرة للحياة . فيرونيكا هى الشخص الوحيد الذى لا يرغب فى البقاء فى فيليت للأبد . وهذا يجعلنا نسأل ذواتنا : ماذا عنا ؟ ما الذى نفعله هنا ؟ » .

هز رأسه بالموافقة .

« ثم فى ليلة الأمس ، أنا أيضا سألت نفسى ما الذى افعله فى هذا المستشفى فكرت كم سيكون ممتعا أن أكون هناك فى الميدان ، أشترى التفاح وأتحدث حول الطقس ، من الواضح ، اننى كنت اصارع أشياء كانت منسية لزمن طويل مثل الفواتير غير المدفوعة ، المشاكل مع الجيران ، نظرة الناس المستهزئة الذين لايفهموننى ، العزلة ، زحام اطفالى . غير أن هذا كله جزء من الحياة ، على ما أظن، والثمن الذى تدفعه للتعامل مع هذه المشاكل الصغيرة، اقل بكثير من الثمن الذى تدفعه لكى لا تعترف بأنها تخصك . أنا أفكر فى الذهاب الى زوجى السابق الليلة . فقط لأقول له « اشكرك » ما رأيك ؟ » .

« لا أعـرف هل تفكرين أن على الذهاب الى منزل والدى لأقـول لهم الشئ نفسه ؟ » .

«ممكن وأساسا كل شيء حدث فى حياتنا كان خطأنا ، وخطؤنا نحن فقط ، الكثير من الناس يمرون بنفس المشاكل التى مررنا بها . غير أن ردود فعلهم مختلفة تماما عنا لقد بحثنا عن المخرج الاسهل : الحقيقة المنفصلة » .

يعرف إدوارد أن مارى محقة .

«أشعر بأننى بدأت أحيا من جديد ، يا ادوارد . أشعر بالرغبة فى ارتكاب لأخطاء التى وددت ارتكابها دوما غير أننى لم أملك الشجاعة لمواجهة تلك المشاعر من الذعر التى قد تعاودنى ، التى مجرد وجودها سوف يرهقنى فقط، لأننى أعلم أنها لن تتسبب فى موتى أو وقوعى فى الإغماء بسببها يمكننى أن اصنع صداقات جديدة وأن أعلمهم كيف يكونون مجانين ، ايضا حتى يصبحوا حكماء . سوف أعلمهم ألا يتبعوا دليل السلوك الجيد، ولكن عليهم أن يكتشفوا حياتهم هم ، رغباتهم ، مغامراتهم وأن يحيوا . سوف اقتبس من اسخيليوس للكاثوليكيين ،

ومن القرآن للمسلمين ، ومن التوراة لليهود ، ومن ارسطوا للملحدين . لا أريد أن أعود محامية مرة أخرى ولكن يمكننى استخدام خبرتى لإلقاء محاضرات حول الرجال والنساء الذين عرفوا حقيقة وجودنا هذا والذين يمكن تلخيص كتاباتهم فى كلمة واحدة : أحيوا إذا حييت سيحيا الله معك . إذا رفضت المجازفة سيتركك إلى السماء البعيدة وسيكون مجرد موضوع لبحثك الفلسفى . يعرف الجميع ذلك ، غير أن أحداً لا يغامر بالخطوة الأولى ، ربما خوفا من أن يدعى بالمجنون . على الأقل ، ليس لدينا مثل هذا الخوف يا ادوارد . لقد أصبحنا بالفعل من نزلاء فيليت».

« الشيء الوحيد الذى لا يمكننا فعله أن نرشح انفسنا لرئاسة الجمهورية فالمعارضة سوف تحرص على نبش ماضينا » .

ضحكت مارى ووافقت .

« إننى مرهقة من الحياة هنا . لا أعرف إذا كنت سأنجح فى التغلب على مخاوفى غير أننى نلت مافيه الكفاية من الاخوية ، والحديقة وفيليت والتظاهر بالجنون » .

« إذا فعلت ذلك ، هل ستفعلينه ، ايضا؟ » .

« أنت لن تفعل ذلك » .

« لكننى كنت على وشك ذلك منذ دقائق مضت » ..

« لا أعـرف . أنا مرهقـة من كل هذا ، غيـر أننى معتـادة عليـه ايضـا » ..

« عندما اتيت إلى هنا وشخصت كفصامى قضيت انت اياما وشهورا فى الحديث معى والتأمل معى كإنسان كنت قد بدأت الاعتياد على الحياة التى قررت أن أقودها والواقع الآخر الذى اختلقته ، لكنك لم تسمحي لي بذلك .

لقد كرهتك آنئذٍ ، غير أننى احبك الآن. اريدك أن تغادرى فيليت ، كما قد غادرت كونى المنفصل » .

ومضت مارى دون أن تجيب .

فى المكتبة الصغيرة والتى نادرا ما تستخدم فى فيليت ، لم يجد ادوارد القرآن، او ارسطو او أى فلاسفة كانت مارى قد ذكرتهم غير أنه وجد بدلا من ذلك كلمات لشاعر:

ثم قلت فى قلبى ، كما يحدث للمعتوه .

هل سيحدث ذلك حتى لى ..

اذهب إلى طريقك ، وكل خبزك بفرح .

لأن الله قد قبل عملك .

اجعل الثياب دائما بيضاء .

ولا تدع الرأس بلا زينة .

عش بسعادة مع الزوجة التى تحب .

كل تلك الأيام من الحياة الفانية .

التى منحك إياها تحت الشمس .

كل تلك الأيام الفانية .

لأن هذا نصيبك من الحياة .

وفى عملك الذى تعمله تحت الشمس..

امش فى طريق قلبك .

ووفق بصيرة عينيك :

لكن عليك أن تعلم أنه من خلال تلك الأشياء سوف يجلبك الله إلى قضائه .

ردد إدوارد بصوت عال :

«سوف يجلبك الله إلى قضائه، وسوف أقول : لفترة ما من حياتى، حتى أنظر إلى الريح، ونسيت أن أنسج، ولم أعش بفرح، لم أشرب حتى الخمرة التى قدمها إلى . غير أننى فى يوم ما، حاكمت نفسى، وعدت إلى العمل أخبرت البشر عن رؤاى للجنة، كما فعل بوخ ، فان جوخ ، وفاجنر، «بيتهوفن، إينشتاين ومجانين آخرين من قبلى «حسنا» دعه يقول إننى غادرت المستشفى لكى أتجنب رؤية فتاة تحتضر، وسوف تكون هناك فى الجنة، وسوف تنتظرنى » .

قال الرجل المسئول عن المكتبة : «ماذاتقول؟»

اجاب ادوارد: «أريد مغادرة فيليت لدى أشياء لأفعلها».

قرع مسئول المكتبة الجرس، وبعد دقائق، ظهر ممرضان.. كرر إداورد، منزعجا «أريد أن أغادر. أنا على ما يرام، دعونى فقط أتحدث مع د . إيجور».

غير أن الرجلين امسكا به حاول إدوارد أن يحرر نفسه من قبضة الممرضين، غير أنه كان يعرف أن ذلك بلا جدوى.

«انت تمر بأزمة ، ابق هادئا الآن» قال أحدهما : «سوف نرعاك».

بدأ إدوارد فى المقاومة.

«دعونى أتحدث مع د. إيجور لدى الكثير لأخبره به، أنا متأكد أنه سوف يتفهم».

وراح الرجلان يسحبانه باتجاه الجناح.

صرخ : «دعونى أذهب أتركونى أتحدث لدقيقة».

كان الطريق إلى الجناح عبر القاعة حيث مجتمع كل النزلاء راح إدوارد يقاوم وبدا المشهد مخزيا .

«دعوه يذهب ! إنه مجنون»!

قهقة البعض ، وضرب آخرون بأياديهم على الكراسى والموائد .

«هذا مستشفى عقلى لا أحد يسمح له بالتصرف بالطريقة التى تتصرف بها».

همس أحد الممرضين للآخر :

«من الأفضل أن نروعهم وإلا فإن الحالة ستخرج تماما عن سيطرتنا».

«هناك طريقة واحدة فقط».

«لن تعجب د . إيجور»

«سوف يعجبه أقل لو بدأت هذه العصابة من المجانين فى تحطيم مستشفاه الذى يحبه.»

استيقظت فيرونيكا فى ذعر، فى عرق بارد ، تسرب ضجيج مرعب من الخارج وكانت بحاجة إلى السكون كى تستمر فى نومها . غير أن الضجيج استمر.

نهضت من السرير وهى تحس بشئ من الدوار واتجهت إلى القاعة، فى الوقت الذى كان إدوارد يسحب فيه بين أسرع الممرضون الآخرون بحقنهم المخيفة صرخت «ماذا تفعلون ؟» .

«فيرونيكا »!

لقد تحدث الفصامى إليها . نطق باسمها فى مزيج من الدهشة والخجل، وحاولت أن تقترب، غير أن أحد الممرضين منعها من ذلك.

«ماذا تفعلون؟ لست هنا لكونى مجنونة لا يمكنكم أن تعاملونى هكذا.»

استطاعت أن تدفع بالممرض بعيدا إنما واصل بقية النزلاء صراخهم والرفس. بدا المشهد مروعا . هل يتوجب عليها الذهاب للبحث عن د. ايجور فى الحال؟

«فيرونيكا!» نادى اسمها مرة أخرى باذلا جهدا إنسانيا خارقا ، نجح إدوارد فى الإفلات من الممرضين وبدلا من الهرب بعيدا ، وقف متجمدا مثلما كان فى الليلة الماضية، فى انتظار التحرك التالى.

اقترب أحد الممرضين ، غير أن إدوارد نظر إليه، مستجمعا كل قوته.

«سوف أذهب معك أعرف إلى أين سوف تأخذنى أنك تريد أن يعرف الجميع بذلك . ولكن انتظر لدقيقة».

قرر الممرض أن الامر يستحق المجازفة وأن كل شئ بدأ يعود إلى حالته الطبيعية . قال ادوارد لفيرونيكا :

«اعتقد .. أعتقد أنك تهميننى».

«أنت لا تستطيع التحدث . أنت لا تعيش فى هذا العالم ، أنت لا تعرف أن اسمي هو فيرونيكا، أنت لم تكن معى ليلة الأمس، أرجوك قل لى إنك لم تكن هناك».

«بلى لقد كنت»

أخذت بيده . كان المجانين يصرخون ، ويصفقون، ويصنعون إشارات مبتذلة.

«لماذا يأخذونك؟»

«للعلاج»

«سآتى معك»

«الأمر لايستحق . سوف تصابين بالذعر، حتى لو أقسمت لك أنه غير مؤلم، فأنا لا أشعر بشئ . انه أفضل من المهدئات لأنك تستعيدين حيويتك بشكل أسرع».

لم تع فيرونيكا ما يتحدث عنه . ندمت على إمساكها بيده وأرادت أن تفر من هناك بأسرع ما يمكن حتى تخفى شعورها بالعار، وألا ترى مرة أخرى الرجل الذى شهد كل تلك الأشياء الشاذة فيها ومع ذلك استمر يعاملها بكل رقة.

غير أنها تذكرت كلمات مارى : أنها ليست بحاجة إلى أن تشرح نفسها وحياتها لأى شخص ولا حتى لهذا الرجل الذى يقف أمامها .

«سوف أصحبك»

ظن المرضون أن هذا أفضل ، لم يعد الفصامي بحاجة إلي المزيد من السيطرة عليه ، كان سيذهب بمحض إرادته الحرة.

عندما وصلوا إلى الجناح، رقد إدوارد فوق السرير.

كان هناك رجلان آخران فى الانتظار يحملان آلة غريبة، وحقيبة بها شرائط من القماش.

التفت إدوارد إلى فيرونيكا، وطلب منها الجلوس فوق السرير ، «بعد دقائق، ستنتشر الحكاية فى المدينة ويهدأ الناس من جديد، لأنه حتى الأكثر جنونا يشعر بالذعر . أى شخص جرب هذا يدرك أنه ليس بالسوء الذى يبدو عليه».

استمع المرضون إلي المحادثة ولم يصدقوا كلمة مما قالها الفصامى لابد أنه يؤلم بشدة، ولكن من يدرى ماذا يدور داخل رأس رجل مجنون؟ الشيء العاقل الوحيد الذى قاله المجنون كان حول الخوف : «سوف تتداول القصة سريعا فى المدينة وسيسود الهدوء».

قال أحدهم : «رقدت سريعا تهض إدوارد من جديد ونشروا حاشية من المطاط تحته. «تستطيع أن تتمدد».

أطاع . كان هادئا بشكل مثالى، وكأن كل ما سوف يحدث مجرد روتين عادى.

ربط المرضون بعض الشرائط القماشية حول جسد إدوارد ووضعوا قطعة من المطاط داخل فمه.

«نحن نفعل ذلك حتى لا يعض بالخطأ على لسانه» قال أحد الرجال لفيرونيكا، راضيا عن نفسه لإعطائها بعض المعلومات التكنولوجية كنوع من التحذير.

وضعوا الآلة الغريبة – وهى ليست أكبر من علبة أحذية، مع بعض الأزرة وثلاثة مقاييس تحكم عليها – فوق كرسى بقرب السرير . واخرج اثنين من الأسلاك الكهربائية من الجزء العلوى قام بتوصيلهما بما بدا وكأنه سماعات أذن.

وضع أحد المرضين سماعات الأذن على غمازتى إدوارد وبدأ الآخر ينظم الآلة حرك بعض الأكر فيها، الآن إلى اليمين ، الآن إلى اليسار. رغم عدم قدرته على الكلام لأن قطعة المطاط كانت فى فمه ، أبقى إدوارد عينيه ثابتتين عليها، وكان يبدو أنه يقول:

«لا تقلقى ، لا تخافي».

قال المرض الذى يتحكم فى الآلة « لقد جهز على ١٣٠ واط لمدة ٣, ٠ من الثانية ، ها نحن نبدأ».

ضغط على الزر واشتغلت الآلة، فى تلك اللحظة ، اتسعت عيناه إدوارد ، واهتز جسده فوق السرير بغضب شديد، لولا وجود الأربطة حوله لكان قد كسر عموده الفقرى.

صرخت فيرونيكا : « كفوا » .

قال المرض مزيلا «سماعات الاذن» عن غمازتى إدوار : « لقد فعلنا » ورغم ذلك فإن جسد إدوارد ظل يهتز بشدة ورأسه يتراقص من جنب إلى آخر بعنف شديد اضطر أحد الرجال للإمساك به كى يهدأ . وضع المرض الآخر الآلة فى الحقيبة وجلس ليدخن سيجارة.

استمر المشهد لمجرد دقائق بدا جسم إدوارد يعود إلى طبيعته غير أن الانتفاضات العصبية عاودته فجأة وحاول المرض أن يضاعف جهوده حتى يحتفظ برأس إدوارد ثابتا.

بعد فترة ، هدأت التقلصات العصبية ، حتى توقفت تماما كانت عينا إدوارد مفتوحتين على اتساعها، وقام أحد المرضين بإغماضهما، كما يفعل المرء مع الميت.

ثم ازال قطعة المطاط من فم إدوارد ، فك وثاقه ووضع الاربطة فى الحقيبة مع الآلة.

قال للفتاة والتي لم تعد تصرخ، وتبدو مذهولة لما رأته:

« إن تأثير الصدمة الكهربائية يستمر لمدة حوالى الساعة » .

«كل شئ على ما يرام، سيعود إلى طبيعته سريعا وسيصبح أكثر هدوءا أيضا».

وما إن بدأ تأثير الصدمة الكهربائية يتلاشى ، حتى شعر إدوارد بما جربه من قبل: انسحب نظره الطبيعى وكأنما شخص ما يسدل الستائر، حتى يختفى كل شئ تماما. ليس هناك من ألم أو عذاب، غير أنه سبق وأن رأى آخرين يخضعون للصدمة الكهربائية ويعلم مدى الروع الذى يبثه ذلك المشهد فى النفوس.

احس إدوارد بالسلام الآن . إذا كان قبل دقائق قد شعر بعواطف جديدة فى قلبه، وإذا كان قد يفهم أن الحب كان شيئاً مختلفاً عما منحه إياه أبواه ، فإن الصدمة الكهربائية أو المعالجة النفسية الاليكترونية (م. ن. أ) كما يفضل المتخصصون دعوتها سوف تعيده إلى طبيعته.

كان التأثير الأساسى لـ «م . ن. أ» هو إتلاف الذاكرة القريبة. لن يكون هناك من تغذية لأحلام إدوارد المستحيلة ولن يمكنه النظر بأمل إلى مستقبل غير موجود وعلى أفكاره أن تبقى ملتفتة إلى الماضى وإلا فإنه سيبدأ فى التوق إلى العودة للحياة.

بعد ساعة توجهت زيدكا إلى الجناح الذى كان مهجورا إلا من سرير واحد، حيث يستلقى رجل وكرسى تجلس فوقه امرأة.

عندما اقتربت ، ورأت المرض عاود المرأة مرة أخرى ، وأن رأسها المطأطىء كان ينحرف إلى اليمين قليلا تحركت زيدكا لطلب الاستغاثة ، غير أن فيرونيكا نظرت إلى الأعلى و قالت:

«أنا على ما يرام حدثت لى نوبة أخرى غير أنها مرت الآن».

ساعدتها زيدكا برقة كي تقودها إلى المرحاض قالت فيرونيكا إنه مرحاض رجالى ، « لا تقلقى أنه خال ».

ازالت قميص فيرونيكا الملوث غسلته ووضعته فوق السخان . ثم خلعت سترتها الصوف وأعطتها لفيرونيكا .

«احتفظى به . جئت فقط لأودعك».

بدت الفتاة بعيدة وكأنها فقدت كل الاهتمام بحياتها قادتها زيدكا إلى الكرسى حيث كانت تجلس من قبل «سد ستيقظ إدوارد قريبا . قد يعانى من صعوبة تذكر ما حدث غير أن ذاكرته ستعاوده سريعا. لا تخافى إذا لم يتذكرك فى البدء».

قالت فيرونيكا: «لن أخاف لأننى لا أتذكر نفسى».

سحبت زيدكا كرسيا وجلست بقربها . لقد أمضت وقتا طويلا فى ڤيليت ، ولن يكلفها شيئا إذا قضت بعض الدقائق الإضافية فى صحبة فيرونيكا.

«هل تتذكرين أول لقاء لنا ؟ لقد حكيت لك قصة كى أحاول أن أشرح لك العالم كما نراه بدقة .. فكر الجميع ان الملك كان مجنونا ، لأنه أراد يرسى النظام الذى لم يعد موجودا فى أذهان مواطنيه. هناك أشياء فى الحياه مهما حاولنا تقليب النظر فيها تبقى صالحة لكل شخص. مثل الحب ، وعلى سبيل المثال» .

لاحظت زيدكا تغييرا فى عينى فيرونيكا، فقررت أن تواصل حديثها .

«سوف أقول لو أن شخصا كان لديه وقت قصير ليعيش وأنه قرر أن يجلس على مقربة من سرير ، ليراقب رجلا نائما ، فلابد أن يكون ذلك هو الحب، وسأواصل أنه إذا كان خلال ذلك الوقت. أصيب ذلك الشخص بنوبة قلبية و غير أنه جلس فى صمت حتى يبقى قريبا من ذلك الرجل سوف أقول إن حبا كهذا لديه الكثير من البتور كى يتمو.»

وقالت فيرونيكا : «يمكن أن يكون ذلك هو اليأس ، محاولة مبذولة لإثبات أنه، بعد كل شئ ، لم تعد هناك أسباب للصراع تحت الشمس . لايمكن أن أموت قد وقعت في الحب مع رجل يعيش في عالم آخر».

«كلنا نعيش فى عوالمنا الخاصة لكنى إذا ما حدقت فى السماء ذات النجوم سوف ترين أن كل العوالم المختلفة فى الأعلى هناك تتجمع لعمل نظام شمسي، مجرات ، وكون» . نهضت فيرونيكا وذهبت إلى إدوارد وبرقة مسحت على شعره . كانت ممتنة لوجود شخص تتحدث اليه.

« منذ زمن بعيد عندما كنت طفلة ، وكان أمى ترغمنى على تعلم البيانو ، قلت لنفسى إننى سأستطيع أن أعزفه جيدا فقط عندما أقع فى الحب. فى الليلة الماضية، ولأول مرة فى حياتى شعرت أن النوت الموسيقية تخرج من أصابعى وكأن لا سيطرة لى على ما أفعله. كانت قوى ما تقودنى، لتأليف المقطوعات والالحان لم أكن أعرف أن باستطاعتى عزفها لقد منحت نفسى للبيانو لأننى منحت نفسى للتو لهذا الرجل دون ان يلمس حتى شعرة من رأسى لم أكن نفسى بالأمس ، لا عندما منحت نفسى للجنس، ولاحين عزفت البيانو.. ومع ذلك أظن أننى كنت نفسى الحقيقية» . هزت فيرونيكا رأسها : «لاشئ مما أقوله يبدو منطقيا».

تذكرت زيدكا تجاربها فى الفضاء مع كل تلك الكائنات الطافية فى أبعاد مختلفة أرادت أن تخبر فيرونيكا حول ذلك، غير أنها خشيت أن تزيد من تشوشها.

«قبل أن تقولى من جديد إنك على وشك الموت اريد أن أخبرك بشئ : أن هناك أشخاصا يقضون حياتهم بكاملها بحثا عن لحظة كتلك التي عشتها ليلة الأمس غير أنهم لا يصلون إلى ذلك . لهذا، إذا كنت ستموتين الآن فسوف تموتين بقلب مشبع بالحب».

نهضت زيدكا.

« ليس لديك ما تخسريه كثير من الناس لايسمحون لأنفسهم أن يعشقوا لهذا السبب بالتحديد ، لأن هناك الكثير للمجازفة به ، كثير من المستقبل وكثير من الماضى. فى حالتك هناك الحاضر فقط » .

اقتربت من فيرونيكا ومنحتها قبلة .

«إذا مكثت هنا لمدة أطول فلن أغادر على الإطلاق لقد شفيت من اكتئابى غير أنه فى فيليت تعلمت أن هناك أنواعا أخرى من الجنون اريد أن أحملها معى وأن أبدأ النظر إلى الحياة بعيونى. عندما أتيت إلى هنا كنت مكتئبة بشدة الآن أنا فخورة بأن أقول إننى مجنونة ، فى الخارج سوف اتصرف تماما كما يفعل الآخرون ، سوف أذهب للتسوق فى السوبر ماركت وسأتبادل الأحاديث الصغيرة مع الأصدقاء وسوف أضيع وقتا ثمينا فى مشاهدة التليفزيون . غير أننى أعرف أن روحى حرة وأننى استطيع أن أحلم وأن أتحدث مع عوالم كانت قبل مجيئى إلى هنا، خارج الوجود فى خيالى.

سوف أسمح لنفسى بعمل بعض الأشياء المجنونة فقط حتى يستطيع الناس أن يقولوا : لقد خرجت لتوها من فيليت غير إننى أعرف أن روحى كاملة، لأن حياتى لها معنى سوف استطيع النظر إلى الغروب وأؤمن أن الله وراء ذلك وعندما يزعجنى شخص ما سأخبره بما أفكر به لن اقلق بما قد يفكر بى لأن الجميع سيقول : لقد تم إطلاق سراحها للتو من فيليت. سوف أنظر إلى الرجال فى الشارع ، مباشرة فى عيونهم لن أحس بالخطيئة لأننى أشعر بأننى مرغوبة وبعد ذلك مباشرة وسوف أذهب إلى متجر للبضائع المستوردة واشترى أفضل أنواع النبيذ التي تستطيع نقودى أن تسمح بها وسوف أشرب ذلك النبيذ مع زوجى الذى أعشقه لأننى أريد أن أضحك معه من جديد.

لسوف يقول وهو يضحك: «أنت مجنونة!» ولسوف أقول: «بالطبع أنا كذلك ، لقد كنت فى فيليت ألا تتذكر لقد حررنى الجنون الآن يا زوجى العزيز، يجب ان تأخذ عطلة فى كل عام ، وتجعلنى اتسلق بعض الجبال الخطرة لأننى أريد أن أجازف بكونى حية.

سيقول الناس «لقد أطلق سراحها من فيليت للتو وها هى تجعل من زوجها مجنونا ، أيضا «وسوف يلاحظ أنهم محقون وسيشكر الله لأن زواجنا يبدأ من جديد لاننا كلنا كنا مجانين مثل أولئك الذين ابتكروا الحب » .

غادرت زيدكا الجناح مرددة لحنا لم تسمعه فيرونيكا من قبل.

لقد أثبت اليوم أنه كان مرهقاً ، غير انه مجد ، كان د. ايجور يحاول أن يحتفظ برباطة جأشه ورزانته كعالم ، غير أنه بالكاد استطاع أن يسيطر علي حماسه . إن الاختبارات التي كان يجريها لايجاد علاج لتسمم الڤيتيرول كانت تأتي بنتائج مدهشة .

قال لمارى التى دخلت دون أن تقرع الباب : «لاموعد لديك اليوم».

«لن يستغرق الامر طويلا كنت أود فقط أن آخذ رأيك فى أمر ما.»

«اليوم ، الجميع يريدون رأيى» فكر د. ايجور ، متذكراً سؤال الفتاة الشابة حول الجنس.

«لقد أعطى إدوارد للتو صدمة كهربائية».

«علاج نفسى اليكترونى رجاء استخدمى الكلمة الصحيحة وإلا فاننا سنبدو وكأننا عصابة من الهمج». حاول د. ايجور ان يخفى استغرابه ، ولكن فيما بعد سوف يذهب ليعرف من الذى أعطى مثل ذلك الأمر «إذا أردت رأيى فى الموضوع فإن على أن أوضح أن الـ (م . ن . أ) لم تعد تستخدم كما كانت فى الماضى، لكنها خطيرة».

كانت فى الماضى خطيرة جدا ، لم يكونوا يعرفون الشحنة الكهربائية المحددة للاستخدام وأين يضعون الأسلاك الكهربائية لذا مات الكثير بسبب النزيف الدماغى خلال المعالجة غير أن الأشياء تغيرت اليوم يتم استخدام الـ (م. ن. أ) بحرص تقنى أفضل وله ميزه إحداث فقدان للذاكرة مباشر، متجنبين التسمم الكيميائى الذى تحدثه المهدئات لفترة طويلة اقرأى الدوريات النفسية ،لا تخلطى بين (م. ن. أ) والصدمات الكهربائية المستخدمة فى التعذيب فى امريكا الجنوبية، حسنا . ها قد سمعت رأيى الآن يجب أن أعود إلى العمل ».

تتحرك مارى .

«لم يكن هذا هو مـا اتيت لأسـالك عنه. أريد أن أعـرف إذا كـان بإمكانى المغادرة» .

«تستطيعين متى شئت وأن تعودى متى أردت ، لأن زوجك ثرى بما فيه الكفاية ليضعك فى مكان مكلف كهذا ، عليك أن تسألينى : هل شفيت ؟ وسيكون جوابى هو سؤال آخر : شفيت من ماذا ؟ سوف تقولين . شفيت من ذعرى ، من نوبات الذعر . وسوف أقول حسنا يا مارى أنت لم تعانى من ذلك فى الواقع منذ ثلاثة أعوام مرت» .

«إذن لقد تعافيت» .

«بالطبع لا . لم يكن هذا هو مرضك فى الأبحاث التى أكتبها للأكاديمية السلوفينية للعلوم (لم يرد ايجور الخوض فى تفاصيل الفيتريول) أحاول أن أدرس ذلك المدعو بالسلوك الإنسانى الطبيعى والكثير من الأطباء قبلى عملوا أبحاثا مماثلة وتوصلوا إلى استنتاج أن الطبيعية هى موضوع للإتفاق عليها أى أن الكثير من الناس يفكرون أن امرا ما هو الصحيح ، وهكذا يتحول الأمر إلى صحيح .

بعض الأشياء محكومة بالمنطق البهديهى : وضع أزرة فى القميص من الأمام هو موضوع منطقى لأنه سوف يكون من الصعب جدا أن تزرريه من الجنب ومستحيل من الخلف .

«غير أن أموراً أخرى تصبح تصبح لأن عدداً أكبر من الناس يؤمن أنها الطريقة المثلى لتكون عليها سوف أعطيك مثالين هل تساءلت يوما ما لماذا مفاتيح الآلة الكاتبة منسقة بطريقة معينة ؟ » .

«كلا لم أفعل ».

«أنه نسق الحروف فى الصف الأمامى من المفاتيح . ذات مرة تساءلت لماذا هى هكذا ووجدت الإجابة : أول آلة ابتكرها كويستوفر شولز فى عام ١٨٧٣ من

اجل تحسين الخط غير أنه كانت هناك مشكلة إذا طبع الشخص بسرعة كبيرة، فإن المفاتيح تتصلب معا وتوقف عمل الآلة . غير أن شولز صمم نظاما للمفاتيح يجبر الطابع على الطباعة ببطء أكثر» .

«لا أصدق ذلك» .

«لكنه حقيقى لقد حدث أن استخدم الريمينجتون الذين كانوا أصحاب مصانع لآلات الخياطة فى ذلك الوقت نظام المفاتيح لآلات طباعتهم الأولى . وهذا يعنى أن عدداً أكبر من الناس كانوا مجبرين على تعلم ذلك النظام وبدأت شركات أكثر فى صناعة تلك المفاتيح حتى أصبح النموذج المتاح . ولكى أعيد ذلك : المفاتيح على الآلات الطابعة والكومبيوترات ، كانت قد صممت حتى يستطيع الناس أن يطبعوا بشكل أكثر بطئا ، لا أسرع ، هل تفهمين ذلك ؟ إذا ما غيرت الحروف فإنك لن تجدى أى شخص يقبل على شراء منتجك .

عندما رأت لوحة المفاتيح للمرة الأولى تساءلت مارى لماذا لم تكن الحروف مرتبة بشكل منظم حسب النظام الأبجدى لها وغير أنها سرعان ما نسيت الموضوع لقد افترضت أن ذلك هو أفضل طرح ممكن لكى يستطيع الناس الطباعة بسرعة أكثر .

سأل د . ايجور : «هل زرت فلورنسا يوما ؟ » .

«لا» .

«عليك أن تذهبى إلى هناك . أنها ليست بعيدة، لأنك ستجدين هناك مثالى الثانى . فى كاتدرائية بفلورنسا توجد ساعة حائط رائعة صممها باولو يسيلو فى عام ١٤٤٣ . الشيء المثير للفضول حول تلك الساعة أنها بالرغم من محافظتها على التوقيت مثل أية ساعة أخرى لكن عقاربها فى وضع معاكس لاتجاه أية ساعة عادية» .

«وما علاقة كل ذلك بمرضي؟» .

«سأصل إلى ذلك الآن . عندما صمم ساعته ، لم يكن باولو يحاول أن يكون مبتكرا ، الواقع أنه في ذلك الزمن، كانت هناك ساعات حائط كهذه وساعات أخرى لها عقارب في الاتجاه المألوف لنا اليوم . ولسبب مجهول ، ربما لأن الدوق ساعةج حائط في الاتجاه الذي نعرفه اليوم بالإتجاه الصحيح لعقارب الساعة فقد تحول ذلك إلى الاتجاه الصحيح ، وهكذا فإن ساعة باولو في ذلك الزمن تبدو الآن ضربا من الجنون» .

توقف د. إيجور، غير أنه كان يعلم أن ماري تتابع تبريره، «وهكذا، دعينا نعود إلي مرضك: لكل كائن بشري ميزاته، وميوله، وأشكاله من المتعة والرغبة للمغامرة، غير أن المجتمع يفرض دائما علينا طريقة جماعية للسلوك، والناس لايتوقفون عن التساءل لماذا علينا أن نسلك بهذه الطريقة، غير أنهم يقبلون بذلك، كما قد قبل الطابعون أن وضع المفاتيح هي الطريقة الوحيدة الممكنة، هل قابلت شخصا طوال حياتك تساءل لماذا تتحرك عقارب الساعة في اتجاه محدد وليس غيره؟».

«كلا».

«لو أن شخصا تساءل ستكون ردود الفعل التي يتلقاها ، «أنت مجنون»، وإذا أصر الشخص، سوف يحاول الآخرون إيجاد تبرير ما ، غير أنهم سرعان ما سيغيرون الموضوع، لأنه ليس هناك سبب وجيه لذلك سوى ماطرحته عليك، إذن دعينا نعود للسؤال، ماذا كان هو السؤال من جديد؟».

«هل شفيت؟ ».

«كلا، أنت شخص مختلف، غير أنك شخص يريد الشيء نفسه الذي يريده كل شخص آخر، وهذه، في رأيي، علة خطيرة».

«وهل الرغبة في الاختلاف علة خطيرة؟ ».

«هي كذلك إذا أجبرت نفسك أن تكوني مثل الآخرين، إنها تسبب العصابية، الاضطراب النفسي والبارانويا، إنها تشويه لطبيعة الكائن، وهي مخالفة للقانون الإلهي، لأنه في عالم الخشب والغابات، لم تخلق ورقة شجر واحدة تشبه غيرها، غير أنك تظنين أنه من الجنون أن تكوني مختلفة ولذلك اخترت أن تعيشي في ڤيليت، لأن كل شخص هنا يختلف، ولذلك فأنت تبدين مثل الآخرين، هل تفهمين ذلك؟ ».

هزت ماري رأسها موافقة.

«إن الناس يذهبون ضد الطبيعة لأنهم يفتقدون شجاعة الاختلاف والمغايرة، وهكذا يبدأ الجسد في بث الڤيتيرول، أو المرارة فيه كاسم متداول لذلك السُم المتعارف عليه».

«وماهو الڤيتيرول؟».

انتبه د. إيجور أنه خاض في الموضوع أكثر مما يقصد وقرر أن يغير موضوع الحديث.

«إن ذلك ليس مهما، ما أعنيه هو: كل شيء يشير إلى أنك لم تشفي».

لقد كان لماري خبرة سنوات طويلة في محاكم القضاء، وقررت أن تستخدم خبرتها الآن، كانت مناورتها الأولى هي أن تتظاهر بقبول وضعها، حتى تسحبه إلى جانب آخر من النقاش : «أتفق معك، كان سبب وجودي هنا صلبا جدا. كنت أعاني من نوبات الهلع، وسبب بقائي هنا كان تجريديا جدا، لم أكن أستطيع مواجهة فكرة طريق آخر لحياتي، بدون عمل أو زوج، أنا أوافقك لقد فقدت القدرة على بدء حياة جديدة، حياة عليّ الاعتياد عليها من جديد، بل سأواصل إلى أبعد من ذلك وأقول: إنني أوافق أنه في مستشفى عقلي، وحتى في ظل وجود الصدمات الكهربائية ـ آسفة الـ (م. ن. أ) كما تفضل أن تدعوها ـ والمواعيد الصارمة،

ونوبات الهستيريا التى تنتاب بعض المرضى، فإن القوانين أكثر سهولة لقبولها من تلك القوانين فى العالم، كما تقول، الذى يبذل كل جهده ليجبرك على القبول».

«غير أننى فى الليلة الماضية سمعت امرأة تعزف البيانو، لقد عزفت بشكل رائع، نادرا ماشهدته من قبل، وفيما كنت أستمع إلى تلك الموسيقى، فكرت فى أولئك الذين عانوا وتعذبوا حتى يؤلفوا تلك السوناتات، والقطع الموسيقية، كم كانوا يبدون مجانين وكم عانوا على مستوى مشاعرهم عندما عزفوا مقطوعاتهم، التى كانت بعد كل شىء مختلفة، لأولئك الذين يتحكمون فى الذوق الموسيقى كم، فكرت فى الصعوبات والإهانات التى تعرضوا لها لإيجاد ممول للأوركسترا الجديدة التى ابتدعوها، وفكرت فى الجماهير الساخطة التى لم تكن معتادة على مثل تلك المعزوفات الجديدة آنئذ» .

«والأسوأ وضعا من أولئك المؤلفين الموسيقيين وعذاباتهم، أن تلك الفتاة التى كانت تعزف الموسيقى بمثل تلك الروح فعلت ذلك وهى تعرف أنها سوف تموت، وهل أنا لن أموت؟ أين هى روحى التى يمكنها أن تعزف موسيقى حياتى الخاصة بكل ذلك الحماس؟».

راح د. إيجور يستمع إليها فى صمت، كان يبدو أن كل أفكاره بدت تجنى ثمارها، غير أن الوقت كان مبكرا للتأكد من ذلك.

سألت مارى مجددا:

«أين هى روحى؟».

«فى ماضى فيما أردت أن تكونه حياتى، لقد تركت روحى رضية لتلك اللحظة فى حين أننى كنت أمتلك البيت، والزوج، والعمل الذى أردت أن أتركه غير أننى لم أمتلك الشجاعة الكافية لذلك».

«لقد كانت روحى فى ماضى الشخصى، غير أنها اليوم هنا، أستطيع أن أشعر بها من جديد فى جسدى، متوهجة وممتلئة بالحماس، لا أعرف ما الذى يمكننى أن أفعله، الشىء الوحيد الذى أعرفه أنه استغرق منى ثلاثة أعوام كى أدرك أن الحياة كانت تدفعنى فى اتجاه، لم أرغب فى أن أمضى فيه».

قال د. إيجور:

«أعتقد أننى أستطيع أن أرى علامات التحسن».

«لستُ فى حاجة إلى أن أسأل حول إمكانيتى مغادرة ڤيليت ، أستطيع أن أمشى من خلال البوابة ولا أعود أبدا، غير أننى كنت فى حاجة أن أقول كل ذلك لشخص ما، وها أنا أقوله لك: إن موت تلك الفتاة جعلنى أفهم حياتى الشخصية».

ضحك د. ايجور:

«أعتقد أن علامات التحسن ضده بدأت فى التحول إلى معجزة شفاء، ماذا تظنين أنك فاعلة؟».

«سوف أذهب إلى السلفادور وأعمل مع الأطفال هناك».

«أنت لست فى حاجة إلى الذهاب إلى هناك».

«إن سراييڤو تبعد مائتى كيلومتر من هنا فقط، لعل الحرب قد انتهت، غير أن المشكلات مازالت مستمرة».

«إذن سوف أذهب إلى سراييڤو».

أخرج د. إيجور نموذجا من درج مكتبه وملأه بحرص شديد، ثم نهض واصطحب مارى إلى الباب وقال:

«حظ سعيد».

ثم عاد مباشرة إلى مكتبه وأغلق الباب، لقد حاول جاهدا ألا يقع فى الإعجاب بمرضاه، غير أنه لم ينجح فى ذلك أبدا، سوف تفتقد مارى بشدة فى ڤيليت.

حينما فتح إدوارد عينيه، كانت الفتاة لاتزال هناك، بعد جلساته الأولي من الصدمات الكهربائية، كان عليه أن يكافح طويلا حتى يتذكر ما حدث، غير أن ذلك كان هو الهدف الدقيق من تلك الجلسات، إنه خلق حالة مصنعة لفقدان ذاكرة جزئى يسمح للمريض أن ينسى فيها المشكلات التى يعانى منها حتى يستعيد هدوءه.

غير أنه، كلما زادت جلسات الصدمات الكهربائية، كلما قصرت فترات تأثيرها، لقد تذكر الفتاة على الفور.

«فيما كنت نائما، قلت شيئا حول رؤى الجنة»، قالت له وهى تمس على شعره...

«رؤى الجنة؟ نعم، رؤى الجنة»، نظر إدوارد إليها، أراد أن يخبرها بكل شىء.

فى تلك اللحظة دخلت المرضة بالحقنة، وقالت لفيرونيكا:

«عليك أن تأخذى هذه الآن، إنها أوامر د. إيجور».

«لقد أخذت بعض الحقن اليوم، ولا أريد المزيد».

«والأكثر من ذلك أن ليس لى رغبة فى مغادرة هذا المكان، أيضا، أننى أرفض إطاعة أية أوامر، وقوانين ولن تجبرونى على فعل أى شىء».

بدت المرضة معتادة على مثل تلك ردود الفعل.

«إذن، أخشى أن علينا أن نخدرك بالقوة».

قال إدوارد: «إننى فى حاجة إلى التحدث معك».

«خذى هذه الحقنة».

لفت فيرونيكا ذراع سترتها، وقامت المرضة بحقنها بالمخدر، قالت:

«ها أنت فتاة طيبة، الآن لماذا لاتغادران أنتما الاثنان هذا الجناح الكئيب وتخرجان للتنزه فى الخارج».

قال إدوارد، فيما كانا يتنزهان فى الحديقة:

«أنت خجلة مما حدث ليلة الأمس».

«فعلا، أما الآن فإننى فخورة بذلك، أريد أن أعرف حول رؤى الجنة تلك، لأننى اقتربت جدا من رؤيتها بنفسى».

قال:

«إننى فى حاجة إلى النظر إلى البعيد، خارج مبنى ڤيليت».

«إفعل ذلك، إذن».

نظر إدوارد خلفه، ليس إلى جدران الأجنحة أو الحديقة حيث يتمشى النزلاء فى صمت، ولكن إلى شارع فى قارة أخرى، فى أرض إما أنها كانت تمطر فيها بوحشية أو لاتمطر علي الإطلاق.

كان باستطاعة إدوارد أن يشم تلك البلاد، انه موسم الجفاف، يستطيع أن يحس بالغبار في فتحتي منخريه وقد منحه الشعور بذلك متعة رائعة، لأنك إذا استطعت أن تشم التراب فأنت مازلت حيا، كان يقود عجلة مستوردة، وهو في السابعة عشرة من عمره، وقد غادر لتوه الجامعة الأمريكية في برازيليا، حيث كان كل أبناء الدبلوماسيين الآخرين يدرسون.

لقد كره برازيليا، غير أنه عشق البرازيليين، كان والده قد عين سفيرا ليوغسلافيا منذ عامين، فى وقت لم يخطر على بال أحد ذلك الانقسام الدموى الذى حدث فى بلدهم، كان ميلوسوفيتش مازال فى السلطة، رجال ونساء تعايشوا مع اختلافاتهم، وحاولوا أن يجدوا سلاما أكبر من صراعاتهم الإقليمية.

كان التعيين الأول لوالده فى البرازيل، حلم إدوارد بالشواطئ، الكرنڤالات، ألعاب الكرة والموسيقى، غير إنهم انتهوا إلى العاصمة البرازيلية، بعيدا عن الساحل ـ مدينة اختلقت فقط حتى توفر الحماية للسياسيين، البيروقراطيين، الدبلوماسيين وأطفالهم، الذين لم يعرفوا ما يفعلونه بأنفسهم تماما وهم محشورون فى منتصف كل ذلك.

لقد كره إدوارد الحياة هناك، كان يقضى اليوم غارقا فى دراساته محاولا ـ بفشل ـ أن يتواصل مع زملاء الدراسة، محاولا ـ بفشل ـ أن ينمى بعض الاهتمامات بالسيارات، وآخر موديلات الملابس الرياضية، والماركات العالمية، الموضوعات الممكنة الوحيدة للتحاور فيها مع بقية الشباب اليافعين معه. بين الحين والآخر، تقام حفلة، حيث يقوم الأولاد بالسكر فى جانب من الغرفة، والبنات يبدين عدم الاهتمام على الجانب الآخر.

كانت المخدرات متوافرة دائما، ولقد جرب إدوارد كل الأنواع الممكنة، ليس لأنه كان محبا لأي نوع منها فقد كان إما أن يستثار لدرجة مزعجة أو ينعس ويفقد كل اهتمام بما يجرى حوله.

كانت عائلته قلقة، لقد توجب عليهم أن يعدوه كي يلحق بخطوات والده، وبالرغم من أن إدوارد كان يملك كل الإمكانيات الضرورية، الرغبة في الدراسة، والذوق الفنى الرفيع، والقدرة على تعلم اللغات، اهتمام بالسياسة، غير أنه افتقد إلى هبة ضرورية لشخصية الدبلوماسى، لقد كان يجد صعوبة فى التحدث إلى الآخرين.

اصطحبه والده إلى الحفلات، ودعوه إلى استضافة زملاء الدراسة فى البيت ومنحوه مصروفا كريما جدا، غير أن إدوارد من النادر أن كان يدعو أحدا معه، ذات يوم سألته أمه لماذا لايحضر أصدقاءه معه إلى الغداء أو العشاء.

«أنني أعرف كل نوع من بدلات الرياضة وأعرف أسماء كل البنات اللواتي يسهل اقتيادهن للسرير، بعد ذلك، ليس هناك أى موضوع آخر للتحدث فيه معهم».

ثم برزت الفتاة البرازيلية فى المشهد، شعر السفير وزوجته بالارتياح عندما بدأ فى مواعدة الفتيات والعودة إلى المنزل متأخرا، لم يكن أحد يعرف تماما من أين جاءت تلك الفتاة، غير أنه فى ليلة ما، دعاها إدوارد إلى العشاء، كانت فتاة طيبة المنشأ، وشعر والداه بالرضا عنها، ها قد بدأ الولد فى تطوير قدراته للتواصل مع الآخرين، والأكثر من ذلك، فكر كلاهما ــ بالرغم من أن أحدهما لم يقل شيئا بالفعل ـ أن وجود الفتاة أزال هما كبيرا من رأسيهما، كان واضحا أن إدوارد لم يكن شاذا جنسيا.

لقد عاملا ماريا (كان ذلك اسمها) بكل رعاية والدى الزوج المستقبلى، بالرغم من أنهما كانا يدركان أنهما فى خلال عامين سوف ينتقلان إلى موقع آخر، ولم

تكن لديهما أدنى نية أن يسمحا لابنهما بالزواج من فتاة من دولة وحشية، كانا يخططان له كى يلتقى بفتاة من عائلة راقية فى فرنسا أو ألمانيا، التى سوف تكون زوجة مشرقة لدبلوماسى له مستقبل باهر كما كانا يعدانه لذلك.

غير أن إدوارد كان يبدو واقعا فى العشق أكثر وأكثر، ويقلق راحت الأم تتحدث إلى زوجها، قال السفير:

«فن الدبلوماسية يعتمد على القدرة على إبقاء خصمك منتظرا وفى حين أنك قد لا تتغلب على عواطف الحب الأول، غير أنه دائما ينتهى».

لكن إدوارد بدا أنه تغير تماما، لقد بدأ فى إحضار كتب غريبة إلى المنزل، وبنى هرما فى غرفته، ومع ماريا كان يشعل بخورا كل ليلة ويقضى ساعات فى التحديق فى شكل غريب مثبت على الحائط، أما درجات إدوارد فى المدرسة فقد بدأت فى التدهور.

لم تكن الأم تفهم اللغة البرتغالية، غير أنه كان باستطاعتها النظر إلى أغلفة الكتب: صلبان، حرائق، ساحرات مشنوقات، ورموز وحشية.

«إبننا يقرأ كتبا خطيرة».

«خطيرة؟ إن مايحدث فى البلقان خطير».

قال السفير:

«إن هناك شائعات بأن سلوفينيا تريد الاستقلال، وهذا سوف يقودنا إلى الحرب».

غير أن الأم لم تهتم بالسياسة، كانت تريد أن تفهم مايحدث لابنها.

«ماذا عن ذلك الجنون والهوس بإحراق البخور؟».

قال السفير:

«إن ذلك كى يغطى على رائحة الماريجوانا».

«تلقى ابننا تعليما ممتازا، لايمكن بأى حال أن يصدق أن حرق البخور المعطر يستطيع أن يجلب الأرواح».

«ابنى متورط فى المخدرات؟».

«دخنت الماروجوانا أنا أيضا، عندما كنت شابا، الناس سريعا مايملون ذلك، أنا فعلت».

شعرت زوجته بالفخر والطمأنينة، لقد كان زوجها رجلا مجربا، لقد دخل إلى عالم المخدرات وخرج منه سالما، أن رجلا بهذه القوة والإرادة يستطيع السيطرة على أى وضع.

ذات يوم، سأل إدوارد عن إمكانية حصوله على عجلة.

«إن لدينا سائق وسيارة مرسيدس بينز، لماذا ترغب فى عجلة؟».

«كي أكون على تواصل أكثر مع الطبيعة».

«سنذهب أنا وماريا فى رحلة لمدة عشرة أيام، إن هناك مكانا قريبا من هنا مليىء ببقايا البللور، وماريا تقول إن ذلك يعطى طاقة إيجابية حقيقية».

كان والداه قد تربيا فى ظل النظام الشيوعى الصارم، أن البللور مجرد نتاج معدنى متكون من ذرات معينة، ولايعطى أى نوع من الطاقة، لاسلبية ولا إيجابية، قاما ببعض الاستفسارات واكتشفا أن تلك الأفكار حول «ذبذبات البللور بدأت تصبح شائعة وموضة حولهما».

إذا ما بدأ ابنهما فى التحدث حول أشياء كهذه فى الحفلات الرسمية، فإنه سوف يبدو سخيفا فى عيون الآخرين.

ولأول مرة اعترف السفير بأن الحالة أصبحت خطيرة.

كانت برازيليا مدينة تعيش على الشائعات، وحالما يعرف منافسيه وخصومه فى السفارة أن إدوارد يصدق الخرافات، فإنهم قد يظنون أنه قد تعلمها من

والديه، والدبلوماسية، كما هى فى الانتظار، فإنها أيضا فى الاحتفاظ بقناع المألوف تحت كل الظروف.

قال الأب:

«يا بنى، هذا الوضع لايمكن له أن يستمر».

«إن لدى أصدقاء فى مكاتب الخارجية فى يوغوسلافيا، وأنت لديك فرصة ذهبية للعمل كدبلوماسي وعليك أن تتعلم مواجهة الحقيقة».

غادر إدوارد المنزل ولم يعد إليه فى تلك الليلة، هاتف والداه منزل ماريا، وكل غرف الموتى والمستشفيات فى المدينة، دون فائدة، فقدت الأم ثقتها فى إمكانيات زوجها كرأس للعائلة أيا كانت ميزته فى المحاورات السياسية مع الغرباء.

فى اليوم التالى، ظهر إدوارد، جائعا يغلبه النوم، أكل طعامه ثم ذهب إلى غرفته، أشعل أعواد البخور، وردد تمتماته، ونام لبقية ذلك المساء والليل، عندما استيقظ، كان هناك نوع حديث من العجلات فى انتظاره.

قالت أمه:

«إذهب وشاهد بللوراتك، سوف أشرح ذلك لأبيك».

وهكذا، فى تلك الأمسية الجافة، والمغبرة قاد إدوارد عجلته سعيدا إلى بيت ماريا، كانت المدينة مصممة بشكل جيد (فى الرأى المعمارى) أو بشكل سيىء (فى رأى إدوارد)، بحيث لم يكن هناك زوايا، فقد كان عليه أن يمضى بشكل مستقيم على الجانب السريع من الشارع، ناظرا إلى سماء ممتلئة بغيوم خاوية من المطر، ثم وجد نفسه يصعد بسرعة هائلة إلى السماء ليسقط مدويا على أرض الأسفلت، حادثة!.

«لقد تعرضت لحادثة».

حاول أن يعـــدل من وضعه، لأن وجهه كان ملتصقا بالأسفلت، واكتشف أنه لم يعد لديه أدنى سيطرة على جسده، سمع صوت كوابح السيارات، والناس

يتحدثون بأصوات محـــذرة، وشخص ما يقترب منه محاولا أن يلمسه، ثم صرخة:

«لاتحركه! إذا حركه أحد فقد يصاب بالشلل طوال عمره!».

مرت اللحظات ببطء وبدأ إدوارد يشعر بالخوف، على خلاف والديه، كان مؤمنا بالله والحياة بعد الموت، ورغم ذلك، بدا له غير عادل بالمرة أن يموت فى سن السابعة عشرة، ومحدقا في الأسفلت في أرض ليست أرضه.

سمع أحدهم يقول:

«هل أنت على مايرام؟».

كلا، لم يكن على مايرام، لم يكن قادرا على التحرك، غير أنه لم يكن قادرا على قول أي شيء، أيضا، وأسوأ مافي الأمر أنه لم يفقد وعيه، كان يدرك تماما ماذا يحدث حوله وماهو وضعه، لماذا لم يغمى عليه؟ في اللحظة نفسها التي كان ينظر فيها إلى الله بقوة، وبالرغم من كل شيء فإن الله لم يرحمه.

«الأطباء في الطريق»، همس شخص ما له، ممسكا بيده.

«لا أعرف إذا ما كنت تستطيع أن تسمعني، لكني أرجوك إبق هادئا».

إنه ليس أمرا خطيرا.

نعم كان يستطيع أن يسمع، وكان سيحب ذلك الشخص ـ رجل ـ وأن يستمر في التحدث إليه، وأن يعده بأن الأمر ليس بالخطير، بالرغم من أنه كان بالغا بما فيه الكفاية كي يدرك أن الناس يقولون ذلك عندما يكون الأمر خطيرا جدا بالفعل، فكر في ماريا، والمكان الذي توجد فيه جبال البللور الممتلئة بالطاقة الإيجابية، على خلاف برازيليا، التي تعج بأعلى طاقات السلبية التي واجهها في تأملاته.

صارت الثواني دقائق، وواصل الناس في مواساته، ولأول مرة بدأ يشعر بالألم، ألم حاد جاء في مركز رأسه، وبدا أنه ينتشر في كامل جسده.

قال الرجل الممسك بيده:

«إنهم هنا، غدا سوف تقود عجلتك من جديد».

غير أنه فى اليوم التالى ظل إدوارد فى المستشفى ويداه ورجلاه فى الجبس، غير قادر على المغادرة حتى شهر من ذلك على الأقل، وكان مضطرا إلى الاستماع إلى أمه ونحيبها المتواصل، ومكالمات أبيه القلقة وتأكيدات أطبائه، مراجعينه كل خمس دقائق إلى أن مرت الأربع والعشرين ساعة الحرجة، ومتأكدين من عدم وجود أى جرح فى الدماغ.

اتصلت العائلة بالسفارة الأمريكية، والتى لم تصدق أبدا تشخيصات المستشفى الحكومي، وكان لديهم خدمات الطوارىء الطبية الخاصة بهم، مع قائمة لأفضل الأطباء المعالجين لوسطهم الدبلوماسى هناك، بين الحين والآخر، كنوع من سياسة الجيرة الطبية، كانوا يسمحون بخدماتهم ليستخدمها بقية الدبلوماسيين.

أحضر الأمريكيون معهم أجهزة خاصة بهم وقاموا بالمزيد من الفحوص والاختبارات الطبية وتوصلوا إلى النتيجة التى يتوصلون إليها دائما: أن الأطباء في المستشفى الحكومى شخصوا بشكل صحيح الإصابات وقد اتخذوا القرارات الصحيحة.

الأطباء فى المستشفى الحكومى قد يكونون جيدين، غير أن البرامج فى التليفزيون البرازيلى كانت بنفس السوء فى كل مكان فى العالم، وكان لإدوارد القليل ليفعله، بدأت زيارات ماريا للمستشفى فى التقلص، لعلها وجدت شخصاً آخر يذهب معها إلى جبال البللور.

وعلى خلاف سلوك صديقته غير المتوقع، كان السفير وزوجته يزورانه يومياً، غير أنهما رفضا إحضار كتبه البرتغالية من البيت تحت حجة أن أباه سوف يتم

نقله سريعا، وأنه ليس هناك من داع لكي يتعلم لغة لن يستخدمها مرة أخرى، لذلك فإن إدوارد اكتفى بالتحدث مع بقية المرضى، مناقشا كرة القدم مع المرضين وملتهما كل مجلة تقع بين يديه.

ثم فى يوم ما، أحضر له المرضى كتابا كان قد استلمه للتو، غير أنه قد حكم عليه بأنه «أضخم حجما مما يستطيع أن يقرأ»، وكانت تلك هى اللحظة التى بدأت فيها حياة إدوارد فى انتهاج درب غريب ، درب سوف يقوده إلى ڤيليت وإلى انسحابه من الحقيقة وسوف يبعده تماما عن كل الأشياء التى سيتدرج إليها الأولاد الآخرون فى مثل سنه فى الأعوام القادمة.

كان الكتاب حول أصحاب الرؤى الذين غيرت أفكارهم العالم، أشخاص لهم رؤاهم الخاصة حول الجنة الأرضية، أشخاص قضوا حياتهم مشاركين الآخرين فى أفكارهم السيد المسيح كان هناك، داروين ونظريته حول أن الإنسان أصله من القرود، وفرويد مؤكدا أهمية الأحلام، وكولمبوس مستغلا مجوهرات الملكة كى يستطيع الانطلاق للبحث عن قارة جديدة مع إيمانه باستحقاق كل شخص للفرص نفسها.

وكان هناك قديسون، أيضا، مثل إيجناطوس الموالى، جندى من الباسك عاشر الكثير من النساء، وقتل الكثير من الأعداء فى معارك ضارية، حتى أصيب بجرح فى پامپلونا وتوصل إلى فهم العالم من السرير الذى كان يرقد فيه جريحا، تيريزا أڤيلا، التى أرادت بطريقة ما أن تجد الطريق إلى الله، وتعثرت حين كانت تسير فى ممر وتوقفت للنظر إلى لوحة ما، أنطونى، والذى كان متعبا من الحياة التى كان يقودها، وقرر أن يهجر كل ذلك إلى منفى الصحراء، حيث قضى عشرة أعوام فى صحبة الشياطين، وتعرض لكل غواية ممكنة، فرانسيس آسيسى، شاب مثله، صمم على التحدث إلى الطيور، وأن يترك خلفه كل شىء كان والداه قد خططاه من أجل مستقبل حياته.

ولعدم وجود شىء أفضل ليفعله، بدأ فى قراءة هذا «الكتاب السمين» فى كل مساء، فى منتصف الليل، أتته ممرضة لتسأله إذا كان فى حاجة إلى أية مساعدة، بما أن غرفته كانت الغرفة الوحيدة التى كانت إضاءتها مازالت مفتوحة أشار إليها إدوارد بالذهاب، دون أن يرفع عينيه من فوق الكتاب.

كان هؤلاء الذين صدموا العالم من رجال ونساء أشخاصا عاديين، مثله، مثل أبيه، مثل صديقته التى يعرف أنه يفقدها، كانوا مفعمين بالشكوك نفسها والقلق الذى يعانى منه كل الناس فى حياتهم اليومية، كانوا أناسا بدونما اهتمام خاص بالدين أو الله، أو فى توسيع مداركهم للوصول إلى مستوى جديد من الوعى، حتى جاء اليوم الذى غيركل شىء، أكثر ما كان ممتعا فى الكتاب أنه يحكى كيف أنه كان فى كل حياة من تلك الحيوات، لحظة سحرية معينة جعلتهم يبدأون البحث عن رؤاهم حول الجنة.

كانوا أناسا لم يسمحوا لحياتهم أن تذهب هباء، من أجل تحقيق ما ينشدونه شحذوا الهبات والعطايا أو عملوا فى بلاط الملوك، واستخدموا الدبلوماسية والقوة، نافقوا القوانين، أو واجهوا غالب القوى التى كانت مهيمنة، ولكنهم لم ييأسوا أبدا، وكان دائما قادرين علي رؤية المنافع في كل عقبة واجهتهم.

فى اليوم التالى، سلم إدوارد ساعته الذهبية للممرض الذى منحه الكتاب، وطلب منه أن يبيعها، وأن يشترى بالنقود كل الكتب التى يستطيع أن يعثر عليها حول الموضوع نفسه، لم يكن هناك المزيد، حاول أن يقرأ السير الذاتية لبعض أصحاب الرؤى، غير أنهم دائما ماكانوا يوصفون وكأنهم أشخاص مختارون، ملهمين، لا أشخاص عاديين، مثل أى شخص آخر، عليهم أن يناضلوا للإفصاح عن أفكارهم.

كان إدوارد قد استبد به الإعجاب بما قرأه، إلى درجة أنه فكر جديا أن يصبح قديسا وأن يستخدم الحادثة كفرصة لتغيير اتجاه حياته، غير أنه كان لديه رجلان

مكسورتان، ولم تكن قد ناوبته أية رؤية خلال فترة المستشفى، ولم يشاهد أية لوحة تصدم روحه مباشرة، ولم يكن لديه صديق ليبنى له صومعة، وسط الغابات البرازيلية، والصحارى كانت بعيدة جدا، ويغلى بالمشكلات السياسية، غير أنه رغم ذلك، كان هناك شيء يستطيع عمله: يستطيع أن يتعلم الرسم وأن يرى العالم تلك الرؤى التى جربها أولئك الرجال والنساء.

عندما أزالوا عنه الجبس وعاد إلى السفارة، محاطا بكل العناية، اللطف والإهتمام التى يحظى بها ابن سفير من بقية الدبلوماسيين، سأل والدته إذا كان بإمكانه أخذ مساق فى الرسم.

قالت أمه إنه ضيع الكثير من دروس فصوله فى المدرسة الأمريكية وأن عليه مضاعفة جهوده كى يعوض فترة الغياب لم تكن لديه أدنى رغبة أن يستمر فى تعلم دروس حول الجغرافية والعلوم، لقد أراد أن يكون رساما ، وفى لحظة غير متوقعة شرح أسبابه لذلك:

«أريد أن أرسم رؤى الجنة».

لم تقل أمه شيئا، غير أنها وعدته بالتحدث إلى صديقاتها والتأكد من أفضل مساق رسم متوفر فى المدينة.

عندما عاد السفير من العمل فى ذلك المساء، وجدها تبكى فى غرفة نومها ، قالت ووجهها ينابيع من الدموع:

«ابننا أصابه الجنون».

أجاب السفير مستنكرا: «مستحيل!».

«لقد تم فحصه عبر أطباء تم اختيارهم خصيصا من قبل الأمريكيين».

أخبرته زوجته بما قد قاله ابنها.

«إنها مجرد ثورة صبيانية، فقط انتظرى، كل شيء سوف يعود إلى طبيعته، سوف ترين».

فى هذه المرة، لم يكن الانتظار مفيدا، لأن إدوارد كان على عجلة من أمره كى يبدأ الحياة، بعد يومين، ضجر من انتظار أمه ونصائح صديقاتها ، قرر أن يسجل نفسه فى مساق للفنون، بدأ فى تعلم الألوان وزوايا النظر، لكنه أيضا استطاع التعرف على أشخاص لم يتحدثوا مطلقا حول ملابس الرياضة وأنواع السيارات.

قالت الأم منتحبة للسفير:

«إنه يحيا مع فنانين!».

قال السفير:

«أوه.. دعي الولد وشأنه، سرعان ماسوف يمل ذلك مثل ماحدث مع صديقته، ومثل ماحدث مع البللورات، الأهرامات، أعواد البخور والماريجوانا».

غير أن الزمن مر، وتحولت غرفة إدوارد إلى استديو فنى، ممتلئ بلوحات تفتقد للمنطق بالنسبة إلى والديه دوائر، خليط من ألوان وحشية ورموز بدائية مختلطة كلها بأشخاص فى وضع الصلاة.

إدوارد، الفتى المستوحد، والذى خلال عامين فى البرازيل، لم يحضر ولو مرة واحدة أصدقاءه إلى المنزل، صار الآن يحشد البيت بأشخاص غرباء، كلهم يرتدون ملابس سيئة وبشعور منكوشة يستمعون إلى موسيقى مرعبة بصوت عال ويشربون الكحول باستمرار ويدخنون ويبدون عدم اعتبار كامل لأصول اللباقة.

وذات يوم اتصلت مديرة المدرسة الأمريكية بوالدته قائلة:

«أعتقد أن ابنك متورط فى المخدرات، علاماته الدراسية أقل بكثير من المتوسط، وإذا استمر فى ذلك فلن نستطيع تجديد تسجيل قيده الدراسى».

ذهبت أمه مباشرة إلى مكتب السفير وأخبرته بما قد أخبرتها به المديرة.

صرخت بهستيرية:

«إنك تكرر القول بأن مع الوقت كل شىء سيعود إلى سابق حاله، هاهو ابنك المجنون مدمن المخدرات، يعانى من بعض الإصابات الخطرة فى الدماغ، وأنت كل ماتهتم به هو حفلات الكوكتيل واللقاءات الاجتماعية».

قال:

«اخفضى صوتك».

«كلا، لن أفعل، ولن أفعل ذلك أبدا ما لم تفعل شيئا إن الولد فى حاجة إلى مساعدة، ألا ترى ذلك؟ مساعدة طبية، افعل شيئا».

وخوفا من أن يتحول مشهد زوجته إلى فضيحة محرجة له أمام موظفيه، وقلقا على إدوارد لاستمرار اهتمامه بالرسم أكثر مما توقع، فإن السفير، كرجل عملى، يعرف كل الإجراءات الصحيحة، خطط لعملية هجوم.

أولا، اتصل بزميله، السفير الأمريكى، وطلب بتهذيب إذا كان بإمكانه أن يستخدم خدمات السفارة الطبية وتمت الموافقة على طلبه.

عاد لمعاودة الأطباء الموثوق بهم وشرح لهم الوضع وطلب منهم مراجعة الفحوص التى سبق أن قاموا بها، والأطباء، خوفا من القضايا القانونية، عملوا بالضبط كما قد طلب منهم وتوصلوا أن الفحوص الطبية لم تسفر عن شىء غير عادى.

وقبل أن يغادر السفير، طالبوه بتوقيع وثيقة تعفى السفارة الأمريكية من أية تبعات لإرساله إليهم.

ذهب السفير مباشرة إلى المستشفى الذى كان إدوارد نزيلا فيه، تحدث إلى المدير، وشرح مشكلة ابنه وطلب، تحت حجة الكشف الدورى، أن يتم اختبار دم ليروا إذا كان هناك أية مخدرات فى دم الولد.

أجروا فحوص دم ولم يجدوا ذرة مخدرات فيه.

لقد تبقى الجزء الثالث والأخير من الاستراتيجية: التحدث مع إدوارد نفسه، واكتشاف ذلك الذى يحدث له وعندما يمتلك كل الوقائع فإنه يستطيع أن يأمل بصنع القرار الصائب.

جلس الأب والابن فى غرفة المعيشة.

قال السفير:

«والدتك قلقة جدا بشأنك، درجاتك الدراسية فى تدن، وهناك خطر عدم تجديد قبوله فى المدرسة».

«لكن علاماتى فى مدرسة الفنون تحسنت يا أبى».

«إننى أجد اهتمامك بالفن مرضيا جدا، ولكن أمامك حياتك بكاملها كى تفعل ذلك، المهم أن تُنهى دراستك الثانوية، حتى أستطيع أن أضعك فى الطريق إلى احتراف الدبلوماسية».

فكر إدوارد بشدة طويلا قبل أن يقول أى شىء، فكر فى الحادثة، وفى كتاب الرؤى، الذى كان مجرد حجة كى يجد مهنته الحقيقية، فكر فى ماريا، التى لم يسمع عنها مرة أخرى، تردد لبعض الوقت، ولكن فى النهاية قال:

«أبى، لا أريد أن أكون دبلوماسيا، أريد أن أكون رساما».

كان والده جاهزا لتلقى تلك الإستجابة وعرف كيف يناور ذلك.

«سوف تصبح رساما، لكن أولا، عليك أن تنهى دراستك، سوف نُعدُ لمعارض فنية لك فى بلجراد، زغرب، لجو بلجانا وسراييفو إن لدى نفوذ كبير، وأستطيع مساندتك لكن عليك أن تنهى دراستك أولا».

«إذا ما فعلت ذلك، فإننى سأختار الطريق السهل، سوف أدخل كلية أو أخرى، وأحصل على شهادة فى مادة لاتهمنى، ولكنها ستساعدنى فى كسب مرتبى، وسوف يتراجع الفن إلى الخلفية، وسأنتهى إلى نسيان مهنتى الحقيقية، إن على أن أجد طريقة لكسب عيشتى من الرسم».

بدأ السفير يشعر بالانزعاج.

«إن لديك كل شيء يا ابني، عائلة تحبك، منزل، نقود، مركز اجتماعي، ولكني كما تعرف، إن دولتنا تمر بوقت عصيب، وهناك شائعات حول حرب أهلية قادمة، وغدا قد لا أكون هنا لمساعدتك».

«أستطيع أن أساعد نفسي، ثق بي، في يوم ما، سوف أرسم سلسلة بعنوان «رؤى الجنة» وسوف يكون ذلك سجلا بصريا تاريخيا لما جربه رجال ونساء في الماضي في قلوبهم فقط».

امتدح السفير تصميم ابنه، وأنهى المناقشة بابتسامة، وقرر أن يمنحه شهرا آخر، فبعد كل شيء فالدبلوماسية هي أيضا في تأجيل القرارات حتى تحل الأزمات نفسها بنفسها.

مر شهر واستمر «ادوارد» في تكريس كل وقته للرسم، ولأصدقائه الغرباء ولتلك الموسيقى، التي صممت بوضوح معير لاثارة عطب نفسي ما. وكي تتفاقم الأمور، تم فصله من الكلية الأمريكية لجداله مع أحد الأساتذة حول وجود القديسين.

وبما أن القرار لم يعد قابلا للتأجيل، بذل السفير محاولة أخيرة وطلب ابنه لمحادثة رجل لرجل أخر.

«أدوارد ، انت الآن في عمر يلزمك باتخاذ المسئولية تجاه حياتك الشخصية. لقد تحملنا كل ذلك طوال استطاعتنا. أما الآن فعليك ان تنسى كل هذا الهراء حول أن تصبح رساما وأن تمنح بعض الاهتمام والتوجه لعملك».

«ولكن يا أبي ، أن أكون رساما هو أن أمنح الاهتمام لعملي».

«ماذا عن حبنا لك، وكل جهودنا لمنحك تعلما جيدا. أنت لم تعتد على التحدث بمثل هذه الطريقة، على أن افترض أن ما حدث هو توابع للحادثة التي تعرضت لها».

«انتظر ، إنني أحبكما أنتما الاثنان اكثر من أي شيء أو أحد آخر في العالم».

تنحنح السفير، لم يكن معتادا على هذه العواطف الصريحة والمباشرة.

«إذن، باسم الحب الذي تحمله لنا، أرجوك، افعل كما ترغب أمك. كف عن الرسم لمدة من الزمن، واتخذ لك أصدقاء ينتمون إلى نفس طبقتك الاجتماعية وعد إلى دراستك» .

«أنت تحبني، يا أبي، لا يمكنك أن تطلب مني أن أفعل ذلك، لأنك تضرب لي دائما مثلا للنموذج الطيب، مكافحا، من أجل أشياء تهمك لا يمكنك ان ترغب لي في أن أكون رجلا بدونما إرادة خاصة بي».

«لقد قلت، باسم الحب. وأنا لم أقل ذلك من قبل، لكنني اطلب منك ذلك الآن من اجل الحب الذي تكنه لنا . ومن اجل الحب الذي نحمله لك، عد الى المنزل، لا اقصد المعنى الجسدي فقط، ولكن الحقيقي. إنك تخدع نفسك، وتهرب من الحقيقة».

«منذ ولادتك، بنينا أحلاما حول كيف ستكون حياتنا إنك كل شيء لنا، مستقبلنا وماضينا . كان اجدادك موظفين مدنيين وان على أن أحارب كالأسد حتى ادخل السلك الدبلوماسي واتدرج في ذلك السلم وقد فعلت كل ذلك كي أصنع لك حيزا ، ولاجعل الأمور أسهل عليك. مازلت أملك القلم الذي وقعت به اول وثائقي كسفير، وقد احتفظت به بحب حتى اعطيك اياه في اليوم الذي تفعل فيه الشيء نفسه. لا تخذلنا . يا ابني لن نعيش إلى الأبد ونريد ان نموت بسلام . ومدركين أننا تركناك على الطريق الصحيح في الحياة. إذا كنت تحبنا بحق، افعل كما أطلب . اذا لم تكن تحبنا، فاستمر إذن فيما أنت فيه الآن».

جلس إدوارد لساعات طويلة محدقا في سماء برازيليا، مراقبا الغيوم المتحركة وسط الأزرق ـ غيوم جميلة، غير أنها خاوية من نقطة مطر فيها

لترطيب الأرض الجافة، فى منتصف سهول البرازيل. لقد كان خاويا مثلها.

إذا استمر كما كان، فإن والدته سوف تزداد شحوبا من الحزن، وسيفقد والده كل حماسه لعمله، وسيلوم الاثنان بعضهما البعض لفشلهما فى تربية ابنهما المحبوب. وإذا تخلى عن فنه ، فإن رؤى الجنة لن ترى النور ابدا، ولن يعطيه اى شىء آخر فى هذا العالم نفس الاحاسيس من المتعة والفرح.

نظر حوله، رأى لوحاته، وتذكر الحب والمعنى الذى وضعه فى كل لمسة فرشاه، ووجد كل لوحة من لوحاته دون المستوى. لقد كان فنانا مزيفا، اراد شيئا لم يكن مختارا من اجله، وكان الثمن لذلك هو خيبة أمل والديه.

إن رؤى الجنة هى للقلة المختارة من البشر. والذين يظهرون فى الكتب كأبطال وشهداء للعقيدة التى يؤمنون بها. أشخاص عرفوا منذ الطفولة ما الذى يريده العالم منهم، إن تلك الوقائع المدعاة التى قرأها فى ذلك الكتاب الأول كانت مجرد بدع لكاتب قصة ما.

فى وقت العشاء، أخبر والديه بأنهما كانا محقين. لقد كان مجرد حلم صبيانى.. وان حماسه للفن قد انتهى .

شعر والده بالرضا ، وبكت أمه بدموع الفرح وضمت ابنها، وعاد كل شىء الى طبيعته.

فى تلك الليلة، احتفل السفير سريا بانتصاره بفتح زجاجة من الشمبانيا شربها وحده. عندما ذهب إلى السرير، كانت زوجته ولأول مرة منذ شهور تنام فى سلام عميق.

فى اليوم التالى، وجدوا إدوارد فى غرفته مشوشا ، واللوحات ممزقة فيما يجلس الولد فى زاوية من الغرفة، محدقا فى السماء.

ضمته أمه ، وأخبرته كى هى تحبه، غير آن ادوارد لم يعبر عن أية انفعالات.

لم يعد يريد اى شىء له علاقة بالحب، لقد ضجر الموضوع برمته ظن انه يستطيع التخلى عما يريد وأن يتبع نصيحة والده، غير انه قطع طريقا طويلا فى عمله، لقد قطع الصحراء الموحشة التى تفصل الإنسان عن حلمه والآن لم يعد بإمكانه الرجوع.

لم يعد بإمكانه التقدم أو العودة. كان من الأسهل مغادرة المسرح فقط.

مكث إدوارد فى البرازيل خمسة شهور أخرى، وخضع لعلاج المتخصصين ، الذين شخصوا انفصام شخصية نادر، ربما نتيجة لحادثة العجلة . ثم بدأت الحرب فى يوغسلافيا واستدعى السفير للعودة على عجل. كانت اشكالية كبيرة للعائلة أن ترعى ادوارد، وكان المخرج الوحيد هو ان يودعوه فى مستشفى فيليت الذى افتتح حديثا .

عندما أنهي ادوارد رواية حكايته ، كان الظلام قد حل، وكلاهما كان يرتجف من البرد القارص.

قال : «دعينا ندخل سوف يقدمون العشاء».

«كلما ذهبنا لرؤية جدتى عندما كنت طفلة، كنت دائما مشدوهة بلوحة معينة، فى بيتها، كانت تظهر امرأة - سيدتنا - كما يدعوها الكاثوليك - تقف فوق العالم، بذراعيها ممتدتان نحو الأرض وأشعة من النور تتدفق من أصابعها.

كان أكثر ما سحرنى حول تلك اللوحة أن تلك السيدة كانت تقف على حيه حقيقية، قلت لجدتى،، «أليست هى خائفة من الحية؟ الن تعضها فى قدمها وتقتلها بسمها؟»

قالت جدتي : «انه وفقا للانجيل ، فإن الحية. تجلب الخير والشر إلى الأرض، وهى تحافظ على توازن الخير والشر بحبها».

«ما علاقة ذلك بحكايتى؟».

«لقد عرفتك لمجرد اسبوع ، لذلك سوف يكون من المبكر جدا ان اخبرك بأننى احبك، ولكن بما اننى قد لا يطول بى العمر خلال هذه الليلة، سيكون ذلك متأخراً جدا. غير ان الجنون العظيم للرجال والنساء هو الحب . لقد رويت لي قصة حب. أنا أصدق أن والديك أرادا الافضل لك ، غير ان حبهما دمر حياتك، تقريبا اذا كانت سيدتنا، كما تبدو فى لوحة بيت جدتى، تقف على الحية فان ذلك يشير إلى أن الحب وجهين».

قال إدوارد : «إننى أرى ما تعنينه لقد استفزيت المرض لاعطائى معالجة الصدمة الكهربائية، لانك شوشتنى. لا أعرف كيف أقول ما أشعر به تماما، والحب قد دمرنى ذات مرة من قبل».

«لا تخف، اليوم طلبت إذنا من د. ايجور حتى اغادر المكان واختار مكانا استطيع أن اغمض عيني فيه للابد. ولكن عندما رأيتك في ايدي المرضين اكتشفت ما الذي أود أن أنظر إليه عندما أغادر هذا العالم: إنه وجهك. وقررت ألا أغادر».

عندما كنت تنام تحت تأثير معالجة الصدمة الكهربائية، تعرضت لأزمة قلبية، وظننت أن الوقت قد حان. نظرت إلى وجهك وحاولت أن «أخمن حكايتك» وأعددت نفسي لكي أموت بسعادة، غير أن الموت لم يأت، وتغلب قلبي على الوضع من جديد، ربما لانني مازلت شابة».

نظر الى الأسفل.

«لا تكن محرجا من كونك محبوبا، أنا لا أسألك شيئا، فقط دعني احبك وأعزف لك البيانو مرة أخرى هذه الليلة، إذا ما كانت لاتزال لدي القوة لفعل ذلك. وبالمقابل، أسالك شيئا واحدا فقط. اذا سمعت اي شخص اخر يقول بأنني اموت. فاحضر حالا الى جناحي دعني. امتلك امنيتي».

مكث إدوارد صامتا لوقت طويل، وفكرت فيرونيكا انه قد انتكس مرة اخرى وعاد الى عالمه المنفصل، الذي لن يخرج منه لزمن طويل.

غير أنه نظر إلى الجبال البعيدة خارج جدران فيليت وقال: «إذا أردت المغادرة، استطيع ان اصحبك. فقط امنحيني الوقت لأخذ معطفين معي وبعض النقود. ثم سوف نذهب».

««لن احيا طويلا. يا ادوارد. تعرف ذلك».

لم يجب ادوارد. دخل وعاد مرة أخرى حاملا معه معطفين.

«ان ذلك سيبقى للابد يا فيرونيكا، واطول من كل تلك الأيام المتشابهة والليالي التي قضيتها هنا، محاولا باستمرار أن انسى رؤى الجنة تلك. كدت انساها، رغم انها تبدو انها تعاودني».

«هيا بنا، لنذهب. الناس المجانين يفعلون، أشياء مجنونة».

في تلك الليلة، عندما اجتمع النزلاء للعشاء، لاحظوا غياب اربعة اشخاص:

زيدكا، التي كان يعرف الجميع انه تم تسريحها بعد فترة طويلة من العلاج، وماري، التي ذهبت الى السينما، كما اعتادت دائما، وإدوارد، الذي ربما لم يتعاف بعد من معالجة الصدمات الكهربائية. عندما فكروا بذلك شعر كل النزلاء بالخوف. وبدأ في تناول عشاءهم في صمت.

وأخيرا. الفتاة ذات العينين الخضراوين والشعر البني تلك التي يعرف الجميع انها لن تعيش حتى نهاية الأسبوع.

لم يتحدث احد عن الموت بصراحة في فيليت وغير أن الغياب كان ملحوظا، بالرغم من ان الجميع كان يحاول التصرف وكأن شيئا لم يحدث.

سرت الاشاعة من مائدة إلى أخرى. البعض بكى، لأنها كانت مفعمة بالحيوية والآن سوف ترقد في مشرحة صغيرة خلف المستشفى. كان الأكثر جرأة فقط هم الذين ذهبوا إلى هناك، وحتى في وضح النهار كانت تحتوي على ثلاثة موائد من المرمر وكان هناك عموما جثة جديدة على احداها، مغطاه بحاشية.

كان الجميع يعلم ان فيرونيكا ستكون هناك الليلة. اولئك الذين كانوا مجانين بحق نسوا وفود نزيل اخر. خلال ذلك الاسبوع، والتي كانت تزعج نوم الاخرين بعزفها على البيانو. وقلة، حين سمعوا النبأ، شعروا بالحزن، وخصوصا المرضين الذين كانوا مع فيرونيكا خلال تلك الفترة في وحدة العناية المركزة، غير ان الموظفين تدربوا على عدم خلق صلة قوية مع المرضين، لأن البعض كان يغادر. والبعض يموت، والاغلبية تتدهور مع الوقت، استمر حزنهم برهة ما، ثم مر ايضا.

غير ان اغلبية النزلاء سمعوا بالخبر، وتظاهروا بالصدمة والحزن، غير انهم شعروا بالراحة، لانه مرة اخرى قد مر ملاك الموت فوق فيليت ونجوا منه.

عند اجتمعت الاخوية بعد العشاء سلمهم احد الاعضاء رسالة : ماري لم تذهب الي السينما، لقد غادرت ولن تعود وقد سلمت رسالة.

لم يبد احد اية اهمية للموضوع، كانت دائما مختلفة، وعاجزة عن تبنى الوضعة المثالية التى كانوا يعيشون بها فى فيليت. قال احدهم:

«لم تفهم مارى كم نحن سعداء هنا نحن أصدقاء لنا اهتمامات مشتركة، ونظام. احيانا نذهب في رحلات معاء ، وندعو المحاضرين الى هنا للتحدث معهم فى شئون مهمة، ثم نناقش أفكارهم وصلت حياتنا الى توازن كامل، وهذا شيء يتمنى الكثير من الناس فى الخارج ان يحققوه».

قال آخر : «دون ان ننسى ذكر واقع انه، فى فيليت، نحن فى حمى من البطالة، وآثار حرب البوسنة. ومن المشاكل الاقتصادية والعنق، لقد بلغنا التناغم».

«تركت مارى هذه الرسالة» ، قال الرجل الذى ابلغهم بالأخبار حاملا، بيده مظروفا مغلقا ، «طلبت منى ان اقرأه لكم بصوت عال، وكأنها تودعكم جميعا».

فتح العضو الأكبر سنا فى المجموعة المظروف وفعل كما طلبت منه مارى. اوشك على التوقف فى المنتصف، غير انه كان قد تأخر على مثل هذا الامر، لذلك فإنه قرأ حتى النهاية .

«عندما كنت محامية يافعة، قرأت بعض القصائد لشاعر إنجليزى وكان ما قاله اثر فى بشدة : «كن مثل النافورة التي تفيض ، وليس كالمستنقع الذين يركد»، كنت اظن دائما انه مخطىء لأننا قد ننتهى إلى إغراق اماكن يسكنها أحيابنا ونغرقهم فى حبنا وحماستنا. طوال حياتي، عملت مابوسعى كى اكون مستنقعا ، لا أخرج ابعد من حدود جدرانى الداخلية .

ثم ، لسبب ما لن افهمه ابدا، بدأت فى المعاناة من نوبات الذعر، وأصبحت ذلك الشخص الذى طالما تجنبت ان اكونه تحولت الى نافورة طفحت بالماء وفاض

منها على كل شيء حولي. كانت النتيجة هي دخولي الى فيليت، وبعد ان تم شفائي، عدت إلى المستنقع وقابلتكم جميعا، اشكركم على صداقتكم ، وعواطفكم وللأوقات السعيدة الكثيرة لقد عشناها معا مثل السمك في احواض الزينة، راضين لان احدهم كان يقذف لنا بالطعام عندما نحتاجه. وكان باستطاعتنا عندما نريد ذلك ، ان نرى العالم الخارجي عبر الزجاج. غير انه بالامس ، بسبب بيانو وامراة شابة ربما تكون قد ماتت الان ، تعلمت شيئا مهما جدا: ان الحياة في الداخل هي تماما كالحياة في الخارج . وفي الحالتين هناك وهنا، يتجمع الناس في مجموعات ، يبنون جدرانهم ولا يسمحون بشيء غريب ان يزعج وجودهم الوسطي الرديء .

إنهم يفعلون الأشياء لانهم اعتادوا على ذلك يدرسون مواد غير نافعة، يرفهون عن أنفسهم لأنهم يفترضون ان عليهم فعل ذلك، وعلى العالم الباقي ان يشنق نفسه. دعهم يحلون ازماتهم لوحدهم . وفي اقصى الاحوال يراقبون الاخبار على شاشات التليفزيون كما نفعل غالبا - كتاكيد لسعادتهم في عالم تحتشد فيه المشاكل والمظالم. ما اود ان اقوله ان الحياة داخل «الاخوية» هي تماما نفس الحياة كالحيوات التي يعيشها تقريبا كل شخص آخر فيليت، متجنبين بحذر كل معرفة لكل ما هو موجود خارج الجدران الزجاجية لحوض الزينة لزمن طويل ، كان مريحا ونافعا، غير أن الناس تتغير، وأنا الآن انطلق للبحث عن مغامرة رغم انني ابلغ الخامسة والستين من العمر ومدركة تماما لكل العوائق التي يستطيع العمر ان يجلبها ، انني ذاهبة الى البوسنة ثمة اناس ينتظرونني هناك. وبالرغم من انهم لايعرفونني بعد ، وأنا لا أعرفهم ، لكنني متاكدة أنني سوف أكون نافعة، والمجازفة بالمغامرة تستحق الف يوم من اليسر والراحة.

عندما انهى قراءة الرسالة انصرف كل أعضاء الأخوية الى غرفهم، وأجنحتهم، مرددين لأنفسهم، ان ماوى قد جنت، اخيرا .

اختار ادوارد وفيرونيكا اضخم مطعم في لجوبلجانا ، وطلبا ارقى الاطعمة، وسكرا بثلاث زجاجات من نبيذ عام ١٩٨٨ ، كانت افضل نتاج لهذا القرن . وخلال العشاء، لم يذكرا ولو لمرة واحدة فيليت او الماضي أو المستقبل.

«لقد اعجبتني قصة الحية، قال، وهو يملأ وهو كأسها للمرة التاسعة «لكن جدتك كانت عجوزة جدا على تفسير القصة جيدا» .

«تعامل بشيء من الاحترام نحو جدتي، رجاء» ، زأرت فيرونيكا مخمورة ، جالبة انتباه الجميع ممن استداروا نحوها .

«نخب في صحة جدة هذه المرأة المجنونة الجالسة امامي، بلاشك انها قد فرت الى هنا من فيليت».

عاد الناس للاهتمام بطعامهم ، متظاهرين بعدم حدوث شيء حولهم .

أصرت فيرونيكا : «نخب في صحة جدتي» .

جاء صاحب المطعم الى مائدتهما.

«أرجوكم احسنوا سلوككم».

هدآ لدقائق ، غير انهما سريعا ما واصلوا حديثهما الصاخب، حوارهما غير العاقل. وسلوكهما غير الملائم، عاد صاحب المطعم الى مائدتهما ، وأخبرهما بأنهما غير مضطران لدفع الفاتورة، ولكن عليهما ان يغادرا المطعم حالا.

«فكري في النقود التي سنوفرها من ثمن ذلك النبيذ الغالي الرائع»، قال إدوارد «دعينا نغادر قبل ان يغير هذا الجنتلمان رأيه».

غير أن الرجل لم يكن ليغير رأيه انه في وضع شد كرسي فيرونيكا، كسلوك مهذب مقصود لاخراجها من المطعم في اسرع وقت ممكن.

سارا الى منتصف الميدان الصغير للمدينة. نظرت فيرونيكا الى الاعلى نحو غرفتها في الدير، وتبخرت سكرتها .لقد تذكرت انها على وشك ان تموت سريعا..

قال إدوارد : «دعينا نبتاع المزيد من النبيذ» . كانت هناك حانة فى القريب منهما ، اشترى ادوارد زجاجتين وجلس الاثنان واستمرا فى الشرب.

قالت فيرونيكا: «ما الخطأ فى تفسير جدتى للوحة؟» .

كان ادوارد مخمورا لدرجة اضطر فيها لبذل جهد مضاعف حتى يتذكر ما قاله فى المطعم ، غير انه نجح فى ذلك.

«قالت جدتك ان المرأة وقفت على الحية لأن الحب يسيطر على الخير والشر. وهذا تفسير رومانسي لطيف، غير انه لا علاقة له بالموضوع . لقد رأيت هذه الصورة من قبل، انها احدى رؤى الجنة التى اتخيل رسمها كنت اتساءل لماذا يصورون السيدة العذراء بهذا الشكل» .

«ولماذا يفعلون ذلك؟».

«لأن العذراء توازى الطاقة الانثوية وهى عشيقة الحية، التى تمثل الحكمة، اذا دققت فى الخاتم الذى يلبسه د. ايجور سوف ترين انه يحمل الرمز الطبي، افعوانين ملتفين حول عصى. ان الحب فوق الحكمة، كما العذراء فوق الحية . بالنسبة لها كل شيء هو الهام أنها غير معينة بالاحكام حول الخير والشر».

قالت فيرونيكا: «هل تعرف شيئا اخر؟ السيدة العذراء لم تهتم بما يمكن للاخرين ان يفكروه . تخيل الاضطرار لان تشرح للجميع ذلك الموضوع حول الروح القدس. انها لم تبرر شيئا لقد قالت فقط : «هذا هو ما حدث» ، وهل تدرك ما يمكن ان يكون قد قاله الاخرون؟» .

«بالطبع .. انها مجنونة».

ضحك الاثنان ، ورفعت فيرونيكا كأسها.

«تهانى.. عليك ان ترسم رؤى الجنة، بدلا من التحدث عنها فقط».

قال إدوارد : «فسوف ابدأ بك».

كان بجوار الميدان الصغير تل صغير.. وعلى قمة ذلك التل ثمة قصر صغير. سار إدوارد وفيرونيكا عبر الطريق الحجرى، شاتمين وضاحكين، منزلقين على الجليد ومتذمرين من الارهاق.

بجانب القصر هناك جرار اصفر ضخم. لاى شخص قادم، الى لجويلجانا للمرة الأولى، يمنح الجرار الانطباع بأن هناك ترميمات فى القصر، وأن العمل سريعا ما سينتهي غير ان سكان لجويلجانا يعلمون ان الجرار كان هناك منذ سنين طويلة، بالرغم من ان أحداً لا يعلم السبب لذلك . اخبرت فيرونيكا ادوارد انه عندما تطلب من الاطفال فى الحضانة ان يرسموا قصر لجويلجانا. فانهم دائما ما يرسمون الجرار مع القصر» .

«إلى جانب ان الجرار فى وضع افضل من القصر».

«كان عليك ان تكونى ميتة الان» ، قال ، مازال تحت تأثير الكحول، ولكن برعشة خوف فى صوته : «ان قلبك ما كان ليتحمل هذا التسلق».

منحته فيرونيكا قبلة، طويلة وعميقة.

«انظر الى وجهى تذكره بعيون روحك، حتى تستطيع اعادة خلقه من جديد فى يوم ما.. اذا رغبت، يمكن لذلك ان تكون نقطة بدايتك. لكن عليك ان تعود الى الرسم. هذا هو طلبى الاخير.. هل تؤمن بالله؟»

«نعم اؤمن».

«إذن اقسم بالله الذى تؤمن به انك سوف ترسمنى».

«أقسم»

«وأنك بعد ان ترسمنى . سوف تواصل الرسم».

«لا أعرف اذا كنت استطيع ان اقسم على ذلك».

«أنت تستطيع وسأذهب الى ما هو ابعد من ذلك . أشكرك لانك اعطيت معنى لحياتى، لقد جئت الى هذه الدنيا كى امر بكل شيء مررت به ، محاولة انتحار ،

تدمير قلبي، ملاقاتك . المجيء الى هذا القصر. وسماحي لك بوشم وجهي على روحك، ان هذا هو السبب الوحيد لوجودي في هذا العالم. ان اجعلك تعود من جديد الى الطريق الذى ضللته. لا تجعلني اشعر أن حياتي كانت هباء».

«لا أعرف إذا كان ذلك مبكرا أو متأخراً جدا ولكن كما قد فعلت معي. اريد ان اخبرك بانني احبك. لست مضطرة الى تصديق ذلك ربما كان جنونا ، أو من صنع مخيلتي» .

وضعت فيرونيكا ذراعيها حوله، وسألت الله الذي لم تؤمن به ان يأخذها في تلك اللحظة.

اغمضت عينيها ، واحست به يفعل الشيء نفسه . وسقطت في نوم عميق، بلا احلام . كان الموت حلوا ، له رائحة النبيذ وكان يمسد شعرها .

شعر إدوارد بشخص ما يربت على كتفيه عندما فتح عنيه كان النهار قد بدأ .

قال رجل الشرطة : «تستطيع ان تذهب للمأوى في بلدية المدينة، إذا احببت. سوف تتجمد هنا».

وفي ثانية . تذكر ادوارد ما حدث في الليلة الماضية. كانت هناك امرأة ترقد في حضنه.

«انها.. انها ميتة».

غير ان المرأة تحركت وفتحت عينيها .

سألت فيرونيكا : «ماذا يحدث» .

«لاشيء » . قال إدوارد، وساعدها للنهوض على اقدامها : «أو ربما معجزة قد حدثت : يوم جديد للحياة».

حالما ذهب د. إيجور الى غرفة الاستشارة وفتح الانوار لان النهار مازال يتاخر فى البزوغ والشتاء ومازال مستمرا - قرع ممرض بابه.

قال لنفسه : «بدأت الاشياء مبكرا اليوم».

كان يبدو انه سوف يكون يوما صعبا، بسبب المحادثة التى عليه ان يجريها مع فيرونيكا لقد مهد لذلك طوال الاسبوع. وبالكاد نام لوهلة فى الليلة الماضى.

قال الممرض : ان لدى بعض الاخبار المقلقة لقد اختفى اثنان من النزلاء ابن السفير والفتاة مريضة القلب» .

«حقيقة ، انتم حثالة بلا كفاءة، كما ان الامن فى هذا المستشفى لم يكن يوما على حجم المسئولية» . قال الممرض مذعورا: «بسبب انه لم يحاول احد الهروب من قبل لم نكن نعرف ان ذلك ممكنا» .

«أخرج من هنا الان سيتوجب على ان اعد تقريرا لاصحاب المستشفى وان اخطر الشرطة، واتخذ الاجراءات قل للجميع بألا يزعجوني . هذه الاشياء تستغرق ساعات» !

غادر الممرض ، شاحبا، ومدركا بأن قدرا كبيرا من مسئولية هذه المشكلة الكبيرة سيقع على عاتقه لان هذه هى الكيفية التى يتصرف فيها الاقوى مع الضعيف سوف يتم طرده من العمل بلاشك . قبل نهاية اليوم.

التقطت د.ايجور ورقة، ووضعها على مكتبة وبدأ فى تسجيل الملاحظات . ثم غير رأيه.

أطفأ الأنوار وجلس فى المكتب المضاء بالشمس الشاحبة ، وابتسم . لقد نجح. بعد قليل. سوف يكتب الملاحظات الضرورية ، واصفا العلاج الوحيد المعروف للفيتيرول : وعى بالحياة.. وسوف يصف الأدوية التى استخدمها فى تجاربه الاولى على المرضى: وعى بالموت.

ربما كانت بعض الاشكال الاخرى من الادوية موجودة غير ان د . ايجور قرر ان يركز اطروحة ابحاثه حول الوحيدة التى حصل على فرصة تجريبها علميا، شكرا للمرأة الشابة، دون ان تعلم، اصبحت جزءا من قدره . لقد كانت فى حالة سيئة عندما وصلت، معانية من جرعات زائدة وخطيرة، وتقريبا فى غيبوبة . لقد تراوحت بين الحياة والموت لمدة اسبوع تقريبا ، الوقت الضرورى الذى كان يحتاجه لتطبيق فكرة عبقرية على تجربته.

توقف كل شيء على عامل واحد فقط.. قدرة الفتاة على البقاء.

وقد استطاعت ذلك، بدون تبعات خطيرة، ومشاكل صحية مدمرة، اذا رعت نفسها . فانها ستتمكن من الحياة لفترة اطول منه بكثير.

غير ان د . ايجور كان الوحيد الذى يعرف ذلك، مثلما كان يعرف تماما . ان محاولات الانتحار الفاشلة تميل الى تكرار المحاولة ان قريبا او بعيدا. لماذا لا يستخدمها كخنزير تجارب. ليرى اذا ما كان باستطاعته ان يمحو الفيتريول ، او المراره من اعضاء جسدها؟

لقد خطط د. ايجور لخطته. مستخدما مخدرا اسمه فينتول. نجح فى استثارة اعراض الذبحة القلبية ولمدة اسبوع، ثم حقنها بعدد من حقنات ذلك المخدر ، لابد انها كانت خائفة جدا. لانه كان لديها الوقت كى تفكر فى الموت تراجع حياتها وبهذه الطريقة. كما جاء فى ابحاثه كان الفصل الاخير من اطروحته بعنوان «الوعى بالموت يشجعنا على الحياة بكثافة اكثر» . لقد نجحت الفتاة فى القضاء على الفيتريول تماما فى جسمها وربما، احتمال كبير جدا، لن تعاود محاولة الانتحار مطلقا.

كان من المفترض ان يراها اليوم وان يخبرها انه بفضل الحقن نجح فى تغيير حالة قلبها تماما. غير ان هروب فيرونيكا وفر عليه التجربة غير اللطيفة للكذب عليها من جديد.

ما لم يحسب د . ايجور حسابه هو طبيعة العدوى لدوائه الذى يشفى من تسمم الفيتريول الكثير من الاشخاص فى فيليت كانوا خائفين من وعيهم بذلك الموت، البطيء والحتمى. لابد ان جميعهم يفكر فيما يفتقدونه . مجبرين على اعادة تقييم حياتهم.

لقد أتت مارى إليه طالبة السماح لها بالمغادرة ورضى اخرون طلبوا اعادة النظر فى حالاتهم. كان وضع ابن السفير أكثر إثارة للقلق، رغم انه ربما اختفى ليساعد فيرونيكا فقط على الفرار.

ربما مازالا معا.

على كل حال، كان ابن السفير يعرف موقع فيليت. اذا ما اراد العودة .

كان د. ايجور يشعر باثارة كبيرة للنتائج التى توصل اليها ولم يهتم بالانتباه للتفاصيل الصغيرة الهامشية.

لدقائق قليلة،، راوده شك اخر: عاجلا ام آجلا ، سوف تلحظ فيرونيكا انها ليست على وشك الموت بالذبحة الصدرية سوف تذهب ربما للاخصائيين الذين سوف يخبرونها ان قلبها طبيعي بشكل كامل سوف تحكم بأن الطبيب الذى كان يرعاها فى فيليت لم يكن كفؤا تماما ولكن على الجانب الآخر فان الذين يتجرأون في البحث عن المواضيع المحرمة تطلب ان يكونوا علي قدر كاف من الشجاعة وقدر كبير من عدم الاستيعاب.

قلب د. ايجور الموضوع فى رأسه طويلا وعميقا وقرر ان ذلك لن يهمه حقيقة. سوف تعتبر هى كل يوم جديد معجزة وهو ذلك بالفعل عندما تأخذ بالاعتبار عدد الاشياء غير المتوقعة التى يمكن ان تحدث فى كل لحظة من وجودنا الهش.

لاحظ أن اشعة الشمس تشتد قوة .فى هذه الساعة، سوف يكون النزلاء فى المطعم لتناول فطورهم وسريعا ما تمتلىء غرفة استشارية ، وسوف تظهر المشاكل المعتادة يكون من الافضل له ان يبدأ فى تسجيل ملاحظاته لبحثه فى الحال.

وبدقة بدأ فى كتابة تجربته مع فيرونيكا، وسوف يؤجل تقارير الاهمال الامنى لما بعد.

روايات الهلال تقدم

جبال الكحل

بقلم

يحيى مختار

تصدر : ١٥ أبريل سنة ٢٠٠١

أحدث إصدارات روايات الهلال

العدد	اسم الرواية	المؤلف	التاريخ	الثمن بالجنيه
٦١٥	القلق السرى	فوزية رشيد	مارس ٢٠٠٠	٧,٠٠
٦١٦	فئران بلا جحور	أحمد ابراهيم الفقيه	ابريل ٢٠٠٠	٦,٠٠
٦١٧	خزانة الكلام	جميل عطية ابراهيم	مايو ٢٠٠٠	٦,٠٠
٦١٨	بوح الأسرار	محمد جبريل	يونيه ٢٠٠٠	٥,٠٠
٦١٩	صالح هيصه	خيرى شلبى	يوليه ٢٠٠٠	٧,٠٠
٦٢٠	غريبان فى قطار	باتريشيا هايسميث	أغسطس ٢٠٠٠	٨,٠٠
٦٢١	حكمة العائلة المجنونة	فؤاد قنديل	سبتمبر ٢٠٠٠	٦,٠٠
٦٢٢	الطوف الحجرى	خوسيه ساراماجو	أكتوبر ٢٠٠٠	٨,٠٠
٦٢٣	زنوبة	قوت القلوب الدمرداشية	نوفمبر ٢٠٠٠	٦,٠٠
٦٢٤	أشجار قليلة عند المنحنى	نعمات البحيرى	ديسمبر ٢٠٠٠	٥,٠٠
٦٢٥	نقطة النور	بهاء طاهر	يناير ٢٠٠١	٧,٠٠
٦٢٦	البعيدون	بهاء الطود	فبراير ٢٠٠١	٥,٠٠

رقم الايداع: ١٧٩٣١ / ٢٠٠٠
I - S - B - N
977 - 07 - 0734 - 1

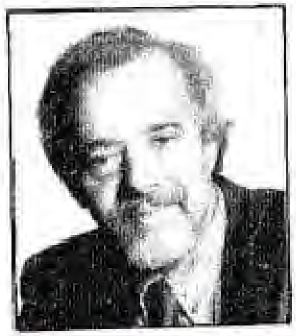

باولو كويلهو

● ولد باولو كويلهو فى البرازيل فى ريو دى جانيرو فى عام ١٩٤٧ وقبل تفرغه للكتابة الروائية كان مهتما بالكتابة المسرحية والإخراج المسرحى وكتابة الأغانى لبعض أشهر مطربى البوب البرازيليين. كما عمل فى الصحافة وإعداد البرامج التليفزيونية.

صدرت أولى روايات كويلهو عام ١٩٨٧ بعنوان «الحج» التى صدرت بالتزامن مع روايته الشهيرة «الكيميائى» التى ترجمت إلى اللغة العربية بعنوان «ساحر الصحراء» ، ترجمة بهاء طاهر وباعت أكثر من ٢٠ مليون نسخة فى العالم.

ومن رواياته «الجبل الخامس» و«بقرب نهر بيدرا جلست وبكيت» «فالكريس آلهة الحرب».

هذه الرواية

يكا تقرر أن تموت» هى .. أحدث أعمال باولو كويلهو وهو عمل يدور حول أهمية الاستماع إلى عواطفنا كما يقول كويلهو وقد استوحاه من تجربته الشخصية فى المستشفيات العقلية التى سبق له أن دخلها أكثر من مرة . وقد أسهم صدور هذه الرواية فى إحداث بعض التغييرات فى القانون البرازيلى حيث تم الإفراج عن مشروع قانون تأخر صدوره لعشرة أعوام يقضى بوجود طرف ثالث إلى جانب الطبيب والمستشفى للتثبت من حالة أى مريض متهم بالجنون . وقد صدرت هذه الرواية فى عام ١٩٩٩ والتى يواصل كويلهو دوره فيها كروائى ملهم للأفراد والأمم لتغيير نمط الحياة الخاص والعام.

عائلة روايات الهلال

● اذا كنت من هواة قراءة الابداع الراقى عربيا وعالميا ، فشارك معنا عائلتنا الابداعية «عائلة روايات الهلال».

● احرص على اقتناء نسختك الشهرية ، أو احرص على الاشتراك فيها تصلك بالبريد المضمون الى عنوانك

● ٥٠ عاما من الابداع المثالى

● تم اختيار أعمالنا لتكون أفضل الاصدارات للسنوات الأخيرة بصفة متتالية.

● تحصل رواياتنا على اهم الجوائز الأدبية. وتتم ترجمتها إلى لغات العالم.

● مرة أخرى .. إذا كنت من قراء الابداع الجيد .. فانضم الى «عائلة روايات الهلال» .

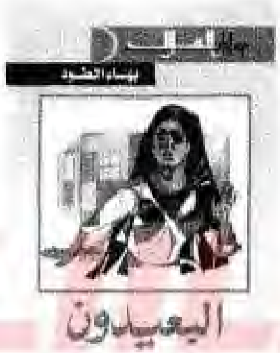

WWW.LILAS.COM
MALLOULI